ترجمان

فرايزر إيغرتون

الجهاد في الغرب

صعود السلفية المقاتلة

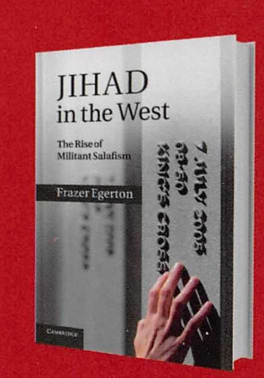
ترجمة: فادي ملحم



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب

تُعتبر السلفية المقاتلة واحدة من الحركات الأكثر أهمية في عالم السياسة اليوم. لكنها لم تحظ، للأسف، بالفهم الذي يناسب أهميتها. ولتدارك هذا النقص المعرفي، وبعيدًا من السعي غير المجدي وراء "الأسباب الجذرية" الفردية كما ورد في الكثير من الكتب، يروم هذا الكتاب تحصيل فهم أعمق من خلال النظر في العوامل التي مكّنت وسهلت بشكل خاص ما يسميه الكاتب "المخيال السياسي" الذي يسمح للأفراد بتصوّر أنفسهم جزءًا لا يتجزأ من معركة عالمية بين قوى الإسلام والغرب. وهذا ما يقع في صميم السلفية المقاتلة. يبيّن فرايزر إيغرتون في هذا الكتاب كيف أدّى انتشار وسائل الإعلام الحديث وشيوع التنقل والهجرات، إلى تحوّل في معتقدات المسلمين الغربيين نحو تبنّيهم أيديولوجية داعمة لسلفية مقاتلة ضد الغرب.



المؤلف

فرايزر إيغرتون نال شهادة الدكتوراه في السياسة الدولية من جامعة ويلز، أبريستويث. وهو حاليًا زميل باحث في مركز دراسات السياسة الخارجية في جامعة دالهوزي، كندا.

المترجم

فادي ملحم مترجم لبناني (من مواليد عام 1976)، يحمل شهادة البكالوريوس في الألسنيات من الجامعة اللبنانية، مارس الترجمة في مجالات علمية وأدبية.

- فلسفة وفكر
- اقتصاد وتنمية
- لسانيات
- آداب وفنون
- تاريخ
- علم اجتماع وأنثروبولوجيا
- أديان ودراسات إسلامية
- علوم سياسية وعلاقات دولية

السعر: 10 دولارات

ISBN 978-614-445-129-8



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الجهاد في الغرب

صعود السلفية المقاتلة

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى «سلسلة ترجمان» بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس «سلسلة ترجمان» وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

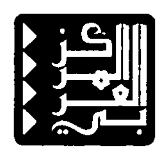
الجهاد في الغرب

صعود السلفية المقاتلة

فرايزر إيغرتون

ترجمة

فادي ملحم



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات

Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

إيغرتون، فرايزر، 1977-
الجهاد في الغرب: صعود السلفية المقاتلة / فرايزر إيغرتون؛ ترجمة فادي ملحم.
288 ص.؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)
يشتمل على ببليوغرافية (ص. 209-269) وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-129-8

1. الإرهاب. 2. الإرهاب - الجوانب الدينية - الإسلام. 3. الإسلام والغرب. 4. التطرف الديني. 5. الجهاد في الإسلام. 6. الأصولية الإسلامية. 7. السلفيون (دعاة) 8. الإسلام - دعوات سلفية. أ. ملحم، فادي. ب. العنوان. ج. السلسلة.
363.325091821

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب

Jihad in the West: The Rise of Militant Salafism

by Frazer Egerton

عن دار النشر

Syndicate of the Press of the University of Cambridge

الناشر



شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 1991837 00961 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى

بيروت، شباط/ فبراير 2017

المحتويات

شكر وتقدير

لا يمكن لأي كتاب أن يكون نتاج جهد فردي فحسب؛ فهناك قائمة طويلة من الأشخاص، لولا جهدهم ما كان لهذا الكتاب أن يتمّ. لذا أشعر بامتنان كبير لهم، وأود أن أشكر كلًّا من:

جيروين غانينغ لأسئلته وتساؤله المستمر، ومايك وليامز لجهده في توجيهي نحو الإجابات.

كين بوث، المفكر الكبير، والمعلم المتميز، والمدير من الدرجة الأولى، والصديق الحقيقي.

عائلتي – أمي، وأبي، وفريدي، وبِن، وداني (Danny)، وكاث، وتيد، ونين، وفريدي؛

– فمساعدتهم تحظى بتقدير صادق، وإن لم يكن لها أثر ملموس في الكتاب.

أخيرًا لورا وذلك لدورها في نواحٍ وأمور كثيرة؛ فمعرفتها تقود إلى حبها، هي فحسب، وإلى الأبد.

مقدمة

يهتم هذا الكتاب أساسًا بالسلفية المقاتلة الغربية. ويلامس أيضًا قضايا أخرى ذات علاقة بالإرهاب. فالإرهاب، خصوصًا أنموذجه هذا، يشكّل موضوع الساعة. وهو يدخل ضمن إطار منهجي محدد، تقوم فيه ظواهر قليلة بأسر الخيال الشعبي مدة طويلة. فالسلفية المقاتلة أصبحت واحدة من أبرز الظواهر المثيرة للجدل في الحياة السياسية المعاصرة، بعدما حفّزتها بشكل خاص هجمات 2001 على الولايات المتحدة، وزادها قوة المزيدُ من القتل في مدريد ولندن وأمستردام، ودعمتها قصص متكررة عن كثير من التهديدات الأخرى التي يُنوى تنفيذها، أو التي حيل بينها وبين التنفيذ. لكن على الرغم من ذلك، وربما بسبب خطورة هذا الموضوع، لا تزال الخلافات حوله مستعرة في مسائل مختلفة مثل دور الدين، وتأثير المظالم السياسية، ومستوى الاندماج الاجتماعي، وطبيعة تهديد هذا النوع من الإرهاب ومداه. هذا ما نلمسه في الواقع، حين نجد أن معظم المحللين في هذا المجال لا يتفق في شأن أبرز العناصر الأساسية المكونة للسلفية المقاتلة، وللتهديد الذي تشكّله. وفي هذا الشأن ذكرت النيويورك تايمز مؤخرًا ما يلي: «اندلع خلاف قوي بين اثنين من المراجع المهمة في عالم الإرهاب، ما اضطر أتباعهما إلى الاختيار بين الجانبين. لا تُخاض هذه المعركة عادةً في الأرض الوعرة والجرداء على الحدود الباكستانية – الأفغانية، بل هي تحدٍّ تتردد أصداؤه في الحوار

الدائر بين اثنين من أهم المنظّرين الأميركيين للإرهاب وكيفية محاربته؛ إذ إن للرجلين وجهتي نظر متضاربتين حول طبيعة التهديد»[1].

يعتبر مارك سيجمان أنّ السلفية المقاتلة ينقصها الآن هيكل جامع وهرمي كتنظيم القاعدة. ويقول إن هذا التنظيم أكثر من مجرد فكرة، وإنه يمكن اعتبار جزء صغير منه منظمة قادرة على مهاجمة الولايات المتحدة[2]، ويضيف أن القاعدة استُبدلت بمجموعات ذاتية التنظيم ومستقلة التوجيه، تستمد إلهامها (وليس توجيهاتها) من أمثال أسامة بن لادن[3]، إلا أن بروس هوفمان لا يوافق على هذا الرأي. ويستشهد بلجنة، كان قد عيّنها مجلس الشيوخ مؤخرًا لدرس تقرير أعدته الاستخبارات وادعت فيه «أنّ القاعدة تشكل أخطر تهديد لأرض الوطن، لأن قيادتها المركزية تواصل التخطيط لمؤامرات عالية التأثير، وتدفع المتطرفين الآخرين في المجتمعات السنية إلى النسج على منوالها، ودعم قدراتها»[4]. فبالنسبة إلى هوفمان، تشكّل القاعدة خطرًا قائمًا وحقيقيًا، بتوجيهها هجمات ضد الولايات المتحدة وأهداف أخرى في جميع أنحاء العالم. وتُعتبر هذه المناقشات مهمة جدًا، لأنها تساعد على توجيه جهد وموارد كبيرة، وبشكل أفضل، نحو الأهداف المرسومة. وسيتم تحديد السياسات، وتحويل الموارد، وفي نهاية المطاف إنقاذ الأرواح أو فقدانها، على أساس فهمنا للسلفية المقاتلة، وكيفية تعاملنا مع هذا الفهم. وعن هذا الخلاف في وجهات النظر (هوفمان/ سيجمان) وبناءً على حالة الولايات المتحدة، يقول سكيولينو وشميت: «يعترف مسؤولون من البيت الأبيض لوكالة الاستخبارات المركزية، بأهمية الجدال الدائر بين الرجلين، مع قيام الحكومة بتقويم طبيعة

(1) E. Sciolino & E. Shmitt, «A Not Very Private Feud Over Terrorism,» *New York Times*, 08/06/2008.

(2) أثار جيسون بيرك هذه النقطة منذ فترة. انظر:
J. Burke, *Al Qaeda: The True Story of Radical Islam* (London: Penguin, 2003).

(3) M. Sageman, *Leaderless Jihad: Terror Networks in Twenty-First Century* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2007).

(4) B. Hoffman, «The Myth of Grass-Roots Terrorism: Why Osama Bin Laden Still Matters,» *Foreign Affairs* (May/ June 2007).

التهديد. ونترقّب الاستخدام الأكيد لهذا الجدال لكسب الحروب على الحلبة البيروقراطية حول البرامج التي سيتم التركيز عليها في الإدارة المقبلة[5].

يهدف سكيولينو وشميت في الواقع، ومن خلال حكمهما على واحدة من المناقشات الكثيرة بين اثنتين من الشخصيات الكثيرة في هذا المجال، إلى التقليل من أهمية الجهد الرامي إلى تسليط الضوء على السلفية المقاتلة. فهذه الأخيرة ظاهرة كبرى حقًا، وتفوق عواقبها بأشواط السياسة البيروقراطية في أي بلد من البلدان. هناك حروب خيضت، وفظائع ارتُكبت، ودماء سُفكت لنشر تفسير معيّن وعنيف للإسلام أو لمنع انتشاره. وما دامت السلفية المقاتلة مستمرة، فسيتأثر الناس بشكل خطر وسلبي، سواء من خلال التشدد نفسه، أم بفعل التدابير الرامية إلى مواجهته، أم التأكّل الروتيني للعلاقات داخل المجتمعات. على هذا النحو يحتل فهم السلفية المقاتلة أهمية حقيقية وملحة. وللأسف، وكما لوحظ من النقاش المذكور أعلاه، لم يصل مستوى المصلحة العامة والأكاديمية والسياسيّة، إلى مستوى ملائم أو مساوٍ لهذا الإدراك.

إجابة عن السؤال: كيف لنا أن نفهم هذه الظاهرة؟ نخصص المرحلة الأولى لتفصيل أو شرح ماهيتها في الواقع. وقد يبدو هذا الأمر واضحًا بما فيه الكفاية، لكن ما كُتب من مقالات وكُتُب كثيرة حول هذا الموضوع، يشوبه اختلاط بلا داع، وتعتيم متعمد، وتشوش من غير قصد، الأمر الذي يجعل وضوح القضية نادرًا جدًّا. أما المرحلة الثانية، فتُخصص لفهم أسباب حصول هذه الظاهرة وكيفيته. وعلى الرغم من أن للنظرية دورًا رئيسًا هنا، أو هو في الأقل ما ينبغي أن يكون لها، فإنها تغيب صراحة في كثير من الأحيان، وإن حضرت فيعوزها الوضوح والدقة. وعلى الرغم من أن ذلك لا يعني أن تكون النظرية مقاربة تفصيلية بشكل مفرط، كما هو الشأن بالنسبة إلى أطروحة كبيرة لشهادة الدكتوراه (نظريات غير واضحة، تطبّق على موضوعات غامضة)، فإن هناك حاجة حقيقية إلى التنظير الثاقب في دراسة السلفية المقاتلة، وذلك لفهم مغزى تلك البيانات الموجودة ولتحديد المطلوب. ومن حسن الحظ أن

---

(5) Sciolino & Schmitt, «A Not Very Private Feud over Terrorism».

هناك الكثير من النظريات التي تقدم إمكانًا حقيقيًا لتسليط الضوء الضروري على هذه الظاهرة. لكن المشكلة ليست في وجود هذه النظريات، بل في تطبيقها.

يحاول هذا الكتاب تقديم دراسة واضحة ومطّلعة عن السلفية المقاتلة، وفي إطار نظري واضح وكاشف، يدعمها مستوى ملائم من الأدلة التجريبية. لذلك يعرض **الفصل الأول** ماهية السلفية المقاتلة في الواقع، وهوية التشدّد بشكل مفصّل، والسرد الذي يلتزمه السلفيون المقاتلون. ويتناول أيضًا عاملين أساسين بالتفصيل: المظالم السياسية والتفسير الديني. ويبحث **الفصل الثاني** في أحد المناهج الرئيسة التي تهدف إلى شرح ظاهرة الاغتراب. وبحسب هذه المقاربة المعروفة، يمكن فهم التشدّد بشكل أفضل إذا ما اعتُبر ردة فعل على فكرة الاغتراب (وهي غالبًا غير محددة). وعلى الرغم من هيمنة هذه المقاربة على دراسة السلفية المقاتلة في الغرب، فإن حولها تساؤلات موضوعية تتناول الشرعية والشعبية التي تحظى بها. ولحسن الحظ، توجد بدائل مفضّلة، تم شرح أحدها في **الفصل الثالث**. وتستفيد هذه المقاربة البديلة بشكل متحرر من بعض المنظّرين الذين جرى تطبيق أفكارهم وملاحظاتهم بشكل مفيد جدًّا في سياقات أخرى، لكن، ولسوء حظ هذا الموضوع، لم تطبق هذه الأفكار على السلفية المقاتلة على نحو مستدام.

إنها مقاربة تحتل فيها فكرة المخيال السياسي موقعًا مركزيًّا. ويثير تطبيقها النادر وغير المفصّل التساؤل، وذلك نظرًا إلى مركزيتها في التحول عند المقاتلين الغربيين. فبالنسبة إلى الأغلبية منهم، كان نمو التشدد عندهم خروجًا كبيرًا عن معتقداتهم السابقة. وحدث ذلك في فترة قصيرة من الزمن، من خلال علاقتهم العرضية بالحوادث في العالم، التي يدّعون أنها شكلت الدافع لهم. تحدث هذه القفزة، من غربي غير مقاتل إلى سلفي مقاتل، بفعل ممارسة المخيال السياسي الذي يخلق عالمًا خياليًا عن الأمة[6] في مقابل الغرب.

---

(6) الأمة (وتشتق من الأم، أي الوالدة) هي الكلمة العربية المرادفة للمجتمع. وتُستعمل للدلالة على مُجتمع واسع من المؤمنين.

ولنفهم كيف (وإلى حد بعيد لماذا) حصل هذا التحوّل، يجب أن ننقل تحقيقنا ونركز تحليلنا على المخيال السياسي، باعتباره جانبًا مهمًا جدًّا في الحياة السياسية، لإنتاج ما يُتخيل جماعيًا وليس ما يُعاش. ويُعتبر هذا المتخيَّل الركيزة الأساس لعوالم خيالية، حيث تُؤسَّس القواسم المشتركة، ويُعبَّر عن التقارب بين أناس قد لا يلتقون أبدًا، وتتخذ لديهم بعض الحقائق الاجتماعية المشتركة والمفترضة دلالةَ بناء اجتماعي، وهي دلالة قدرها قدر غيرها مما نتجاهله هنا. وقد بنيت السلفية المقاتلة بالضبط على مثل هذا الشكل الهندسي.

إذا كان المخيال السياسي مهمًا، فكذلك هي القوى التي تؤدي إلى ظهوره. لذلك، يخصص هذا الكتاب فصلًا لكل واحدة من هذه القوى التي يعتمد عليها كثيرًا وهُم السلفيين المقاتلين أو خيالهم، وهي وسائل الإعلام والحركة المنظمة.

تسمح شروط الإمكان هذه للسلفية المقاتلة بإنتاج رؤية عن العالم، ورواية كبرى عن العداء الغربي الفطري الذي يستهدف الإسلام والمسلمين، وفكرة وجود تكليف ديني للرد بقوة على هذا الأمر. ويدرس كل فصل الطريقة التي تمارس بها هاتان القوتان تأثيرهما في السلفية المقاتلة، ويقدم الأدلة التجريبية عن قيامهما بهذا الأمر. فيشرح **الفصل الرابع** الاستخدام المفرط للوسائل الإعلامية، وأهميتها الفائقة في حياة الأفراد والجماعات المقاتلة، ويقدّم تحليلًا عن تأثيرها في المقاتلين الذين شملهم الاستطلاع. وفي هذا الإطار يكون للصور التي تعرض قطع الرؤوس والتفجيرات والاستشهاديين، وقع بالغ الشدة؛ إذ تسمح هذه الصور للمشاهد بإسناد المعنى وتنسيبه، وهو أمر لا تقوم به أشكال أخرى من وسائل الإعلام. ونتيجة لذلك يستطيع المشاهد البعيد توليف هذه الحوادث في سردية معينة، ووضع نفسه داخل هذا السرد مشاركًا ناشطًا. ولهذه الصور أيضًا دور مهمٌ في السماح للناس المتفرقين بتخيل أنفسهم متّحدين مع الآخرين ومشاركين في النضال العالمي نفسه. ويناقش **الفصل الخامس** حركة الانتقال الواسعة في حياة السلفيين المقاتلين في الغرب، والنتائج التي تترتب عن تلك الحركة التي تسهل قيام هويات معيّنة. ففي بيئة أكثر استقرارًا، تنطوي الحياة الاجتماعية على نشاط محلي كثيف، وهي تعكسه إلى حد كبير. أما

حركة الانتقال، فتحرر الناس من قيود الأسلوب الذي قد يتصورون به أنفسهم سياسيًا[7]. وهي تتميّز بأهمية حاسمة في الخيال السياسي السلفي المقاتل، في ما يتعلق بإعادة تصوره لمجتمع عالمي يشكّل هو جزءًا منه.

أخيرًا يقدم الفصل السادس تفسيرًا لأسباب امتلاك القوى الكونية التي يتعرّض لها الجميع تقريبًا، تأثيرًا تغييريًا في قسم صغير جدًا من المجتمع، كما هو الشأن بالنسبة إلى السلفية المقاتلة. ويكمن جزء كبير من الجواب في دفع السردية المقاتلة إلى حدها الأقصى عند السلفيين المقاتلين، فيما عناصر كثيرة من هذه السردية تحضر مخففة وغير مقاتلة في كثير من المجتمعات (الجماعات) الإسلامية في الغرب. وتنهل السلفية المقاتلة من سردية قائمة على الوحدة الدينية والعداء الغربي للإسلام، وتُبنى على مفاهيم ومعتقدات راسخة، يستحوذ عليها مناضلون، ويقومون بصوغها وتضخيمها. ومن أهم الوسطاء المساعدين في هذه العملية، الذين هم على قدر كبير من الاقتدار، الدعاة الجذريون (الراديكاليون)، والمجموعات الصغيرة المقطوعة الجذور عن المجتمع الأوسع.

لكن قبل أن نتحوّل إلى هذه الفصول، لا تزال هناك ضرورة لإضافةٍ تتعلق باختيار الموضوع والمصطلحات المستخدمة، وذلك في محاولة لفهمه فهمًا أفضل.

اللغة

هناك الكثير من المصطلحات في الأدبيات التي تُستخدم للدلالة على ما يُعرف هنا بالسلفيين المقاتلين/ السلفية المقاتلة. لذا يجب توضيح هذا الخيار الخاص بشكل موجز. فكلمة مقاتل (مناضل) لا خلاف حولها إلى حد كبير،

---

(7) كتب عدد من الكتاب في هذا الموضوع. والأفضل بينهم:

A. Giddens, *The Consequences of Modernity* (Cambridge: Polity, 1991), D. Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into The Origins of Cultural Change* (London: Blackwell, 1991), D. Harvey, «From Space to Place and Back Again: Reflections on the Condition of Postmodernity,» in: J. Bird (ed.), *Mapping the Futures: Local Culture, Global Change* (London: Routledge, 1993), & J. Scholte, «The Geography of Collective Identities in a Globalizing World,» *The Review of International Political Economy* ,vol. 73, no. 3 (1996).

وتدل على استخدام العنف[8]. وتحتاج لفظة سلفي/سلفية إلى مزيد من الشرح. تشتق كلمة السلفية من السلف أو الجد في اللغة العربية. ويُعنى بها التفسير الحرفي في الإسلام السني الذي يرى أن الاجتهاد في الإسلام بعد النبي محمد وأصحابه هو انحراف عن الإسلام.

كما يبدو واضحًا من هذا الوصف، فإن السلفية ليست على الإطلاق مرادفة للتشدد. وربطها بكلمة مقاتلة (سلفية مقاتلة) يميز بين المقاتلين الذين ندرسهم هنا، ونظرائهم الورعين غير العنيفين. أما ميزة هذا المصطلح، التي تبدّد الارتباك الذي يعتريه، فهي أنه يتجنب إلى حد كبير الخلط المصطنع بين مجموعات متباينة.

لماذا السلفية المقاتلة في الغرب؟

يتعامل هذا الكتاب حصريًا مع السلفية المقاتلة في الغرب. وهو لذلك، يدرس أولئك الذين ولدوا في الغرب أو عاشوا فيه لفترة طويلة. ولما كانت السلفية المقاتلة بعيدة عن كونها حركة متجانسة، على الرغم من أنها حركة فكرية أقلية وفرعية في الإسلام إلى حد كبير، شأنها في ذلك شأن الطوائف الدينية كلها، فإن وجود تشابه في الفكر والأهداف بين المجموعات المتنوعة جغرافيًا، والتي تعتبر نفسها (أو يعتبرها الآخرون) من السلفية المقاتلة، لا يلغي الفارق الكبير والواضح في ما بينها. ولذلك تختلف تمامًا قصة أولئك الذين ولدوا ونشأوا في حضن المدنية الغربية، عن سيرة أولئك الذين عانوا شخصيًا ويلات الفقر المدقع أو النزاعات، أو التلقين الديني المتطرف في مكان آخر. ومن المحتمل أن يتم تجاهل هذه السياقات والأيديولوجيات المتفاوتة، إذا لم تتنبه دراسة السلفية المقاتلة لمعنى التمايز الجغرافي. لذلك هناك سبب وجيه

---

(8) تجنب المؤلف استخدام مصطلح السلفية الجهادية والسلفيين الجهاديين، وهو الشائع والمعروف كونه صفة لهذا التيار. ففضّل استخدام تعبير سلفية مقاتلة أو مناضلة (Militant) للتدليل على استخدام العنف. ونحن التزمنا بما قرره المؤلف واستخدمنا تعبير السلفية المقاتلة، ولعله كان لا يريد إثارة حساسيات غربية إعلامية تجعل كتابه يضيع في زحمة المؤلفات الكثيرة عن الجهاد والجهاديين والسلفية الجهادية (المحرر).

لوضع قيود على أي دراسة تخوض في السلفية المقاتلة. ومن هذه القيود، في مثل حالتنا هذه، النظرُ في تجلياتها في الغرب فحسب، لأن توسيع دائرة الدراسة يؤدي إلى استبدال الوضوح والدقة بالعموميات، ومن غير المرجح أن تكون مثل هذه المقايضة معقولة. ونتيجة لتقييد مجال الدراسة بهذه الطريقة، لن يدخل فيها، من بين أولئك الذين هاجموا مباشرة الولايات المتحدة في عام 2001، إلا محمد عطا وزياد الجراح ومروان الشّحي الذين عاشوا في وقت سابق في هامبورغ، وهاني حنجور الذي عاش في الولايات المتحدة. ويدخل أيضًا أولئك الذين عاشوا في الغرب، وسعوا ليكونوا جزءًا من الهجمات، أو قدموا المساعدة إلى الأشخاص الذين كانوا طرفًا فيها، كسعيد بهجي ورمزي بن الشيبة ومحمد زمار. وتستثني هذه الدراسة الأشخاص الذين انتقلوا من الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية للانضمام إلى شركائهم في تلك الهجمات.

النظر الصريح في حالة المقاتلين الغربيين، ينتج منه فحص لحالات مماثلة أو متشابهة، حتى لا نقع في الخلط بين الأساليب التي قد تخفي اختلافات كبيرة. ليس من المنطقي إذًا، أن نقيّد المسح أو الدراسة بأولئك الذين هاجموا أهدافًا في الغرب. فهناك أمثلة كثيرة عن أفراد شنوا هجمات في الغرب، لكنهم خططوا أيضًا مسبقًا، بل حاولوا القيام بهجمات في أماكن أخرى. وعكس ذلك صحيح أيضًا، فهناك مسلحون قاموا بهجمات في أماكن أخرى من العالم، وخططوا مسبقًا للقيام بهجمات في الغرب. فعلى سبيل المثال، انتقل بعض الرجال الذين فروا من إسبانيا، بعدما فجروا محطة للقطارات في مدريد، إلى العراق للقتال مع قوات المتمردين هناك[9]؛ ويظهر شريط فيديو لزعيم الخلية التي هاجمت نظام النقل في لندن، في عام 2005، وهو يقوم بوداع ابنته الصغيرة قبل السفر للقتال في أفغانستان. وعلى ما يبدو، فهو لم يذهب أبعد من باكستان، لأنه عاد بعد بضعة شهور للتخطيط للهجوم في لندن[10]. وسعى

(9) R. Cowan et al., «Bus Bomb Clues May Hold Key to Terror Attack,» *The Guardian*, 11/07/2005.

(10) H. Siddique, ««Take Care of Mummy», July 7 Ringleader Told Daughter,» *The Guardian*, 24/04/2008.

أعضاء من خلايا في كل من ألمانيا وهولندا للقتال في الكثير من الأماكن الأخرى، قبل مهاجمة الولايات المتحدة وهولندا على التوالي[11]. وبالنسبة إلى هؤلاء وإلى كثير من المسلحين الآخرين، يمكن شن الجهاد في الشيشان أو العراق أو باريس أو لوس أنجلوس. فالمهم هو الهدف والقضية، وليس الموقع الجغرافي. وذلك أمر ينعكس على عملية اختيارنا مَن يجب إدراجه في هذه الدراسة. ومن ناحية أخرى، استبعدنا أولئك الذين شاركوا في الصراعات التي يُمكن وصفها بالجهاد الدفاعي، والعمل العسكري لصد القوة الغازية، على الرغم من أن هناك تداخلًا كبيرًا بين دعم الجهاد ضد الأميركيين في العراق وضد الأميركيين في الولايات المتحدة، لكن هذه ليست الحال دائمًا. وسيؤدي الاعتماد على الجهاد الحاصل في الحالة الأولى إلى تعكير أو تشويش التركيز أو الدراسة على نحو غير ملائم.

الآن وقد حصرنا استخدام اللغة بشكل واضح، ينصبّ اهتمامنا على الوصول إلى وضوح مماثل بالنسبة إلى الموضوع الذي تم تطبيق اللغة عليه وهو: من هو السلفي المقاتل؟

(11) A. Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold,» 2004, at www.sociosite.org/jihad_nl_en.php, & T. McDermott, *Perfect Soldiers. The 9/ 11 Hijackers: Who They Were, Why They Did It* (New York: Harper, 2005).

الفصل الأول

مُلّا مجنون أم مقاتل من أجل الحرية؟
من هو السلفي المقاتل؟

إذا أردنا البدء بدراسة السلفية المقاتلة بشكل فاعل، علينا أن نحدد ماهيتها؛ إذ لا يمكن السلفية المقاتلة أن تكون مثل المواد الإباحية، أي مُتعارف على تفسيرها ظاهريًا، لكنها غير محددة فعليًا.

ما يسهّل المهمة أكثر هنا هو رغبة المقاتلين أنفسهم في تقديم تفسيرات لسؤالين: من أجل من يقاتلون؟ ولماذا؟ وهي تفسيرات تساعد كثيرًا في شرح ماهية السلفية.

يوجد عنصران رئيسان أهميتهما حاسمة في تفسير السلفية المقاتلة: العنصر الديني والعنصر السياسي. وسندرس كل عنصر لاحقًا. ويُعتبر كلاهما من العناصر المهمة في السلفية المقاتلة، لكنهما لا يكفيان لتفسير هذا النوع من التشدد النضالي (القتالي). ويميل كثير من الكتابات في هذا المجال إلى رفض المزاعم التي يطلقها السلفيون المقاتلون أو إلى تكرارها من دون تمحيص. لكن يجب أخذ هذه التفسيرات على محمل الجد، مع وضعها في السياق الملائم، خصوصًا منها تلك السرديات الكبرى المتعلقة بتفسير معنى أن تكون مسلمًا.

السياسة وتسييسها

يركّز كثير من الخبراء في مجال السلفية المقاتلة على السرديات أو الروايات السياسية المتعلقة بمعاناة المسلمين، واضطهاد الأمة. يقول جيسون بيرك، على سبيل المثال، إن الهدف الأساس لـ«السلفيين المقاتلين» ليس الاحتلال، بل التصدي للغرب المعتدي الذي يحاول استكمال المشروع الذي بدأه خلال الحملات الصليبية ومرحلة الاستعمار، لتشويه الإسلام وتقسيمه

وإذلاله[1]. فهم يرون أن ثمة صراعًا عالميًا، ويشعرون بأنهم مجبرون على المشاركة فيه. وكما يقول كالتنر وفيكتوروفيتش، تُفسِّر السلفية المقاتلة بشكل أفضل على النحو التالي:

«هي عبارة عن تدابير دفاعية لحماية المجتمع المسلم من الاعتداءات الخارجية والجرائم بحق الإسلام: دعم إسرائيل على حساب الفلسطينيين؛ دعم الإبادة الصربية بحق المسلمين في البوسنة؛ دعم الهند على حساب الكشميريين، الاحتلال الأميركي لأفغانستان؛ الاعتداءات في تيمور الشرقية؛ دعم اعتداء السلطات الفليبينية على المسلمين في الجنوب»[2].

يعتبر أشهر السلفيين المقاتلين، أو أكثرهم سمعة سيئة، أسامة بن لادن، أن هذه القائمة من المظالم صحيحة، وأنّ هناك حربًا تُشن على العالم الإسلامي. وذكر في إحدى مقابلاته وبوضوح أنّ «عدو المسلمين هو التحالف الصليبي الذي تقوده أميركا وبريطانيا وإسرائيل... فعداؤنا موجه أساسًا وأولًا إلى هؤلاء الكفرة، وبحكم الضرورة إلى الأنظمة التي حوّلت نفسها إلى أدوات لهذا الاحتلال»[3].

يعتبر مقاتلون آخرون أن الجهاد العنيف هو رد مشروع على الاعتداء الموجه حاليًا ضد المسلمين. أراد ريتشارد ريد (R. Reid) تفجير طائرة تتوجه من باريس إلى ميامي في نهاية عام 2001. وبعد اعتقاله وإدانته، ذكر في خطبة أدلى بها:

«لن أقدم اعتذارات عن أعمالي أو عن أعمال شركائي، وإذا أراد الناس أن تتوقف الهجمات ضد الغرب، فعليهم أن ينظروا إلى أنفسهم. ومن يدعم نشاط الحكومة الأميركية في العالم الإسلامي أو يساعدها بأي وسيلة هو أيضًا

---

(1) Burke, «Think Again: Al Qaeda,» *Foreign policy*, no. 142 (2004), pp. 18.

(2) Q. Wiktorowicz & J. Kaltner, «Killing in the Name of Islam: Al-Qaeda's Justification for September 11,» *Middle East Policy Council*, vol. 10, no. 2 (2003), pp. 84-85.

(3) مقابلة مع أسامة بن لادن، وردت في:

R. Pape, *Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism* (New York: Random House, 2005), p. 120.

مسؤول عن هذا النشاط، وبالتالي لا يحقّ لهؤلاء الناس أن يلوموا أحدًا غير أنفسهم على الهجمات ضد المصالح الأميركية، ولن تتوقف هذه الهجمات إلّا إذا أوقفت أميركا ظلمها للمسلمين»[4].

أما محمد صديق خان الذي اعتبر المفجّر الرئيس في هجمات عام 2005 ضد نظام النقل في لندن، بعد أن أوقع هذا الاعتداء اثنين وخمسين قتيلًا وعددًا أكبر من الجرحى، حيث عبّر عن مشاعر مماثلة لتلك الواردة سابقًا، خلال تبريره قتل المدنيين. وأوضح في شريط فيديو، كان قد نُشر بعد وقت قصير من الاعتداءات:

«تقوم حكوماتكم المنتخبة ديمقراطيًا، باستمرار، بأعمال وحشية وفظائع ضد شعبي في كل أنحاء العالم. ودعمكم لهذه الحكومات يجعلكم مسؤولين مباشرين أيضًا، ويقع ضمن مسؤوليتي حماية إخوتي وأخواتي من المسلمين، والثأر لهم... وستبقون أهدافًا لنا إلى أن نشعر بالأمان. ولن نتوقف عن هذه المعركة إلى أن تكفوا عن القصف واستخدام الغاز والسجن والتعذيب... وستذوقون أنتم أيضًا هذا الوضع»[5].

يصف شهزاد تنوير، ابن عم أحد شركاء خان، هذا الأخير، بالشخص المدفوع بمحنة أبناء دينه أو ملته: «فكلما كان يسمع عن معاناة المسلمين كان يتحوّل إلى شخص عاطفي... كان مسلمًا صالحًا... وأراد المشاركة في الجهاد والتضحية بحياته. كان يعرف التجاوزات التي كانت تجري بحق المسلمين»[6]. وظهر تنوير أيضًا في شريط فيديو، نشر بعد سنة من الهجمات، مع المصري أيمن الظواهري، والأميركي المولد آدم غدن. وعرض تنوير في هذا الشريط الرسالة التالية:

«إلى غير المسلمين في بريطانيا، قد تتساءلون عمّا فعلتم لتستحقوا هذا

(4) N. Young, «Understanding Insanity,» *The Firm*, 12/2007.

(5) BBC, «London Bomber: Text in Full,» *BBC News Website*, 01/09/2005.

(6) D. McGrory & Z. Hussain, «Cousin Listened to Boasts About Suicide Mission,» *The Times*, 22/07/2005.

المصير. لقد صوّتم لانتخاب هذه الحكومة التي بدورها قامت، وما زالت إلى اليوم تقوم، بقمع أمهاتنا وأولادنا وإخوتنا وأخواتنا، من الشرق إلى الغرب، في فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان. ودعمت حكومتكم بشكل واضح إبادة مئة وخمسين ألف مسلم بريء في الفلوجة... وقدمتم الدعم المالي والعسكري إلى الولايات المتحدة وإسرائيل، خلال المجازر بحق أولادنا في فلسطين. وأنتم مسؤولون بشكل مباشر عن المشكلات القائمة إلى يومنا هذا في فلسطين وأفغانستان والعراق. أعلنتم الحرب علنًا على الإسلام، وكنتم السبّاقين أو الرواد في الحملة الصليبية ضد المسلمين... وما تعرضتم له اليوم هو البداية من سلسلة هجمات فحسب، إن شاء الله ستتكثّف وتستمر، حتى تنسحبوا من أفغانستان والعراق، وحتى تتوقفوا عن كل دعم مالي للولايات المتحدة وإسرائيل، وحتى تطلقوا جميع السجناء المسلمين من سجن بلمارش ومخيمات الاعتقال الأخرى عندكم. واعلموا بأنكم إذا لم تلتزموا بهذه المطالب، فلن تتوقف هذه الحرب، وسنضحي بحياتنا مئة مرة، لنصرة الإسلام. لن تعرفوا السلام، حتى يشعر به أولادنا في فلسطين، وأمهاتنا وأخواتنا في كشمير، وإخوتنا في أفغانستان والعراق»[7].

أضاف الظواهري أنّ «ما جعل شهزاد ينضمّ إلى معسكر القاعدة هو الظلم الذي مارسته القوات البريطانية في العراق وأفغانستان وفلسطين. وتحدّث في كثير من الأحيان عن فلسطين، والدعم البريطاني لليهود، وظلمهم الواضح للمسلمين»[8]. وأشار غدن، بعبارات مماثلة إلى أنه:

«من الأهمية أن يتذكر المسلمون أنّ الأميركيين والبريطانيين وباقي الأعضاء في تحالف الإرهاب قاموا عمدًا باستهداف المدنيين المسلمين والأهداف المدنية، قبل 11 أيلول/ سبتمبر وبعده. وأذكر بعض الأمثلة هنا، مثل حربي العراق الأولى والثانية، وغزواتهم في الصومال والسودان وأفغانستان...

---

(7) MEMRI, «Al Qaeda Film on the First Anniversary of the London Bombings Features Messages by Bomber Shehzad Tenweer, American Al Qaeda Member Adam Gadan and Al Qaeda Leader Ayman Al-Zawahiri,» *MEMRI TV monitor unit*, 08/07/2006, at: www.memritv.org/ clip/ en/ 1186.htm.

(8) Ibid.

وقاموا باستهداف المدنيين بالاغتيال والخطف. وأرسلوا أي شخص غير أفغاني يقع في أيديهم، إلى غوانتانامو، أو إلى مكان أسوأ. وسلّموا كثيرين منهم إلى الأنظمة الاستبدادية، المدعومة من أميركا وبريطانيا، في العالم الإسلامي، ليتم التحقيق معهم بشكل وحشي. وباركوا القاتل الأفغاني السيّئ الصيت حميد قرضاي ودعموه، ليقتل الآلاف من المدنيين الأفغان، وهم نيام في أسرّتهم، أو مسافرون على الطريق، أو مدعوون إلى أفراح، أو مصلون في مساجد. وأنا أعلم بأنهم قتلوا وشوهوا المدنيين، لأني رأيت مع إخوتي هذا الأمر بأم أعيننا. فقد نقلت بيدي الضحايا من أمهات وأطفال وعجزة ورضّع في أحضان أمهاتهم. وأعلم أنهم قاموا بقصف أي شيء يخطر على بالك. ويمكنني أن أسترسل أكثر، فهذه هي أفغانستان. ولم نتحدث هنا عن الوحشية الأميركية والبريطانية في الحربين العراقيتين، الأولى والثانية»[9].

في عام 2004، قام محمد بويري بقتل الكاتب والمخرج الهولندي ثيو فان غوغ. وثيو كاتب بارز، وصانع أفلام شهير ينحدر من أسرة الفنان الهولندي فنسنت فان غوغ. قام بويري بإطلاق النار أولًا عليه في شارع مكتظ في أمستردام، ثم حاول قطع رأسه بسكين. ومع تطوّر التشدد الذي بلغ ذروته في هذه الجريمة، وضع بويري كثيرًا من الكتابات على الإنترنت، أشارت إحداها إلى قلقه من موقف المجتمع الإسلامي العالمي الضعيف، مقارنة بأمجاده السابقة، وحمّل مسؤولية هذا الواقع إلى الممارسات غير الإسلامية لقادة العالم الإسلامي، ولعدوانية الغرب. وقام في آذار/ مارس 2004 بنشر مقطع، تحت عنوان «القبض على ذئب»، يشرح فيه إحدى وسائل الصيد عند شعب الأنويت (Inuits). فهم يقومون أولًا، كما قيل، بفرك السكين بدم الحيوان، قبل تجميده. وتُعاد هذه العملية، حتى تُغطى السكين بشكل كامل بالدم المتجمد. ثم توضع في الثلج. عندئذٍ سيشم الذئب الدم، ويلعقه من على السكين. وستتجاوز شهيته للدم الألم الذي يشعر به من قطع لسانه. وفي نهاية المطاف ينزف الذئب حتى الموت. يقول بويري إن هذا الذئب يمثل الأمة الإسلامية، وإن منذ سقوط

(9) Ibid.

السلطنة العثمانية والخلافة معها، بدأ أعداء الإسلام بتنفيذ مشروع لتدمير الإسلام. ونتيجة لعدوانية الغرب، وضعف كثير من المسلمين، تحولت الأمة التي كانت قوية جدًّا، إلى «أمة ميتة ومحبطة وفي حال سكر، وصارت تتسوّل قطعة الخبز من الغرب»[10].

بالنسبة إلى السلفيين المقاتلين «لا يمكن اعتبار معاناة المسلمين وذلهم حول العالم حلقات منفصلة، بل هي سلسلة من اعتداءات أو تجاوزات التحالف 'الصهيوني - الصليبي' ضد الإسلام والمسلمين»[11]. وسيستمر هذا العدوان حول العالم اليوم، وعلى هذا النحو. وكما قال الأردني أبو مصعب الزرقاوي الذي قاد السلفية المقاتلة في العراق قبل موته: «جهادنا في العراق كجهادنا في أفغانستان وكشمير والشيشان والبوسنة»[12]؛ فعلى المسلمين الحقيقيين أن يهبوا للدفاع عن إخوتهم المسلمين. وكما قال رمزي بن الشيبة، عضو خلية هامبورغ، الذي أراد المشاركة في الهجمات التي قامت بها مجموعته في الولايات المتحدة في عام 2001: «القدس هي مسؤولية العالم الإسلامي، ومسؤولية كل مسلم في كل مكان. وعلى المسلم أن يذكّر رفاقه بهذا الأمر، كلما كان ذلك ممكنًا، وفي كل مرحلة جهادية. عليه أن يذكرهم بمشكلات أمتهم الحبيبة»[13].

تسيطر فكرة الدفاع عن المسلمين حول العالم على أفكار السلفيين المتشددين وعباراتهم ويظهر هذا الأمر عند مراجعة كثير من مواقع الإنترنت التي صُممت من أجل أتباع السلفية أو جمهورها، ومن خلال سماع تسجيلات خطب دعاة متطرفين، أو من خلال مشاهدة التفسيرات التي يقدمها السلفيون

---

(10) وردت في:
«Chronicle of a Political Murder Foretold,» 2004, at: www.sociosite.org/ jihad_nl_en.php.

(11) M. Hafez, «Martyrdom Mythology in Iraq: How Jihadists Frame Suicide Terrorism in Videos and Biographies,» *Terrorism and Political Violence*, vol. 19 (2007), p. 100.

(12) من مونتاج بعنوان:
«And Worship Shall be Only For Allah» issued in June 2005, cited in Hafez, «Martyrdom Mythology in Iraq».

(13) وردت في:
T. McDermott, *Perfect Soldiers. The 9/ 11 Hijackers: Who They Were, Why They Did It* (New York: Harper, 2005), p. 82.

المقاتلون عبر الفيديو، وقام بتلخيصها روائيًا محمد سيوفي، وهو صحافي جزائري أقام شهورًا عدة في بيئة مقاتلة، كجزء من مهمة صحافية. وفيها يصف أولويات ومخاوف كريم بورتي، وهو من المقاتلين الذين حاز ثقتهم:

«كان كريم يؤم الصلاة. وقبل البدء بالصلاة، كان يطلب من المؤمنين الدعاء ‹لنصرة إخواننا المجاهدين›»[14]. وكان يحرص في كل عمل على أن يذكر مصطلح ‹الحرب المقدسة›. وفي الفترة التي كنت على اتصال به، لاحظت أن حياته كلها تمحوّرت حول هذه المسألة»[15].

على الرغم من رواج هذه المقاربة، فذلك لا يعني أنّ السلفية المقاتلة هي ردة فعل مباشرة فحسب على السياسة الخارجية الغربية. وإذا كان من الضروري أخذ هذا التنقيب في غشاوات الزمن (والأساطير) الماضية بالاعتبار، فإن اعتمادها وحدها من دون نظرة تحليلية نقدية يقود إلى سوء فهم لطبيعة عملية بناء الهوية. ولا تقع الأهمية السياسية هنا في ردة فعل المسلمين على المظالم، بل في تأطير العالم وحوادثه كساحة معركة بين قوتين متناقضتين. ولا يمكن شرح السلفية المقاتلة بتعداد التدخلات العسكرية غير المبررة في الخارج فحسب، فهو مع كونه موضوعًا مثيرًا للاهتمام، لن يصمد أمام الفحص الدقيق. ويعود هذا الأمر إلى أربعة أسباب:

أولًا، على الرغم من وجود الكثير من الأوضاع الرهيبة التي يعانيها المسلمون، كالحرمان والاستبداد، وتورّط عدد كبير من غير المسلمين في هذا الأمر، فإن هذا الذنب قاصر عن تبرير ادعاءات المقاتلين. لذلك، كان عليهم اعتماد ثلاث خطوات إضافية. **أولاها**، تجاهل أو تهوين أو حتى تبرير الاعتداءات التي ارتكبها أو يرتكبها المسلمون. **ثانيتها**، أن يكون هناك تركيز

---

(14) من الكلمة العربية مجاهدين التي تعني مكافحين أو مناضلين. وأخذت أهمية أو دلالة دينية وعسكرية بشكل واسع. وفي هذا الكتاب، تعني كلمة المجاهدين أولئك الأشخاص الذين يشنون الجهاد المقاتل العسكري.

(15) M. Sifaoui, *Inside Al Qaeda: How I Infiltrated the World's Deadliest Terrorist Organization* (New York: Thunder's Mouth Press), p. 89.

خاص على عدد قليل نسبيًا من الصراعات التي يكون ضحيتها المسلمون. **ثالثها**، اختزال تعقيدات الحالات الفردية وتنوع التفسيرات للظروف المختلفة باللوم المستمر لسياسة الغرب والغربيين. وبالإمكان القيام بهذا الأمر، لأن السلفيين المقاتلين لا يهتمون بالحوادث الفردية، بل يعطون أهمية أكبر للسرد العام المتعلّق بمعاناة المسلمين، الذي يُنظر من خلاله إلى الحوادث. ومع تسويق الحقائق الجزئية، وبعض التظلمات المشروعة، يضع السلفيون المسلمين كافة في موقع الضحية، وجميع غير المسلمين في موقع المعتدي. فالسلفية المقاتلة هي ماركسية خام، لكن مع استبدال الطبقة بالدين، في تفسير كيفية إدارة العالم. ويعطي السلفيون المقاتلون للصراعات المتنوعة في أنحاء مختلفة من العالم معنى مشتقًا من خطاب «اعتداء الغرب على المسلمين».

ثانيًا، يستقي قلق السلفيين المقاتلين من معاناة إخوانهم المسلمين أهمية متزايدة، لكن إلى الحد الذي يجيز لهم ردًّا عنيفًا فحسب، وإلّا، إذا كان قلقهم حقيقيًّا، فيمكن المرء أن يتوقع أن يكون المقاتلون قد بذلوا جهدًا مضنيًا في الماضي لتحسين حياة أولئك الذين يدّعون أنهم يمثلونهم، وأن كفاحهم القتالي يمثل الملاذ الأخير لهم. لكن ليست هذه هي الحال، إلا في القليل النادر؛ إذ ينخرط عدد قليل من السلفيين المقاتلين في جهد لمساعدة أبناء دينه، عبر العمل في مشروعات إنسانية حقيقية (التي لا تتضمن الجهاد). فمثلًا، زعم كثير من المقاتلين أنّ احتلال العراق يستحق ردة فعل عنيفة، لكن قليلين منهم[16] قاموا بعمل وجهد وقائيين عندما تبيّن بوضوح أن هذا الاجتياح صار محتملًا أو مرجحًا. والأمر الذي لا شك فيه، هو أن كثيرًا من المقاتلين بعيد جدًّا عن مجال المساعدة الإنسانية، وأن هذه الفئة تبقى كالقطرة في بحر المقاتلين؛ فالأكثرية العظمى من هؤلاء تنأى بنفسها عن التورّط في أي نوع من الأعمال السياسية، وتعتمد سردية السلفيين المقاتلين الكبرى، والعنف الشديد المرافق لهذه السردية، من دون الانخراط في أي جهد للتخفيف من معاناة الأمة.

---

(16) ادعى مختار إبراهيم أنه وياسين عمر اعترضا على الهجوم. انظر:

BBC News, «21/ 7 Plan «was Iraq War protest,» *BBC News Website*, 19/03/2007.

ثالثًا، يقدم التسلسل الزمني للحوادث قليلًا من الدعم للفكرة القائلة إن التشدد شُنّ للدفاع عن المسلمين والبلدان الإسلامية. وعلى الرغم من الادعاءات التي زعموها حول اعتبار احتلال العراق الحافز أو المحرّك الأوّل لهم، فإن هناك اثنين من مفجري لندن، هما شهزاد تنوير ومحمد صديق خان، كانا من بين المهللين عندما صدمت الطائرتان برج التجارة العالمي، أي قبل الاحتلال الأميركي للعراق بسنتين[17]. وكان كثيرون من المخططين الأساسيين والأعضاء في خلية مدريد داعمين لمجموعات مقاتلة في شمال أفريقيا، وإسبانيا، قبل حرب أفغانستان والعراق، أي قبل ظهور الحافز المزعوم الذي دفعهم إلى مهاجمة الركاب في العاصمة[18]. وقد قُوّضت هذه الفكرة القائلة إنّ احتلال العراق كان الدافع لهجومهم، بمحاولة ثانية قاموا بها حتى بعدما تبيّن أن الحزب الاشتراكي الذي وعد بسحب قواته من العراق، كان يتجه إلى الفوز بالانتخابات. ولما اتضح هذا الأمر أكثر، قام الإرهابيون بإضافة مطلب جديد. وفي سياق مماثل، جاء في ملاحظة لروا: «ذكر بن لادن الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني كتبرير لهجمات 11 أيلول/ سبتمبر، لكنه لم يشر إليه بعد ذلك»[19]. واكتُشفت في الآونة الأخيرة المكاسب السياسية الناجمة عن الإشارة إلى هذا الصراع، لكن كان من الصعب جدًّا تحويل مثل هذا صراع إلى دافع أو حافز رئيس له. ولا يمكن اعتبار العراق أو أفغانستان أو البوسنة، الحافز المسبب للنزعة القتالية، بل يجب الأخذ بهذه الحالات كلها مجتمعة، إضافة إلى سلسلة كاملة من الأمثلة المزعومة عن الاعتداءات الغربية.

---

(17) E. Vulliamy, «The IT Man who tried to stop the 7/7 Bombers,» *The Guardian*, 24/06/2006.

(18) P. Finn & K. Richburg, «Madrid Probe turns to Islamic Cell in Morocco,» *The Washington Post*, 20/03/2004.

(19) O. Roy, «Britain: Homegrown Terror,» *Le Monde Diplomatique*, 05/08/2005.

يشدد بن لادن، مع الكثير من الأعمال التي وُضعت عنه، على دور القوات الأميركية في تحويله من مقاتل محلي إلى مجاهد أممي. لكن روا يقول، «كان بن لادن مقاتلًا أمميًا منذ أوائل ثمانينيات القرن الماضي، ولم يُخفِ عدوانيته نحو الغرب، حتى عندما كان يقاتل السوفيات في أفغانستان. وحينما صُدم من استعانة العائلة المالكة السعودية بالولايات المتحدة في عام 1991، أدى هذا الأمر إلى تغيير موقفه حيال السعوديين (وكان على علاقة طيبة معهم في السابق) وليس حيال الولايات المتحدة التي كان يكرهها دائمًا.

هذا لا يعني أن الصراعات المتنوعة التي ذكرها المقاتلون لم تترك أي أثر في السلفية المقاتلة، بل فعلت. لكن السردية الكبرى الشاملة تأخذ أهمية أكبر من الصراعات الفردية. وهذه هي النقطة التي يطرحها آرونوفيتش عندما يتساءل عما يخص أولئك الذين يطرحون فكرة العدوان على العراق، وأفغانستان، والبوسنة كفصل إضافي في حكاية العداوة الأبدية:

«لاحِظ كيف يتم اعتبار ‹حالات القمع الأخيرة›»[20] حقائق. ونحن نعرف إلى من تشير، وإلى من لا تشير. ولا يدخل في الحسبان هنا الحكومة المنتخبة في العراق، والأكثرية الشيعية، والحقوق الكردية في هذا البلد. فيُنزع دين الإسلام عن هؤلاء الناس فحسب بهدف أداء دور الضحية. ويقوم السلفيون المقاتلون بهذا الأمر لأن هذه الفئة لا تدخل ببساطة ضمن السردية العامة الكبرى. فهم يعتبرون سنّة العراق هم الـ «نحن»، وليس الشيعة والكرد. ويدخل القرويون الذين قُصفوا في أفغانستان ضمن فئة «نحن»، وليس النساء اللواتي جرى تحريرهنّ. ولا يدخل مسلمو كوسوفو في فئة «نحن»، لأنّ الناتو تدخّل لإنقاذهم. فهُم خرجوا بعد ذلك من دين الإسلام. وأنا لا أطرح هنا نقطة أو فكرة بلاغية. فليس من قبيل الصدفة - من الناحية النفسية - أن يجري تجاهل ما يتعارض مع فكرة المعاناة، والتركيز فحسب على ما يدعمها. فلنتذكر سردية صدّام. كان هناك ثلاثة خيارات أساسية: **أولها**، التعامل معه. وهذا يساوي مساندة طغاة غير إسلاميين. **ثانيًا**، استخدام العقوبات ضده. وهذا يساوي قتل الأطفال المسلمين. **وثالثًا**، إسقاطه. والنتيجة ستكون كما سبق. وستُضاف جميع هذه الخيارات، بلا استثناء، إلى لائحة المظالم»[21].

آرونوفيتش هنا على حق. فالسلفي المقاتل لا يهتم بالسياسة إلا عندما يستطيع إدخالها في إطار الصراع المسلح بين كيانين خياليين، الإسلام و«الغرب».

---

(20) يستشهد بكلمات صحافي يشير إلى حرب العراق بهذه العبارات.

(21) D. Aaronovitch, «Nursing a Grievance, Blinded by Narcissism- Such Ordinary Killers,» *The Times*, 19/07/2005.

أخيرًا، وكما يقول أحد المعلقين، «هناك نوع من الاختزال وعدم الكفاية عندما نعتبر الأعمال الإرهابية ردة فعل سياسية على حقائق سياسية، سابقة أو حالية»[22]. وفي أحد المقالات الرائعة، ينتقد تولوليان عملية «التسييس» التي تميل إلى اعتمادها العلوم السياسية ودراسات الإرهاب. ويعرّفها بالجهد الذي يهدف إلى:

«تحويل حوادث معقدة إلى مجرد حقائق سياسية، تحفّز على القيام بأعمال سياسية أخرى، بما فيها الإرهاب... ولا يهم إذا ما كانت هذه الأسباب إبادة جماعية، أو فقدان السيادة، أو فقدان الأرض. فعندما تؤدي إلى أعمال إرهابية، يصبح الأنموذج شبيهًا بالجوهر: مجموعة من الحوادث التي توصف بالسياسية، وتتصرّف كونها 'سببًا'، فتخلق بين ضحاياها مجموعة من العناصر الذين تحركهم أسباب سياسية أو مرضية، للقيام بمجموعة أخرى من الأعمال الموصوفة بالإرهابية»[23].

في حالة السلفية المقاتلة، يبدو من خلال هذا التسييس أن بالإمكان فهم هذه الظاهرة كونها ردة فعل عسكرية مباشرة على الصراعات المختلفة: حرب العراق الأولى وحرب العراق الثانية وحرب البوسنة وحرب أفغانستان ...إلخ. وتؤدي هذه الصراعات دورًا مهمًّا، لكن لا تأتي هذه الأهمية من علاقة عرضية بين أعمال السياسة الخارجية وهجمات السلفيين المقاتلين. ولا تهم هنا الحوادث الفردية، أي عملية الشد والجذب في الواقع السياسي التي تؤدي إلى بروز حقيقة سياسية، بل ما يهم هو السردية الكبرى التي هم (المقاتلون) جزء منها. ويجري إدخال الحوادث السياسية، أي قائمة الصراعات التي جعلت المسلمين يتحملون آثار السياسة الخارجية الغربية، ضمن هذا المفهوم الأوسع عن كيفية اشتغال العالم.

تحصل الفظائع وتُشن الحروب ويُقتل الناس. ولأنه من غير السهل عرض

(22) K. Tololyan, «Cultural Narrative and the Motivation of the Terrorist,» in: D. Rapaport (ed.), *Inside the Terrorist Organization* (London: Frank Cass, 2001), p. 227.

(23) Ibid., p. 219.

أسباب هذه الفظائع، توضع خطب تفسيرية بديلة لشرح هذه الحوادث[24]. وكما ذكر برفيس وهانت: «تحدث الزلازل، ولا يرتبط وقوعها بالوعي الإنساني؛ لكن عملية وضعها في خطبة أو سياق هي التي تحدد ما إذا كانت «تحركات لصفائح تكتونية»، أو تجليات «لغضب الآلهة»[25]. وتمثل السلفية المقاتلة أحد أمثلة هذا التكييف للحقائق مع خطاب أو سياق كلامي قائم. فبالنسبة إلى دعاة خطاب كهذا، تأخذ الصراعات في سريبرينيتشا والعراق وأفغانستان والسودان والصومال معنى أو أهمية من خلال خطاب اعتداء الغرب على المسلمين، كمجتمع عالمي. وعندما نوافق على أنّ هذا الأسلوب لا يمثل إلا طريقة واحدة في مقاربة أو مشاهدة هذه السلسلة المتنوعة من الحوادث، سنقترب أكثر من إدراك النظرة العالمية المخصوصة، وهي البناء الخطابي المنطقي الذي يشكل أساس السلفية المقاتلة.

تفسير الدين

يشير عدد قليل نسبيًّا من المحللين إلى الدين كونه تفسيرًا للسلفية المقاتلة. وأول وهلة، قد يبدو هذا الأسلوب غير بدهي، لكن بعد نظرة متفحصة في أعمال كثير من الذين يقومون بهذا الأمر، نتفهم هذا التردد أكثر. يسعى هذا المبحث إلى إعادة إدخال الدين في الموضوع، لكن من خلال وضع أهميته في سياق ملموس. واعتبارًا لذلك، فإن ما يهم هنا ليس الفكرة المتجسدة عن دين معين، بل الثقافة الدينية.

يدعي السلفيون المقاتلون أن ما يحركهم أو يحفزهم هو تعاليم الإسلام. ويشددون على أنهم يعيشون ويموتون ويقتلون من أجل الواجب الديني. ويشرح صديق خان الأمر في شريط الفيديو الذي قام بتصويره:

---

(24) لتوضيح هذا الأمر في سياق الصراع في البوسنة، انظر:
L. Hansen, *Security as Practice: Discourse Analysis and the Bosnian War* (London: Routledge, 2006), & D. Campbell, *Writing Security: United States Foreign Policy and Politics of Identity* (Manchester: University of Manchester Press, 1992).

(25) T. Purvis & A. Hunt, «Discourse, Ideology, Discourse, Ideology, Discourse, Ideology…,» *British Journal of Sociology*, vol. 44, no. 3 (1993), p. 492.

«تخلينا، أنا وآلاف مثلي، عن كل شيء من أجل ما نؤمن به. ولا يأتي الحافز الذي يحركنا أو يدفعنا من السلع الملموسة التي يقدمها هذا العالم... فديننا هو الإسلام، أي طاعة الله الواحد الأحد، واتباع خطوات خاتم الأنبياء، محمد رسول الله... ومن هنا تنبع مواقفنا الأخلاقية»[26].

ودعا شريكه في المؤامرة، تنوير، إخوانه البريطانيين إلى الاستجابة لنداء الله:

«نحن ملتزمون مئة في المئة بقضية الإسلام... يا مسلمي بريطانيا... واجبكم هو في سبيل الله ولرسوله وللمستضعفين والمظلومين. وكما يقول تعالى في سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾» (التوبة: 38)[27].

قال محمد بويري الذي أوردنا اسمه سابقًا، خلال محاكمته إن أفعاله كانت ناتجة من وصية تدعو المسلمين إلى قتل من يهين الرسول[28]. وظهر حافز ديني مماثل عندما عُرضت رسالة في أثناء محاكمة الرجل الذي خطط لتفجير طائرة عبر الأطلسي مع ريد، كتب فيها سجيد بادات إلى أهله أنّ «لديه رغبة عارمة في بيع روحه إلى الله في مقابل الجنة»[29]. ووفقًا للحجة التي يقدمها المقاتلون، فهم يقومون بهذه الأفعال لأنهم مسلمون، وعليهم، بحسب إيمانهم، القيام بأفعال كهذه، وفقًا لذاك الأسلوب في الحياة. فالسلفية المقاتلة تعني بذل الجهد للعيش بحسب وصايا الإسلام.

يبدو أنّ أفعال السلفيين المقاتلين تعطي صدقية أكبر لمزاعم كهذه، مع وجود كثير من الأمثلة عن رجال ونساء مصممين على الذهاب إلى الموت، بسبب اعتمادهم تفسيرًا معيّنًا للإسلام. ويذكر أحد قادة المجاهدين في أفغانستان

(26) BBC, «London Bomber: Text in Full».

(27) MEMRI, «Al Qaeda Film».

(28) BBC, «Van Gogh Suspect Confesses Guilt,» *BBC News Website*, 12/07/2005.

(29) V. Dodd, «Former Grammar School Boy Gets 13 Years for Shoe Bomb Plot,» *The Guardian*, 23/02/2005.

تجربة مقاتلين يجسدون هذه الرغبة: «كانوا يقاتلون خلال النهار، وعندما كنت أريد إراحتهم، كان المقاتلون العرب يبكون، لأنهم يريدون الاستشهاد، ويقولون: ارتكبنا خطيئة، لذلك لم يخترنا الله للذهاب إلى الجنة. فأقول لهم إذا أردتم البقاء... والقتال، فلن أمنعكم. وكانوا يستشهدون في اليوم التالي»[30].

في السياق نفسه يذكر صحافي، هو مؤلف كتاب عن السلفية المقاتلة، كيف سافر منصور البركاتي، وهو سعودي، من مكة... إلى أفغانستان في عام 1987، للعودة بشقيقه الأصغر الذي كان قد سافر قبل ذلك للجهاد. وعندما قطع الحدود بين باكستان وأفغانستان، أحس «بقلبه يرتعش»، مع شعوره بالدخول إلى مكان مقدس. فتخلى عن البحث عن شقيقه، وسافر إلى مدينة جلال آباد للحصول على تدريب مدة شهرين في أحد مخيمات بن لادن. وانتقل بعد ذلك إلى الصحارى حول مدينة قندهار، التي شهدت أعنف المعارك خلال الحرب. وتميّز البركاتي بأعماله البطولية الفريدة، الأمر الذي جعله يرتقي ليصبح قائد المجاهدين العرب في المنطقة. وفي صيف عام 1990، أصاب صاروخ من عيار 120ملم سطح المنزل، حيث كان يجلس البركاتي. فنُقل بعد إصابته ونزيفه الشديد إلى باكستان للحصول على العناية الطبية. وعلى الطريق طلب الموت، وبكى، وقال: سئمت هذه الحياة، أريد لقاء الله»[31].

تتمتع فكرة الاستشهاد بموقع متميّز في هذا الخطاب الديني. ويذكر برغن قصة، رواها له الصحافي الباكستاني رحيم الله يوسف زاي، «كيف كان العرب ينصبون خيمًا بيضاء اللون في العراء، لجذب السوفيات، أملًا بالشهادة. ورأى أحد الأشخاص يبكي، لأنه لم يُقتل في هجوم جوي»[32].

لدعم مزاعمهم حول التقوى الدينية، يستشهد المقاتلون بآيات قرآنية

(30) Mohammed Din Mohammed, cited in J. Burke, *Al-Qaeda: Casting a Shadow of Terror* (London: I.B.Tauris, 2003), p. 76.

(31) P. Bergen, *Holy War Inc.: Inside the Secret World of Osama Bin Laden* (London: Phoenix, 2001), pp. 61-62.

(32) وردت في:

Ibid., p. 12.

عدة تدعو إلى أفعال عنيفة. وليس من الصعب الحصول على أمثلة عن وصايا مماثلة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: 5)، و﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (التوبة: 29)[33]. والفكرة التي يقدمها بعضهم هي أنّ الإسلام يتضمن تعاليم تدعو إلى العنف ضد الآخرين غير المؤمنين. وهذا عنصر مفتاح في تحريض المناضلين.

لماذا، إذًا، ينبغي عدم القبول بهذا الطرح باعتباره تفسيرًا حقيقيًا وكاملًا؟ فالسلفيون المقاتلون يعتمدون هذه الآيات (وغيرها مما يحتوي على وصايا مشابهة) تبريرًا لأعمالهم، وهي تبدو شديدة الوضوح. لكن المشكلة هنا تكمن في أن الاقتباس من الإسلام أو من أي دين آخر، يعني أن هذا الدين هو كيان من السهل تحديده وفهمه، في حين أنه توجد مجموعة من النصوص التي تشكل معًا تعاليم العقيدة الإسلامية، إلا أن من الضروري تفسيرها أو تحليلها أيضًا. وفي معرض تأكيدهم ورعهم أو عفتهم الأصولية والدينية، يشبّه السلفيون المقاتلون الدين الإسلامي ببرنامج على الحاسوب، بإمكان المرء من خلال قراءة رموزه التشغيلية، أي القرآن والحديث، أن يكتشف من هو المسلم، وماذا عليه أن يفعل أو لا يفعل[34]. وهذا خطأ؛ إذ إن من الممكن تفسير الآيات العنيفة التي يدّعي السلفيون المقاتلون أنها غير قابلة لأي تفسير بديل، بشكل مختلف، كما هي الحال في كل المفاهيم الدينية التي تعتمد على النص والدروس التاريخية، وذلك أمر يمكن أن يتسبب في اختلافات كبيرة. فعلى سبيل المثال، يشدد الشيخ المصري محمد سيّد طنطاوي على السياق الذي وردت فيه هذه الآيات؛ فبالنسبة إليه وإلى آخرين، لا يمكن حمل هذه الآيات على محمل مستقل، عمومي وشامل، بل يُنظر إليها في سياقها التاريخي. فهي لا تدعو إلى شن حرب متواصلة على غير المسلمين، لكنها تسمح للنبي محمد بالدفاع

(33) وتشير عبارة «أهل الكتاب» إلى المسيحيين واليهود.

(34) S. Sayyid, *A Fundamental Fear: Eurocentrism and the Emergence of Islamism*, 2nd ed. (London: Ziad Books, 2003), p. viii.

عن نفسه في المدينة[35]. وبالطبع يرفض الأشخاص الذين ندرسهم هنا هذا الرأي، بسبب إدراكهم المختلف المفضي إلى تأويلات أخرى. يقولون إن القرآن كلام الله الموجه مباشرة من خلال النبي محمد، وكل تأويل مختلف عن تأويلهم انحراف عن النص أو عن كلمة الله. وتظهر المشكلة مع هذا الرأي جليّة، عندما تُخلط دعوة واضحة إلى العنف، كـ ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ...وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: 191-193)، مع دعوة أخرى كـ ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنَّ اللهَ لا يُحبُّ المُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190). ومن يرفض التأويل أو التحليل، أمام هاتين الدعوتين المتناقضتين، فكأنه يعتمد اللاعقلانية أو اللامنطق.

من الضروري القول هنا إنّ بعض الكتابات التي يتم استخدامها اليوم لتسويغ الجهاد العنيف، يعود إلى نحو ألفي سنة. وعلى الرغم من ذلك، كان يوجد دائمًا نقص واضح في مفهوم الجهاد العنيف، في معظم الأوقات، وفي معظم أنحاء العالم. لكن هذا الموقف لا يحظى بالأغلبية، كما كانت الحال دائمًا، الأمر الذي يعني أنّ الكلمات نفسها أقل أهمية من عملية تقبلها من طرف الأشخاص المختلفين الذين يتلقونها، ومن درجة الإقناع في الرسالة وشكلها. ويكرر أحد الكتاب ما يردده كثيرون، فيقول إن منذ آلاف السنين كان المسلمون الذين يعتبرون أنفسهم «الصالحين» يعيشون في وئام اجتماعي وسياسي واقتصادي وثيق مع جيرانهم اليهود والمسيحيين، حيث تُظهر معاملة المسلمين لليهود بأن التسامح الديني كان هو القاعدة وليس الاستثناء. وتُعتبر الأندلس المثال الواضح على هذا الأمر، لكن هناك غيره من الأمثلة: العباسيون في بغداد، والفاطميون في القاهرة، والعثمانيون (الذين استقبلوا اليهود السفرديم المطرودين من إسبانيا في عام 1492)[36].

يُعتبر البحث في النصوص والتعاليم الدينية، للحصول على تفسيرات

(35) T. Munthe, «Terrorism: Not Who but Why?,» *Open Democracy*, 20/07/2005.

(36) Ibid.

مباشرة وثابتة عن الإرهاب، الأسلوب التحقيقي غير المفيد؛ فبالإمكان إيجاد كثير من الدعوات التي ترفض العنف، إلى جانب تلك التي تدعو إلى العكس. وتتوافر لكل منها حجج متباينة كليًا، فضلًا عن المعنى الحقيقي الذي تقدمه. وفي مذهب السلفية المقاتلة، يقع دور الدين في السردية الخاصة التي يُبلّغ عنها الشرع، من دون أن يوجبها، لكنها تُصاغ لديهم وفقًا لأشكال الفهم السياسي الذي يريده المقاتلون. ويجب فهم الجوانب الدينية والسياسية للكفاحية القتالية على أنها موجودة في سردية خاصة جدًّا، ترى في الغرب عدوًّا للأمة التي يشكل المقاتلون جزءًا منها، الأمر الذي يستدعي منهم، بحسب تأويلهم، ردًّا عنيفًا جدًّا.

السلفية المقاتلة هي حركة دينية مستوحاة من سردية كبرى دينية وسياسية، تدعو إلى التشدد الكفاحي في وجه عداء الغرب المزعوم للإسلام. والسلفي المقاتل هو المسلم الذي يصف هويته أنه مسلم قبل كل شيء، معتقدًا أنّ المسلمين يواجهون العدوان، وعليهم أن يردوا ردًّا عنيفًا[37]، وذلك بادعاء الانتماء إلى هوية إسلامية خاصة تحتل مكانة متميّزة، تُبنى على أساسها فكرة المعركة العالمية بين الإسلام والقوة المعادية له. ويُعتبر هذان العنصران تأسيسيين. وكلما ازدادت فكرة المعركة الوجودية رسوخًا، تعزز رسوخ مفهوم أنا/ نحن كسلوك خاص للمسلم الصالح. وبعد القيام بهذه الخطوة، وترسيخ فكرة الهوية الإسلامية المهددة، والحاجة إلى القيام بردة فعل عنيفة، لن يبقى إلّا القليل لتوضيحه في لغز السلفية المقاتلة.

ترتبط الأسئلة المهمة في هذا الموضوع بكيفية تأسيس هذه الهوية، وبسبب إصابة بعض المجتمعات بها. وسيتم تناول هذه المسألة في الوقت الملائم. لكن يجب أن ندرس أولًا إجابة الآخرين عن هذه الأسئلة.

---

(37) كما يذكر لوستن وويفر، فإن هذه الخطوة الإضافية، أي الفكرة القائلة إنّ الهوية مهددة، تميّز «المحافظين» من «الأصوليين». انظر:

C. Lausten & O. Waever, «In Defence of Religion: Sacred Referent Objects for Securitization,» *Millennium*, vol. 26, no. 3 (2000), p. 722.

الفصل الثاني

ما هي مشكلة هؤلاء الناس؟

تميّزت الكتابات الحديثة (من عام 1960 وبعده) من اعتماد الإرهاب من طرف جهات غير حكومية، بالتفسيرات السيكولوجية، خصوصًا في دراسة سمات الشخصية الفردية غير الطبيعية أو الشاذة التي يمكن أن تقود إلى تفسير الإرهاب[1]. ومن الكتّاب الذين اتبعوا هذا الأسلوب أو النهج برونو وفيراتشوتي، وهما باحثان قاما بدراسة مجموعات إرهابية يمينية في إيطاليا. واستنتجا أنّ هؤلاء الإرهابيين يعانون عوارض «بسيكوباتية»[2]. وما زالت هذه المقاربات تحصل إلى اليوم على الدعم أو التأييد. على سبيل المثال، كتب والتر لاكور مؤخرًا: «للجنون، خصوصًا جنون الشك والاضطهاد، دور في الإرهاب. وليس كل الشكاكين أو المذعورين بالإرهابيين، لكن جميع الإرهابيين يعتقدون أن قوى عظيمة ومعادية تحوك مؤامرات ضدهم، وهم يعانون بعض أشكال الوهم وهوس الاضطهاد [...]، وإنْ تردد كثيرون في الاعتراف بذلك»[3].

---

(1) من النادر أن يطبق هذا التحليل النفسي عينه على أولئك الذين يستخدمون الإرهاب باسم الدول، وهم من دعاته الأساسيين. ويقوم بعضهم بتحليل العيوب النفسية التي تدفع جنود بعض الدول إلى ارتكاب أعمال إرهابية.

(2) F. Ferracuti & F. Bruno, «Psychiatric Aspects of Terrorism in Italy,» in: I. Barak-Glanatz & C. Huff (eds.), *The Mad, The Bad and the Different: Essays in Honour of Simon Dinitz* (Lexington: Heath, 1981), p. 209.

ويتحدث الآخرون عن أهمية دور الشذوذ النفسي في تفسير الإرهاب، ومنهم:

L. DeMause, «The Childhood Origins of Terrorism,» *Journal of Psychohistory* , vol. 29 (2002), R. Pearlstein, *The Mind of the Political Terrorist* (Wilmington: Scholarly Resources, 1991), J. Post, «Rewarding Fire with Fire: Effects of Retaliation on Terrorist Group Dynamics,» *Terrorism*, vol. 10 (1987), J. Post, «Terrorist Psycho-logic: Terrorist Behavior as a Product of Psychological Forces,» in: W. Reich (ed.), *Origins of Terrorism: Psychologies, Ideologies, Theologies, State of Mind* (Washington, DC: Woodrow Wilson Center Press, 1988), & P. Wilkinson, *Terrorism and the Liberal State* (London: Macmillan, 1977).

(3) W.Laqueur, «Left, Right and Beyond: The Changing Face of Terror,» in: J. Hoge & G. Rose (eds.), *How Did This Happen? Terrorism and the New War* (Oxford: Public Affairs, 2001), p. 80.

يُعتبر التردد الذي يشير إليه لاكور ملائمًا تمامًا، لأنّ الدراسة التجريبية تقدم القليل من الدعم لمثل هذا الادعاء. وأظهرت ثلاثة عقود من البحوث التي أنجزها علماء نفس، من غير الدعاة الأكثر تصميمًا، أن هذا النهج كان في غير محله؛ فهناك على سبيل المثال ولفريد راش الذي أجرى في عام 1970 دراسة على أحدَ عشر إرهابيًا معتقلًا. وفي هذه الدراسة الإبداعية التي اعتمدت على خبرته كأستاذ للطب النفسي، وبمستوى لا مثيل له من التحقيق الأولي، تبين أنّ أولئك الإرهابيين الذين تم فحصهم أو دراستهم، لم يُظهروا أي علامات تشير إلى اضطرابات نفسية[4]. ويُظهر سيلك دينامية مماثلة في ما يتعلّق بمحاكمات الزعماء النازيين الأحياء في نورمبرغ، حيث استنتج المحلل النفسي خلال المحاكمة أنهم أشخاص «عنيفون، متعطشون للسلطة، مهووسون بالقتل، ويفتقرون إلى أي شعور إنساني حقيقي»، وهو حكم جاء متوافقًا مع توقعات الناس[5]. وبعد سنوات عدة، جُمعت نتائج التحليل النفسي الذي أجري على هؤلاء الأشخاص، مع النتائج الخاصة بعينة مختارة عن الشخص الأميركي العادي. واستنتج فريق الخبراء الذي راجع النتائج كلها، أنهم أشخاص عاديّون، أصحاء نفسيًا، ولم يكن هناك أي تمايز واضح بين النازيين وغيرهم[6].

ويشير سيلك إلى هذا الميل أو الاتجاه، مشبهًا التشوهات النفسية في جذور أي إرهابي بمنطق «قط الشيشاير»[7]. ففي قصة **أليس في بلاد العجائب** التي كتبها لويس كارول (L. Carroll)، اعتقدت هذه القطة عدم وجود غير

(4) W. Rasch, «Psychological Dimensions of Political Terrorism in the Federal Republic of Germany,» *International Journal of Law and Psychiatry*, vol. 2 (1979).

وقد ناقضت هذه الدراسة تأكيدات سابقة، كتلك الواردة عند:

H. Cooper, «What is a Terrorist? A Psychological Perspective,» *Legal Medical Quarterly*, vol. 1 (1977).

(5) A. Silke, «Holy Warriors: Exploring the Psychological Processes of Jihadi Radicalization,» *European Journal of Criminology*, vol. 5, no. 1 (2008), p. 104.

(6) M. Harrower, «Were Hitler's Henchmen Mad?,» *Psychology Today*, vol. 6 (1976).

(7) A. Silke, «Cheshire-Cat Logic: The Recurring Theme of Terrorist Abnormality in Psychological Research,» *Psychology, Crime and Law*, vol. 4, no. 1 (1988).

المجانين في تلك البلاد. لذا عندما يكون المرء في بلاد العجائب، فهذا يعني أنه مجنون. وأظهرت كتابات كثيرة عن الإرهاب اتجاهًا مماثلًا، معتقدة أنّ «العنف الإرهابي أمر غير عادي، ويتناقض مع المعايير المقبولة في المجتمع، ويشير إلى شذوذ أو تشوهات نفسية»[8]. يذكرنا هذا الإصرار لدى كثيرين بوجود مشكلات نفسية تمثل سببًا أساسيًا وجذريًا للإرهاب، بتلك الدراسة الشهيرة عن سكان يتمتعون بصحة عقلية جيدة، أُدخلوا إلى مستشفيات الأمراض النفسية من دون إعلام الموظفين بأن إدخالهم هدفه إجراء تجربة اختبارية عليهم. ففسّر الفريق الطبي في المستشفى تصرفات «المرضى» الجدد على نحو ثابت وروتيني، واعتبرها ناجمة عن شذوذ نفسي، وذلك لسبب بسيط هو مجرد وجودهم في المستشفى[9].

الادعاءات الواردة في الكتابات عن وجود استعدادات نفسية مسبقة للإرهاب، تدعمها أدلة من روايات ضعيفة، مصدرها عدد قليل جدًّا من الإرهابيين. لنأخذ مزار مثلًا، وهو ذو أهمية خاصة هنا لأنه لا ينظر إلى عدد محدود من الحالات فحسب، بل يسعى إلى ربط «نهج تقليدي» بفكرة الاغتراب داخل المجتمع، وهذا موضوع سنعالجه لاحقًا[10]. فبالنسبة إلى مزار، «تأخذ المظالم الاجتماعية والاقتصادية أهمية كبيرة، وخطورة بالغة عندما تقوم بإنعاش معاناة نفسية كامنة»[11]. وهو يقول إنّ عملية التحول إلى التشدد في الشرق الأوسط تبدأ «بنوع من السخط، هو مزيج من القلق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، يرتكز في عمقه على آلية تصادم الهوية والكرامة في أثناء الانتقال من التقليدي إلى الحديث، ومن غير الغربي إلى الغربي، ومن الريفي إلى المديني. ويمكن أن يتضمن هذا السخط مجموعة من الأمراض ذات الصلة، تبدأ بالركود الاقتصادي وتنتهي بالقمع السياسي،

(8) Ibid., p. 52.

(9) D. Rosenhan, «On Being Sane in Insane Places,» *Science*, vol. 179 (1973).

(10) M. Mazarr, «The Psychological Sources of Islamic Terrorism,» *Policy Review*, vol. 125 (2005).

(11) Ibid., p. 30.

الطبقي. وفي وضع خطِر كهذا تتدخل ظاهرة تُسمى ‹منظومة الهوية›، وهذه كناية عن شخص يُقدم علاجًا للاغتراب الشعبي والقلق»[12].

حتى عندما يُقبَل العسير من مشكلات المعالجة وفقًا لهذا النهج النفسي الخاطئ، غالبًا ما يتردد الكتّاب في التخلي عنه تمامًا، ويحاولون تمريره من الباب الخلفي. ومع تجنب الادعاء الصريح بأن الإرهابيين عانوا خللًا نفسيًا محددًا، يعتبر بوست أن الإرهابيين الذين قابلهم باحثون آخرون، «أظهروا خاصية مميزة لأفراد نرجسيين»[13].

كثرت الانتقادات لهذا النهج؛ فإضافة إلى تلك الواردة سابقًا، تتضمن كتابات هورغان وسيلك، وليونز وهاربنسون[14] انتقادات أخرى. لذلك، من الصعب أن نعرف ما يجب عمله لإقناع الذين يستمرون في الاعتماد على هذا النهج، بالصعوبات الكامنة فيه. والوقت غير ملائم الآن للخوض في مناقشة حاسمة. اعتُمد هذا المنهج النفسي لفترة وجيزة، على الرغم من بعض المصاعب التي تعترضه، لكن كثيرًا من الكتابات الأحدث عن السلفية المقاتلة (التي سيطرت على عالم الإرهاب)، قام بتطبيق منهج آخر يؤدي إلى المصاعب نفسها. وهذا البديل هو فكرة الاغتراب، وهي فكرة تتمتع بموقع متميّز كونه تفسيرًا محتملًا لتحوّل الناس إلى السلفية المقاتلة. وهذا لا يعني تساوي المنهجين: الخلل النفسي والاغتراب؛ ففي بعض الأحيان، يحظى المنهج الثاني بدعم من البراهين الميدانية، ويُظهر بعض التعاطف الضروري مع المعتدين،

---

(12) Ibid., p. 36.

في الحقيقة هناك الكثير من الإيجابيات التي تدعو إلى التوصية بهذه الدراسة، لكن عملية تأصيل التحليل في العوامل النفسية، تقوم مع غياب العدد الكافي من الأدلة الداعمة، بتقويض هذه الإيجابيات.

(13) J. Post, «Rewarding Fire with Fire,» p. 24.

(14) J. Horgan, *The Psychology of Terrorism* (London: Routledge, 2005), H. Lyons & H. Harbinson, «A Comparison of Political and Non-Political Murderers in Northern Ireland, 1974-84,» *Medecine, Science and the Law*, vol. 26 (1986), & A. Silke, «Becoming a Terrorist,» in: A. Silke (ed.), *Terrorists, Victims, and Society: Psychological Perspectives on Terrorism and Its Consequences* (Chichester: Wiley, 2003).

لفهم الإرهاب بدلًا من الاكتفاء بشيطنته[15]. إضافة إلى ذلك، تقودنا الكتابات الجيدة عن منهج الاغتراب إلى عمليات ومفاهيم مفيدة في فهم ظاهرة السلفية المقاتلة، وكذلك إلى أفكار معيّنة، مثل اللاانتماء الإقليمي أو المناطقي المحدد، والمخيال السياسي. لكن الصعوبات التي يعانيها مبدأ الاغتراب تقوّض هذه الإيجابيات الكامنة فيه، وهي صعوبات مشتركة مع منهج «الخلل النفسي»، نتطرق إليها في نهاية الفصل، لكن قبل القيام بذلك من الضروري التطرّق بالتفصيل إلى كيفية فهم الاغتراب وإفضائه إلى السلفية المقاتلة.

الاغتراب

منذ حوالى نصف قرن، أعطى روبرت نيسبت دورًا مركزيًا لـ «نظرية الاغتراب في العلم الاجتماعي المعاصر»، واعتبر أنها «وصلت إلى درجة كبيرة من الأهمية. وأصبح هذا المنهج سائدًا تقريبًا، كما كانت عقيدة المصلحة الذاتية المستنيرة سائدة منذ جيلين»[16].

يُعتبر هذا الادعاء صحيحًا في كثير من الكتابات عن السلفية المقاتلة في الغرب اليوم. ويصف كثير من الكتّاب مبدأ الاغتراب بأنه حاسم وخطِر لفهم هذه الظاهرة وشرحها. لكن لسوء الحظ لم يجر توضيح معنى الاغتراب دائمًا، ولا الأثر المحتمل الذي يسببه. وهناك في الحقيقة شقّان رئيسان في عملية التنظير لمبدأ الاغتراب في السلفية المقاتلة: الفردي والبنيوي.

عدم الرضا واليأس: الاغتراب الفردي

ترتكز أفكار الكتّاب في هذا الموضوع على عدم رضا الأفراد عن جانب من حياتهم. ويقودهم هذا الاستياء إلى البحث عن السلفية المقاتلة، أو يجعلهم عرضة لها. ويعطي الفيلسوف الألماني هانس ماغنوس إنزنسبرغر مثالًا جيّدًا

---

(15) من غير الضروري القول إن التعاطف يختلف عن الشفقة، والفهم يختلف عن الغفران أو التغاضي، فللأسف هناك فرق.

(16) R. Nisbet, *The Quest for Community* (New York: Oxford University Press, 1953), p. 153.

عن هذا الأسلوب. ففي مقالة كتبها في عام 2005 بعنوان «الخاسر الراديكالي»، يعتبر الإرهاب عملًا انتقاميًا مدمرًا يقوم به الفاشلون في المجتمع[17]. وهو يرى أن كل إطار مجتمعي يضم عددًا قليلًا من الرابحين أو الفائزين، إلى جانب قائمة من الخاسرين. وهذه هي الحال في مجتمع رأسمالي معولم. وفي نظام سياسي واجتماعي واقتصادي معقّد، ليس من منطق لمثل هذه اللامساواة. فيربح الرابحون ويخسر الخاسرون بسبب مجموعة معيّنة من العوامل التي لا تُعزى ولا تعود إلى الأفراد أنفسهم، كما لا يمكنهم فهمها أيضًا. وتبقى هذه الأسباب خارج نطاق إرادة الأكثرية، ولا يمكن معرفتها أو تحديدها. لذلك لا تظهر بوضوح، أو لا تنعكس علاماتها على الأفراد. يقول إنزنسبرغر إنّ هذا الوضع لا ينطبق على أولئك الذين يحملون صفة «الخاسر الراديكالي»؛ فهؤلاء يتفاعلون على نحو مختلف، ويغضبون من هذه الظاهرة التي لا يمكنهم تفسيرها، ولا تعود عليهم بالنفع. فالخاسر الراديكالي فرد يشعر بفقدان حقوقه الشخصية، فيلجأ إلى العنف غير المبرر، وليس الإنصاف غايته، بل الانتقام من المسؤولين[18]. ويقول إنزنسبرغر أيضًا: «في ظاهرة أو عملية غير مفهومة وفوضوية، تنفصل أو تنسحب الطبقات السفلى، وينسحب المهزومون والضحايا. ويمكن أن يقبل المهزوم بمصيره ويستسلم له، فيما الضحية تطالب بترضية. وعلى الأرجح أنهما يبدآن بالتحضير للجولة التالية. لكن الخاسر الراديكالي ينعزل ويتخفّى، محافظًا على وهمه، ومحتفظًا بطاقته، منتظرًا الوقت الملائم»[19].

يرى إنزنسبرغر أن الإسلاموية، ومن ضمنها السلفية المقاتلة، تقدم ملاذًا أو مجتمعًا بديلًا لهؤلاء الأفراد. وهي تدعم رؤيتهم بأنهم عوملوا بقسوة، وليسوا مسؤولين عن هذا المصير. ومثل التنظيمات الأخرى جميعها، تؤمّن السلفية المقاتلة لهؤلاء الأفراد ما يُسمى رفقة المنكوبين من أمثالهم، وتستبدل

(17) H. Enzensberger, «The Radical Loser,» *Sign and Sight*, 01/12/2005.

(18) Ibid.

(19) Ibid.

شعورهم بالعجز بشعور موقت بالقوة الكلية[20]. ويعتبر إنزنسبرغر أن منذ سقوط الاتحاد السوفياتي «استطاعت منظمة إرهابية واحدة العمل على الصعيد العالمي، إنها الإسلاموية. وهي تحاول على نطاق واسع استنزاف الطاقة الدينية لديانة عالمية يتبعها 1.3 مليار مؤمن، ليسوا أحياء أو ناشطين فحسب، بل يتمددون ديموغرافيًا في كل قارة. وعلى الرغم من تعرّض هذه الأمة لكثير من التفتّت الداخلي، وتضررها نتيجة النزاعات القومية والاجتماعية، تبقى الأيديولوجيا الإسلاموية الوسيلة المثالية لتعبئة الخاسرين الراديكاليين، بسبب دمجها الدوافع الدينية والسياسية والاجتماعية[21].

يدعو إنزنسبرغر إلى دراسة قائمة أعداء الإسلاموية[22]، وهي قائمة تشبه تلك التي اعتمدتها الأجيال السابقة في المنظمات العنيفة في الغرب: الولايات المتحدة والغرب المنحط والرأسمالية والصهيونية. لكن الإسلاميين المقاتلين قاموا بإضافة فئة أخرى إلى هذه القائمة، هي فئة الكفرة أو غير المؤمنين. هكذا لا يتشابه أعداؤهم مع أعداء المنظمات المقاتلة الأخرى فحسب، بل يشملون أيضًا أغلبية الناس. وتلبي هذه الحال حاجة الخاسرين الراديكاليين إلى ضرب الحشود المجهولة، أي أولئك الذين يجهلون مسؤوليتهم في فشل القلة المتعصبة. ويرى إنزنسبرغر أنّ جاذبية الإسلام المقاتل تكمن في توفير قائمة شاملة من الأعداء، وفي شرعنة استخدام العنف ضدهم. ويقدم الإسلام المقاتل هذه المزايا الناجمة عن شعور بعض الأفراد بالاغتراب عن مجتمعهم، وعن رغبتهم في الانتقام.

يبني يان بوروما على نظرية إنزنسبرغر حول الخاسر الراديكالي، فيركّز في كثير من كتاباته في هذا الموضوع على محمد بويري، الذي أطلق النار على ثيو فان غوغ، ثم حاول قطع رأسه بسكين، واستعمل سكينًا أخرى لحفر

(20) يلحظ وجود عشرات المنظمات التي تتبنى قضية غير مادية، كما لاحظ الآخرون لاحقًا.

(21) M. Enzensberger, «The Radical Loser».

(22) مثال جيّد عن المصطلحات غير الدقيقة التي تخلط بين مجموعة من المعتقدات والممارسات.

رسالة على جسده. يشرح بوروما الحادثة فيقول: «وُلد بويري في هولندا من أبوين مغربيين. وحاول كمراهق أن يعيش بحسب الثقافة السائدة في مسقط رأسه. فكان يشرب الكحول، ويدخن الحشيشة، ويغوي النساء الهولنديات. كل شيء في هذه الثقافة، من موسيقى البوب إلى الإعلانات التلفزيونية، كان يوحي بالجنس. لكن هذا العالم يختلف عن جو منزله، حيث يجب حجب الأم القديسة والأخوات العذارى عن العيون الشهوانية. هكذا بدأت حال محمد تسوء. الفتيات الهولنديات لم يكنَّ سهلات المنال كما كان يعتقد. وعندما أهمل دراسته وواجه مشكلات مع الشرطة، لم يحصل على الدعم المطلوب. ولما أصبح لشقيقته صديق، أخذته سورة من الغضب، وشعر بالعار والنبذ، كأنه عديم الفائدة. وهكذا تحوّل إلى خاسر راديكالي، فقدمت إليه الإسلاموية الشرعيةَ والحق في القيام بجريمة مبررة، والإحساس بالقوة والشهادة على الرغم من أنه إحساس عابر»[23].

يضيف بوروما إلى هذا المزيج التوضيحي عاملًا جنسيًا، فيتطرّق إلى جانب من السلفية المتشددة، لم يجرِ التطرّق إليه كثيرًا من قبل. فعلى الرغم من الهيمنة الساحقة للذكور في صفوفَ السلفيين المقاتلين، واهتمامهم بالأدوار والممارسات الملائمة للجنسين، لم يحظَ دور الجنس (ذكرًا أو أنثى) بالدراسة الكافية. لكن بوروما وجّه عنايته إلى دور الجنس في منح بعض الناس صفة الخاسر أو الفاشل؛ فذلك قد يضيف إلى فكرة الراديكالية البطاشة الكامنة عاملًا جنسيًا، ويدمجها بالوضع النفسي العام السيئ الذي يعيشه هؤلاء الأشخاص. وعندما يكشف هؤلاء الرجال كرههم للنساء، يظهرون للعلن، وينغمسون في عربدة العنف.

لدعم هذه الفرضية، يذكر بوروما أنّ محمد عطا، وهو من قاد مجموعة خطفت الطائرات وهجمت بها على واشنطن ونيويورك في عام 2001، «قام بزيارة نادٍ للتعري، قبل قيادته الطائرة لصدم أحد برجي التجارة العالميين. وبما أنّ ممارسة التعري ممنوعة ومثيرة للاشمئزاز، لكنها مغرية، فإنها تُظهر موقفه

(23) I. Buruma, «Extremism: The Loser's Revenge,» *The Guardian*, 25/02/2006.

من النساء على وجه العموم»[24]. ويُزعم أيضًا أنّ عطا وباقي الخاطفين قاموا بمشاهدة أفلام جنسية، واستمتعوا بخدمات المومسات في الفندق الذي نزلوا فيه ليلة واحدة قبل الهجوم[25]. وتتناقض هذه الممارسات بوضوح مع الوصايا الأخلاقية التي ذكرها عطا في وصيته، والتي وضعها قبل الهجوم بخمس سنوات، وأصر فيها على طهارة جسمه من نجاسة لمسه جسد امرأة[26]. ولم يكن عطا وأفراد خلية هامبورغ وحدهم على هذه الحال؛ فالإرهابيون الهولنديون المعروفون بالهوفستاد، كانوا يشاهدون الأفلام الجنسية والعنيفة على الإنترنت[27].

الذين يطبقون هذه النظرية على السلفية المقاتلة، تعود أهمية نظريتهم في شأن «الشعور بالاغتراب بعد الفشل في المجتمع»، إلى أنها تقود إلى الرغبة في الانتقام من أولئك المسؤولين عن هذا الفشل. والجاذبية الكفاحية الراديكالية مصدرها الفرصة التي تقدمها إلى الخاسر أو الفاشل للانتقام من المنتصرين أو الناجحين. واختيار العقيدة السلفية المقاتلة يُعتبر خيارًا طارئًا أو يحصل بالمصادفة؛ ذلك أن منظمات أخرى بإمكانها القيام بالدور نفسه. فاختيار هذا الفرد المستاء أو ذاك، النازيةَ أو السلفية المقاتلة أو الشيوعية، إنما يعود إلى رواج كل من هذه العقائد في موسمها أو وقتها الملائم، وليس إلى ما تتضمنه فلسفة هذه العقائد من قدرة على الإقناع[28]. يقول أحد المراقبين:

---

(24) Ibid.

(25) T. McDermott, *Perfect Soldiers. The 9/ 11 Hijackers: Who They Were, Why They Did It* (New York: Harper, 2005), p. 230.

(26) Anonymous, «Trail of a Terrorist,» *PBS Website*, 21/10/2001, at: www.pbs.org/ wgbh/ pages/ frontline/ shows/ trail.

(27) A. Benschop, interview with author, 24/09/2007, & P. Costello, «The Secret Life of Mohammed Bouyeri,» *Front Page Magazine*, 28/07/2005.

(28) لهذا السبب تحظى الانشقاقات المتفرقة في هذه المنظمات بتغطية واسعة. ويُعتبر ديفيد مايات وستيفن سمايريك من الأمثلة للأفراد الذين انتقلوا من أقصى اليمين السياسي إلى السلفية المقاتلة؛ إذ كان مايات مؤسسًا وعضوًا فاعلًا في منظمة اجتماعية قومية إنكليزية متطرّفة قبل أن ينتقل إلى الجهاد المتطرّف. انظر:

N. Woolcock & D. Kennedy, «What the Neo-Nazi Fanatic Did Next: Switched to Islam,» *The Times*, = 24/04/2006.

«يقدم الإسلام الراديكالي، وقبله الفاشية والشيوعية، نوعًا من المعنى والهدف لحياة الخاسرين والهامشيين في المجتمع، أولئك الذين يلومون «النظام» على مصائبهم (وعادة ما يُحدد هذا «النظام» على أنه: الطبقة الحاكمة، اليهود، الرأسماليون، الكولونيل ساندرز ...إلخ)»[29]. فالاعتراف بوجود المظالم الدينية والسياسية لن يعطينا الفهم الكافي لكفاحية هؤلاء الناس. والحصول على إجابات وثيقة الصلة بالموضوع، يستدعي فهم الفرد ونقائصه. وما يهمنا هنا هو العدو وليس الأهداف. فالسلفي المقاتل يقوم بالرد العنيف، ليس دفاعًا عن قضية سامية، بل للتعبير بغضب عن إخفاقاته. وبحسب هذه المقاربة، تُعتبر السلفية المقاتلة وسيلة ملائمة لإنزال أكبر قدر ممكن من الضرر بالمجتمع الذي ظلم المقاتل أو أساء إليه. يقول أحد المراسلين الصحافيين: «تعود موجات العنف غير العقلانية في الغرب... إلى أعمال المنعزلين والخاسرين الذين يعجزون عن التعامل مع خيبات أملهم بطريقة بناءة أو مبتكرة، فيذهبون بدلًا من ذلك إلى طقوس الموت، وكأنهم في عملهم الانتحاري يقولون للآخرين في العالم: «اذهبوا إلى الجحيم»»[30].

يقدم دعاة هذه الوجهة في التفسير، التفسير نفسه إلى الإرهاب وإلى مجموعة أوسع من أعمال العنف. فالباعث على قيام كفاح سياسي مقاتل بحسب هذا التفسير، هو نفسه ما يحفز العنف غير السياسي الذي يقوم به الأشخاص المرتاعون الغاضبون، أولئك الذين يطلقون النار على الآخرين في الجامعات والمدارس والمراكز التجارية. أحد المراقبين يقول في ما يخص هجمات عام 2005 في لندن: «علينا أن نعتبر الهجمات التي حصلت في نهار 7 تموز/يوليو، نسخة بريطانية عن الهجمات المسلحة غير العقلانية التي تحصل

= آمن سمايريك، وهو من النازيين الجدد، بالإسلام، وتدرّب في أفغانستان، لكنه اعتُقل في إسرائيل في عام 1997، عندما كان يحضّر لهجوم. وأُفرج عنه، بعد أن وافق على نبذ العنف في عام 2004، لكن يبدو أنه لم يتب. انظر:

L. Vidino, *Al Qaeda in Europe: The New Battleground of international Jihad* (New York: Prometheus Books, 2006), p. 33.

(29) J. Goldberg, «I have Rights,» *The National Review*, 05/08/ 2005.

(30) B. O'Neill, «Terror in the Classroom,» *The Guardian*, 03/10/2006.

في الولايات المتحدة، مثل حادثة إطلاق النار في مدرسة في بنسلفانيا... فهي ليست هجمات سياسية، بل صرخات عنيفة من الغضب»[31]. وعلى المنوال نفسه تعتبر سيزاري أن ما تقوم به السلفية المقاتلة الانتحارية «يشبه حادثة قيام تلامذة أميركيين بإطلاق النار من سلاح حربي (كلاشينكوف) في مدرستهم، ليقتلوا الآخرين وينتحروا بعد ذلك. فما يقومون به عمليًا هنا، هو تنظيم عرض لموتهم»[32]. وعلى ما يبدو، تتشابه بواعث العنف لدى أشخاص مثل توماس هاملتون ومارك لوبين وإريك هاريس وديلان كليبولد، مع تلك الخاصة بالسلفيين المقاتلين[33]. وسنتناولها باختصار.

تسود في مثل هذه التفسيرات فكرة الاغتراب الفردي. وبينما يقوم بعض الأفراد المغتربين باعتداءات معزولة، نجد آخرين يبحثون عن منظمات تسمح لهم بالانتقام، فينضمون إلى مجموعات من الفاشلين أمثالهم، لتوحدهم عقيدة تحدد العدو ووسيلة إلحاق الأذى به. وبسبب عقيدتها العنيفة، وتقسيمها العالم إلى فسطاطي الخير والشر، تقدّم السلفية المقاتلة الوسيلة الأمثل لنقل اليأس الذي يشعر به هؤلاء الأشخاص، وتفسيرًا للويلات التي عاناها الخاسر الراديكالي. وتقدم أيضًا مخرجًا منها، عبر وصفة العنف المشروع والمبرر الذي تقترحه.

بحسب تفسيرات أخرى، يقود الاغتراب الذي يتخذ شكل استياء شديد، إلى الكفاحية المقاتلة. وتقول هذه التفسيرات إن نمطًا معيّنًا من الابتئاس والاستياء، أو حادثة مهمة، يمكن أن تدفع إلى طريق الكفاحية المقاتلة. لذا

---

(31) Ibid.

(32) J. Cesari, «Muslims in Europe and the Risk of Radicalism,» in: R. Coolsaet (ed.), *Jihadi Terrorism and the Radicalisation Challenge in Europe* (Aldershot: Ashgate, 2008), p. 112.

(33) قتل هاملتون ستة عشر تلميذًا ومدرسًا واحدًا، خلال اعتداء في مدرسة دانبلاين، في اسكتلندا في عام 1996، قبل أن ينتحر. في عام 1989، قام لوبين بإطلاق النار في مدرسة البوليتكنيك في مونتريال، كندا. وقتل وهو يصرخ «أنا أكره النسويات»، ستة وعشرين شخصًا، قبل أن ينتحر. أما كليبولد وهاريس، فهما المسؤولان عن مجزرة كولومبين (Columbine)، التي أدت إلى مقتل خمسة عشر شخصًا، بمن فيهم القاتلان.

يقول سيجمان: «قبل انضمامهم إلى الجهاد، يكون المجاهدون المحتملون في حال اغتراب على الصعيدين الروحي والاجتماعي، ويشعرون على الأرجح بنوع من الابتئاس»[34]. وهو يعزو، جزئيًا في الأقل، كفاحية المقاتلين المحتملين المستقبلية، إلى حال محتملة من الابتئاس والتعاسة. ويضيف: «أولئك الذين يشعرون بأنّ المجتمع لن يقدم إليهم الكثير، هم على الأرجح الأكثر عرضة للانضمام إلى التشدد النضالي. ويدل هذا الأمر على أهمية دور الحرمان الذاتي والعزلة الاجتماعية مجتمعين . فشعور الفرد بخيبة مصدرها وضعه الاقتصادي، مع شعوره النسبي بعدم الانتماء الاجتماعي، يشجعانه على الانضمام إلى ممارسات طائفية، خصوصًا في حال وجود ترابط قوي بين الأشخاص المنتمين إلى الطائفة المعنية[35].

يقول معلّق آخر: «عانى المقاتلون على الأرجح مآسي في حياتهم، كفقدانهم أشخاصًا أعزاء من عائلاتهم أو أقاربهم، أو عانوا نقصًا في الحب، أو من البطالة»[36]. تبدو هذه العوامل مقنعة في الحالتين، لكنها تبقى غير مدعّمة بأدلة. فهم (المقاتلون) مبتئسون **على الأرجح، ولربما عانوا مآسي** (التشديد هنا على الطابع الاحتمالي). ولنا عودة إلى هذه النقطة لاحقًا.

المقاربة الأوسع انتشارًا بين أولئك الذين يعتمدون المنهج القائل إن الابتئاس هو مصدر الاغتراب، تتمثل في تقديم ترجمة قصيرة لحياة شخص تحوّل إلى التشدّد الكفاحي. شعوره بالتعاسة والاستياء هو الذي يساعد في تفسير سبب تحوّله اللاحق إلى الكفاحية القتالية. لذا عندما يصف الكتّاب بالتفصيل العذاب في حياة الناس، فهم لا يقدمون وصفًا فحسب، بل يقدمون أيضًا دليلًا محتملًا لنظرية تتكلّم على اضطراب عميق في محاور أساسية من حياة الفرد. هذه النظرية تشكل جزءًا حساسًا من تفسير سبب سير بعض

(34) M. Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004), p. 98.

(35) Ibid., p. 118.

(36) J. Larsson, «Religious Ideologies,» in: J. Forrest (ed.), *The Making of a Terrorist* (Westport: Praeger, 2006), p. 184.

الأشخاص على درب السلفية المقاتلة. وللتوضيح نشير هنا إلى بضعة أمثلة عن هذه المقاربة اخترناها من بين عدد كبير منها.

كان مختار سعيد إبراهيم من المجموعة التي فشلت في تفجير أجزاء من نظام النقل في لندن في عام 2005. وبعد الهجوم ظهر الكثير من المعلومات عن نشأة إبراهيم التي تميزت بالحرمان والهجر والعنف، وهي معلومات لا يمكن اعتبارها مجرد وصف، بل هي محبوكة لتؤدي، جزئيًا في الأقل، دور تفسير جزئي لبواعث اتّباع إبراهيم هذا المسار في حياته. ومن أمثلة هذا الشرح التفسيري:

«مع عائلته جاء إبراهيم من أريتريا طلبًا للجوء السياسي، فحصل على إذن إقامة لعام 1992 كقاصر عمره 14 عامًا. ذهب إلى مدرسة كانونس (Canons) الثانوية حتى سن السادسة عشرة (الدراسة الرسمية). وفي إدجوير (Edgeware) شمال لندن، وبعد سنة من تركه المدرسة اعتُقل مع أربعة شبان آخرين [...] في إثر حادثة سطو في أحد الشوارع [...] فحُكم على إبراهيم بالسجن خمس سنوات، لأنه كان يحمل سكينًا»[37].

يضيف معلقون آخرون: «يُعتقد أنه انتقل من مؤسسة إلى أخرى: من فلتهام في غرب لندن إلى أيلزبيري، ثم إلى بدفورد، وهنتركومب، وبعدها إلى جانب هنلي على التايمز، ووود هل في ميلتون كينس. ويُعتبر هذا العدد من التنقلات غير طبيعي بالنسبة إلى حدث شاب، ويعني إما أنه كان يحضر جلسات في محاكم مختلفة، وإما أنه كان يُعتبر مشكلة بالنسبة إلى المسؤولين المحليين. وذكر أحد أصدقائه السابقين أنّه كان يدخن الحشيشة في صغره، وكان شخصًا مثيرًا للمشكلات»[38].

من الواضح إذًا، أنّ هذه التقارير لا تخوض، مثلًا، في المحتوى الأيديولوجي لفلسفات السلفي المقاتل، ولا في مزاعم هؤلاء الإرهابيين حول

---

(37) D. Gardham & P. Johnston, «Terror Suspect Is a Convicted Mugger,» *The Telegraph*, 17/08/2005.

(38) A. Travis & A. Gillian, «Bomb Suspect «Became a Militant» in Prison,» *The Guardian*, 28/07/2005.

سبب توجههم الإرهابي إلا نادرًا، غير أنه يفهم منها ضمنيًا أنّ الحرمان الذي عاناه إبراهيم وغيره كان السبب الرئيس في تشددهم.

هناك صور مشابهة عن خلفية أو ماضي مفجّر آخر، هو ياسين حسن عمر. «كان عمر صوماليًا، يبلغ من العمر 11 عامًا عندما وصل مع أخته الكبرى وزوجها إلى بريطانيا في عام 1992، طالبين اللجوء السياسي... حصل على الرعاية في السنة التالية، وأمضى السنوات السبع الموالية من عمره في دور مختلفة للرعاية. وبعد إقامته في عدد من المنازل التي تقدم الرعاية البديلة، قُوّم عمر كيافع بالغ غير حصين (قابل للعطب)، فحصل على مساعدة للعثور على بيت بموجب خطة الرعاية من بعد، التي تديرها مؤسسة الخدمات الاجتماعية»[39].

أما أحمد رسام فاعتُقل في أثناء محاولته عبور الحدود من كندا إلى الولايات المتحدة، لتفجير مطار لوس أنجلوس. وتحدث كثير من التقارير عن تأثير مرض أُصيب به في طفولته، فأعاق دراسته وأثر سلبًا في مستقبله[40]. وأدّى فشله في طفولته لاحقًا إلى سيره في طريق السلفية المقاتلة. كان أحمد في سن السادسة عشرة عندما أُرسل من وطنه الجزائر إلى فرنسا، بعدما شخّص الأطباء إصابته بقرحة.

«بعد عودته إلى وطنه، اضطر إلى إعادة سنته الدراسية في المدرسة الثانوية، لتغيّبه عنها في أثناء علاجه في فرنسا. كان يميل إلى الأرقام، ويركز على أصعب المواد الدراسية: الرياضيات، لكنه فشل في الامتحان النهائي. فشكل ذلك صدمة مفاجئة، لأنه حرمه من دخول الجامعة. وتناقصت الخيارات والفرص أمامه. فحاول الحصول على وظيفة شرطي، لكن قيل له إنه غير مؤهل، وأُقفلت في وجهه أبواب الدخول إلى الطبقة الوسطى»[41]، وأدى هذا الإحباط إلى التحاقه بالسلفية المقاتلة لاحقًا.

---

(39) Ibid.

(40) H. Bernton et al., «The Terrorist Within: The Story Behind One Man's Holy War against America,» *The Seattle Times/ PBS*, 07/07/2002, & Anonymous, 'Trail of a Terrorist'.

(41) Bernton et al., «The Terrorist Within».

وردت قصة مماثلة لقصة أحمد رسام عن أحد مفجري نظام النقل في لندن في عام 2005. ومفادها أن جيرمان ليندساي أراد الانتساب إلى جامعة خاصة، لكن استمارة طلبه رُفضت بسبب خطأ ورد فيها[42]. ذُكرت هذه القصة كونها سببًا للإحباط العميق الذي أدى إلى اختياره السلفية المقاتلة لاحقًا.

يمكن استبدال أسماء هؤلاء الأشخاص الذين يروي بوروما مقتطفات من قصصهم، باسم محمد بويري، مع اختلاف بسيط في القصة التي يرويها، واصفًا معاناة هذا الشاب من نكسة أخرى أصابته. ففي تشرين الثاني/ نوفمبر 1997، دخل بويري في مشادة مع عدد من رجال الشرطة في أحد مقاهي أمستردام. وعندما تقدم إلى وظيفة أمنية في مطار شيبول (Schiphol) بعد ذلك بسنة، رُفض طلبه بسبب تقرير الشرطة السلبي عنه[43].

لاحقًا «حلت به كارثة أو نكسة أخرى، فبعد الإفراج عنه وتركه السجن الذي أمضى فيه 12 أسبوعًا، توفيت والدته جراء إصابتها بسرطان الثدي. كان محمد ولدها المفضل. وكان على الرغم من نوبات غضبه الدورية، بارعًا في إخفاء مشاعره. لم يحضر جنازة أمه في المغرب، ولم يظهر مباشرةً تأثره بوفاتها. اعتقد الناس الذين يعرفونه أنه أخذ يميل إلى التأمل. ولاحقًا قبل قتله فان غوغ، كتب في رسالة وداع إلى أهله أنه أراد «البحث عن الحقيقة»[44].

تبيّن هذه التقارير جاذبية السلفية المقاتلة، لأنها تقدم إلى الأشخاص المستائين جدًّا إمكان الخلاص من التجاوزات الاجتماعية والجرائم الصغيرة والفشل التعليمي والانحراف بلا هدف والتجارب المؤلمة[45]. لذا يسمي

(42) F. Stockman & D. Slack, «For Jamaican Native, Life Path Led From Success to Extremism,» *The Boston Globe*, 22/07/2005.

(43) I. Buruma, *Murder in Amesterdam: The Death of Theo Van Gogh and the Limits of Tolerance* (London: Atlantic Books, 2006), p. 200.

(44) Ibid., p. 207.

(45) لا تقتصر هذه التقارير على المقاتلين الغربيين. انظر:

L. Bokhari et al., «Paths to Global Jihad: Radicalisation and Recruitment to Terror Networks,» *FFI/RAPPORT*, 2006, pp. 35-36, at:
www.mil.no/ multimedia/ archive/ 00077/ paths_to_global_jiha_77735a.pdf.

فيكتوروفيتش عملية الانتقال الراديكالي إلى الكفاحية القتالية البحث عن «نظام للمعنى الديني يكون مُرضيًا لتفسير السخط والتعامل معه»[46].

كتب روبرت بيب عن هذا الأسلوب الذي يقدم وصفًا دقيقًا للأوقات الصعبة في حياة الناس بوصفه تفسيرًا محتملًا لتشددهم، مشيرًا إلى تواتره أو تكراره. وأضاف: «في العقود الماضية وضع صحافيون وباحثون عددًا كبيرًا من التقارير الهادفة إلى شرح المنطق الفردي الكامن وراء الإرهاب الانتحاري، وذلك بجمعهم روايات عن حياة انتحاريين، روايات تتبع نهجًا متشابهًا. يبدأ الكاتب بمقابلة عائلة الانتحاري وأصدقائه وشركائه، فيطرح عليهم أسئلةً عن حياته الخاصة ووضعه النفسي. ومن هذه المقابلات يجمع تفصيلات حياة الانتحاري، ويبذل جهدًا كبيرًا في تحديد المراحل الانتقالية الأساس التي حملت هذا الشخص على الرغبة في الموت، وأدت إلى قبوله الطوعي بمهمته الانتحارية»[47].

يعتبر بيب هذا الوصف أو التفسير غير كافٍ، وهو على حق في هذا؛ فالمشكلة ليست في عدم وجود أساس أو ركيزة لكل الادعاءات المتصلة بمساهمة الاغتراب الفردي في التشدد القتالي، بل في غياب الجواب، وحتى في انعدام إمكان الإجابة عن عدد الأفراد الذين شعروا بهذا الاغتراب، ومدى تأثيره في تشددهم اللاحق. لكن قبل البحث في هذه المسائل، علينا الانتقال إلى الفكرة الثانية عن الاغتراب، وتتعلق أكثر بالبنى أو الهيكليات التي يقيم الفرد في داخلها.

الحديث عن هذا الجيل: الاغتراب البنيوي

تحظى الفكرة القائلة إنّ الاغتراب البنيوي يفسر الانتقال إلى الراديكالية، ثم إلى التشدد القتالي لاحقًا، بدعم ملحوظ يتجاوز دعم نهج الاغتراب

(46) وردت في Ibid., p. 36، والاقتباس هو في الواقع من:
R. Stark & W. Bainbridge, *A Theory of Religion* (New Brunswick: Rutgers University Press, 1996), p. 223.

(47) R. Pape, *Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism* (New York: Random House, 2005), p. 171.

الفردي. ويعتمد هذا التفسيرَ المزعوم عددٌ من المحللين الأكثر دراية وعلمًا في مجال السلفية المقاتلة. وهو تفسير يرتكز بقدر كبير على فكرة الاغتراب الجيلي (ضمن جيل معيّن) التي تشدد على جذب السلفية المقاتلة فئة الذكور الشبان على نطاق واسع. ويشير التحليل الجيلي إلى أنّ جاذبية السلفية المقاتلة تكمن في الأوضاع غير المسبوقة التي يعيشها شبّان هذه الفئة. وبحسب أوليفيه روا، تقسم الأوضاع التي تقود إلى النضالية القتالية ثلاث فئات:

1) الجيل الثاني من الشبّان الذكور، 2) الشبّان الذين جاءوا إلى الغرب من شمال أفريقيا أو منطقة الشرق الأوسط للعمل أو الدراسة، 3) المتحولون دينيًا الذين غالبًا ما يكونون منبوذين (الأقليات العرقية غير المسلمة، مجرمون سابقون من ذوي البشرة السمراء أو من منطقة الكاريبي والذين أسلموا في السجن، مدمنون على المخدرات وجدوا في الإسلام خلاصًا من الإدمان، أو أشخاص انضموا إلى رفاقهم المسلمين بعد تبنّيهم الكفاحية القتالية). وهم عادةً يعتنقون نمط الحياة الغربي، ويبتعدون عن التيار الرئيس للمسلمين»[48].

بحسب هذه الفكرة، يجد المقاتلون أنفسهم بعيدين في الوقت نفسه عن جيل أهلهم، وعن المجتمع الأوسع الذي يعيشون فيه. وفي هذا يقول روا: «نحن لا نتعامل مع ردة فعل جماعة مسلمة تقليدية، بل مع إعادة صوغ ديني ملائمة لثورة عامة يقوم بها جيل هائم، يتأرجح بين جذوره الثقافية والحياة

---

(48) O. Roy, «A Clash of Cultures or a Debate on Europe's Values?» *ISIM Review*, vol. 15 (Spring 2005), p. 6.

. تقدم الاستخبارات الهولندية (AIVD)، التصنيف نفسه، وتعتبر أن بالإمكان تقسيم المتحولين إلى السلفيّة المقاتلة من حيث الخطر ثلاث مجموعات. تسمى الفئة **الأولى** المتحولين دينيًا، أي الذين ولدوا من أصل هولندي، وترعرعوا كشباب هولنديين، لكنهم آمنوا بالدين الإسلامي، ويرغبون في القيام بنشاط لدعم الجهاد والمشاركة فيه. أما الفئة الثانية، فتعود إلى المهاجرين الشبّان الذين جاءوا إلى هولندا منذ سنتين، وحصلوا مؤخرًا على إقامة موقتة أو حتى إقامة غير رسمية، وهم لا يتقنون اللغة الهولندية... وتعود الفئة الثالثة إلى شبّان من الجيل الثاني أو الثالث للمهاجرين في هولندا.

AIVD, *Annual Report 2001* (2002), pp. 9-10.

الغربية»[49]. ويصف معلّق آخر «الراديكاليين اليوم بالسلالة الجديدة. وهم لا يثورون ضد مجتمعهم فحسب، بل ضد جماعتهم الخاصة نفسها، وزعمائها التقليديين»[50].

لا يتفق المحللون والمعلقون الذين يعتمدون نهج الاغتراب البنيوي أو الجيلي في شأن السبب الذي يدفع هؤلاء الشبّان إلى الشعور بالاغتراب. فيرى معظمهم أنّ المسلمين الغربيين يعانون الرفض أو الصد العرقي، وأن السلفية المقاتلة تقدم إليهم ملجأً من هذه المعاناة. وهذه فكرة نخوض فيها لاحقًا. أما الفئة الثانية التي نفصّل رأيها الآن، فترى أنّ الدافع إلى الكفاحية القتالية يكمن في التمييز والحرمان الاقتصادي.

الحرمان الاقتصادي

على الرغم من وجود فروق إقليمية ووطنية، يتقاضى المسلمون في الغرب مرتبات متدنية، ويشغلون مناصب أدنى من الفئات الأخرى، على وجه الإجمال. ووضعهم هذا يختلف عن وضع الأجيال السابقة التي كانت حالهم أسوأ. فمنذ أربعين أو خمسين سنة كانت المجتمعات الأوروبية تجلب العمالة من المستعمرات السابقة للقيام بالأعمال التي يأنف منها المواطنون المحليون. وفي ذلك يقول بوروما: إن «العمل القذر في سنوات الطفرة كان يقوم به العمال الضيوف»... أي رجال غير متزوجين، يعيشون في بيوت رخيصة، ويقومون بأي عمل لإعالة أسرهم في الوطن[51]. كان هؤلاء لا يعتبرون هذا الوضع ترتيبًا نهائيًا لحياتهم، لكن هذا ما حدث لكثيرين منهم . والحقيقة أن تحسنًا بطيئًا كان يصيب أوضاعهم المعيشية. تميّزت حياتهم بالحد الأدنى من الأجور، في مقابل عملهم في وظائف لا يقوم بها المواطنون غير المهاجرين. وورث أولادهم عنهم هذا المصير.

---

(49) Roy, «A Clash of Cultures or Debate on Europe's Values?».

(50) C. Power, «The Lost Generation,» *Newsweek*, 07/08/2005.

(51) Buruma, *Murder in Amesterdam*, p. 20.

يعتبر بعض المحللين هذه الحالات من عدم المساواة والبؤس سببًا رئيسًا للكفاحية القتالية الغربية. وبحسب منطق هؤلاء المحللين، يرى بعض المسلمين أن السلفية المقاتلة تقدم تفسيرًا وحلًّا محتملًا للصعوبات الاقتصادية التي يعيشونها في البلدان التي ولدوا فيها. وفي هذا السياق يشرح جيل كيبيل المشقة التي تحمّلها المسلمون في بريطانيا: «النتائج الكاملة لإعادة الهيكلة الاقتصادية للقوة الاقتصادية مابعد الصناعية، منذ أواخر عقد السبعينيات من القرن الماضي. في السابق كان هؤلاء السكان يحصلون على وظائف لا تتطلّب براعة، لكنهم أصبحوا اليوم يعانون بطالة طويلة. ويبدو قاتمًا جدًّا مستقبل أولادهم الذين أصبحوا جاهزين للعمل اليوم. وباستثناء بعض المجموعات النخبوية، لم تحصل هذه الفئات على الأساس الثقافي الذي يخول لها الحصول على وظائف مستقرة في مجتمعات تتميّز بالحداثة. ويشعر عدد كبير من هذه الفئات بأنهم ضحايا التمييز العنصري»[52].

يكتب كيبيل أيضًا: «يُعتبر كثير من شبّان العائلات المهاجرة ضحايا التفكك الاجتماعي والرفض في سوق العمل، مع أنهم في معظمهم مواطنون في بلدان ولدوا فيها»[53]. هؤلاء الأشخاص معرضون بقوة للوقوع في شباك الكفاحية القتالية. ويدعم آخرون هذه الفكرة. ومنهم سيجمان على سبيل المثال. يصف هذا الأخير عددًا من المهاجرين العرب الأغنياء الذين جاءوا إلى أوروبا لمتابعة تعليمهم. ويلاحظ «كيف كانوا يشعرون بالاغتراب في البلدان التي استقبلتهم، وكيف عانوا البطالة والتمييز على الأرجح، وكيف عاشوا حالًا من الحرمان النسبي»[54]، فأصبح الرجال منهم مناضلين مقاتلين.

هذه التوصيفات لمعاناة المسلمين من الحرمان والتمييز، قُدمت لتدعيم الفهم القائم على اعتبار الفقر النسبي الذي عانوه، وتصورهم إياه، قد يكونان سببًا جزئيًا في تشددهم الكفاحي. ويطرح من يعتمدون هذا الرأي عوامل

(52) G. Kepel, *Allah in the West: Islamic Mivements in America and Europe* (Oxford: Polity, 1997), p. 84.

(53) Ibid., p. 237.

(54) Sageman, *Understanding Terror Networks*, p. 97.

أخرى، ربما ساعدت في نمو الكفاحية القتالية الفردية. لكن الدافع الأساس هو الحرمان الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه المسلمون في العالم الغربي.

الإقصاء العرقي

تشكّل فكرة تعرّض المسلمين للإقصاء العرقي في المجتمعات التي يعيشون فيها، والتي شهدت ولادة كثيرين منهم، الوجه الأكثر شعبية في منهج «الاغتراب البنيوي». من المرجح أن يكون المهاجرون السابقون قد تعرّضوا لمثل هذه المعاناة، لكن شعورهم بها لم يكن على قدر شعور أبنائهم الذين يمتلكون توقعات بمستقبل أفضل، تفوق كثيرًا توقعات آبائهم. فالأبناء الذين ولدوا في المجتمع الغربي لم يتوقعوا أن يتعرضوا للإجحاف الذي تعرّض له آباؤهم، ولم يقبلوه. وقام بعض الكتّاب والمحللين بشرح تفصيلي لهذا الإقصاء الذي مارسته البلدان الغربية، فقدّم كيبيل مرة أخرى مثالًا جيدًا عن هذه الفكرة، بقوله: «لا دماء مسلمي شمال أفريقيا التي سُفكت فيما هم يقاتلون مع الجيش الفرنسي في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولا العَرق الذي بذله العمال المهاجرون منهم، خلال عيشهم في أحوال سيئة جدًّا لإعادة إعمار فرنسا (وأوروبا) في مقابل أجور زهيدة بعد عام 1945، لا تلك الدماء ولا هذا العَرق ساعدا أولادهم على الشعور بأنهم مواطنون في فرنسا أو في أوروبا»[55].

كثيرًا ما تظهر قصص الإقصاء هذه في تقارير عن تاريخ هؤلاء الأفراد، لتطرح شرحًا جزئيًا لسبب تطرفهم القتالي. ويُعتبر ريتشاد ريد، الرجل الذي حاول تفجير طائرة متجهة من فرنسا إلى الولايات المتحدة، مثالًا على ذلك. والده أسمر اللون من جامايكا، ووالدته فاتحة اللون من إنكلترا. عانى الاستغلال العنصري والنبذ في المدرسة. وعندما التقى والده بعد قضاء مدة في السجن، تحدث عمّا يمكن أن يلحق بشاب بريطاني من محن وضيق عندما

(55) G. Kepel, *The War for Muslim Minds: Islam and the West* (London: Belknap Press, 2004), p. 268.

يُقال له: «إذهب إلى بلادك أيها الزنجي»[56]. وقادته هذه العنصرية، إضافة إلى البطالة والوحدة، إلى الكآبة. وبحسب عمته، أصبح هدفًا سهلًا لأناس يقدمون إليه الصداقة والمعنى لحياته. تشرح العمة كيف أنه «كان يشعر بالوحدة والفراغ في حياته. ووجد العزاء والسلوان مع إخوة له مسلمين. فأصبح هذا عنده أكثر من دين. أصبحوا إخوته»[57].

يُعتبر زكريا الموسوي الأنموذج أو المثال الأنموذجي في كثير من الأحيان، وهو يقضي الآن حكمًا بالسجن مدى الحياة، بسبب دوره في الهجمات على مركز التجارة العالمي في عام 2001. في سيرته التي كتبها أقرب الناس إليه، يقدم أخوه عن طفولتهما في فرنسا الوصف التالي: «كل يوم بعد المدرسة، كنا نلعب أنا وزاك بالبلْية (كرات زجاجية) مع الصديق نفسه الذي كان جارنا. وبعد العطلة الصيفية عدنا إلى المدرسة، فجاءنا هذا الصديق في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر أحد الأيام، وكالعادة ناديناه 'ريمي!'. لم يرد علينا، وظل ينظر إلينا من بعيد. ذهبنا إليه وسألناه ما الأمر، فقال:

«لا يمكنني أن ألعب معكما»

«لماذا؟ لماذا لا يمكنك أن تلعب معنا؟»

«لأنّ والديّ يمنعاني من ذلك».

«لكن لماذا يمنعانك من اللعب معنا اليوم؟ فنحن نلعب معًا كل يوم»

«ليس اليوم فحسب، بل إلى الأبد. فهم يقولون إنكم زنوج، ولا يريدان أن ألعب مع زنوج»[58].

كان من الصعب نسيان هذا الرفض العنصري. ويكمل: «لاحقًا، في

---

(56) M. Elliott, «The Shoe Bomber's World,» *Time World*, 25/02/2002.

(57) وردت في:
O. Craig, «From Tearaway to Terrorist- the story of Richard Reid,» *The Telegraph*, 31/12/2001.

(58) A. Moussaoui, *Zacarias Moussaoui: The Making of a Terrorist*, trans. F. Bouquillat (London: Serpent's Tale, 2003), p. 58.

سن المراهقة، رحنا نواجه ردات فعل مختلفة. كانت الفتيات اللواتي نخرج معهن يقلن لنا إنّ أمهاتهن وآباءهن يرفضوننا، ولا يريدون لبناتهم الخروج مع عرب»[59]. لم تكن هذه العنصرية التي لم يواجهها أو يعاينها حتى والدهما مقبولة عند هذين المهاجرين من الجيل الثاني، ولم يكن لديهما إلا القليل من الملاذات في المجتمعات الأخرى التي يلجآن إليها، لأنها كانت من غير المهاجرين. ثم شعرا أنهما ضائعان بين ثقافتين. ويتابع شقيق الموسوي: «لم نشعر أننا فرنسيون من حيث المولد والمنشأ، وكنا أكثر ملاحظةً لهذا الأمر كلما جابهنا العنصرية. ولم نعش في المقابل أشخاصًا من أصول مغربية... لذا بدأنا نشعر بفراغ داخلي، فحاولنا أنا وزكريا التأقلم مع هذا الفراغ وهذه الهاوية بطرائق مختلفة. ومثل كثيرين من أبناء جيلنا، لم نكن على اطلاع جيد على ثقافتنا الأصلية، ولا كنّا نعلم أي شيء عن العادات الاجتماعية في العالم العربي. ولم نصبح مقبولين في البلد الذي ولدنا فيه»[60].

يتفق كثير من التقارير الأخرى مع روا «حول وجود فجوة واضحة، تفصل الجيل الثاني الذي وُلد في أوروبا وعاش فيها، عن الجيل الأول، ليس ثقافيًا ولغويًا فحسب، بل في ما يخص التوقعات الاجتماعية أيضًا»[61]. ويقدم واضعو كتاب عن مسجد فينسبري بارك، في شمال لندن، وهو المؤسسة التي شكلت مركز المجتمع الإسلامي الراديكالي في المدينة التي كانت تُعتبر مركزًا للنشاط القتالي في الغرب، التفسير نفسه. ورد في هذا الكتاب أنّ «أولئك الذين كانوا يصلّون في الجامع شكلوا خليطًا أنموذجيًا من المنبوذين اجتماعيًا، وهم من صغار المجرمين الذين سُجنوا من قبل والمشردين ومدمني المخدرات وطالبي اللجوء السياسي الذين هربوا من مشكلات بلدانهم، إضافة إلى مراهقين متحمسين [...] على خلاف مع أسرهم. إنهم من جنسيات مختلفة، لكنهم جميعًا يشتركون في الشعور بالاغتراب والغضب. كان معظمهم من أصول مهاجرة، يشعرون بالغبن والخداع، لأن آباءهم لم يحصلوا على المكافأة التي

(59) Ibid., p. 61.

(60) Ibid., p. 58.

(61) O. Roy, *Globalized Islam: The Search for a New Ummah* (London: Hurst, 2004), p. 101.

يستحقونها في العمل الشاق الذي قدموه إلى هذه البلاد، منذ مجيئهم إليها. ويشعرون أيضًا بالخجل لأن آباءهم كانوا شديدي الخضوع. أما هم، أبناء الجيل الثاني، فلم يقبلوا أن يعاملوا باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، ولم يقبلوا التوبيخ العنصري الذي كانت توجهه إليهم عصابات البيض العازمة على طردهم من مجتمعاتهم الخاصة داخل المدينة»[62].

يعتبر أصحاب هذا الطرح أنّ الرفض الذي واجهه هؤلاء الشبّان، إضافة إلى فشلهم في التكيّف على نحو هادف مع مجتمع محلي أو قومي، دفعاهم إلى اعتماد هوية مختلفة، «تُعزّز لديهم الشعور بأنهم ضحايا العنصرية والرفض والعزلة في الغرب»[63]. ولهذا يجذب التشدد القتالي في بريطانيا، خصوصًا الشبان الواقفين بين «الثقافة العرقية» المفترضة لأرض الأجداد، وطريقة الحياة «البريطانية» المفترضة[64]. ولا ينحصر هذا الوضع في بريطانيا، بل نجد في أماكن أخرى من الغرب المشاعر نفسها والمنطق نفسه.

وفقًا لهذه المقاربة تُثبت السلفية المقاتلة فاعليتها؛ فهي تقدم هوية إلى أشخاص يتساءلون عن الهوية الخاصة بهم، بعدما شكك فيها الآخرون وازدروها. أما في الحلقات السلفية، فيتم تذكيرهم دائمًا بأنّ عرقهم يتفوّق على جنسيتهم، وبأنّ مسقط رأسهم أو عرقهم أو دينهم، أهم من البلد الذي يعيشون

---

(62) S. O'Neill & D. McGrory, *The Suicide Factory: Abu Hamza and the Finsbury Park Mosque* (London: Harper Perennial, 2006), pp. 78-79.

لاحظ هذا المزيج أو التهاجن بين أنواع الاغتراب. ودُرس هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في الدراسة النقدية اللاحقة.

(63) Roy, *Globalized Islam*, p. 309. For some other examples, see Buruma, *Murder in Amsterdam*, p. 116; N. Oussekine, cited in A. Lebor, *A heart Turned East: Among the Muslims of Europe and America* (London: Little, Brown & Company, 1997), p. 161, G. Kepel, *Jihad: The Trail of Political Islam* (London: I. B. Tauris, 2002), p. 310, & J. Gunning, «Terrorism, Charities and Diasporas: Contrasting the Fundraising Practices of Hamas and Al Qaeda Amongst Muslims in Europe,» in: T. Bierstker & S. Eckert (eds.), *Countering the Financing of Terrorism* (New York: Routledge, 2008), p. 106.

(64) S. Vertovec, «Young Muslims in Keighley, West Yorkshire: Cultural Identity, Context and «Community»,» in: S. Vertovec & A. Rogers (eds.), *Muslim European Youth: Reproducing Ethnicity, Religion, Culture* (Aldershot: Ashgate, 1998), p. 87.

فيه[65]. ويردّ هؤلاء الشبان على لغز اللاأدري، فيكتشفون لأنفسهم هوية جديدة، مؤكّدة للذات وعابرة الأوطان، وهي أنهم مسلمون[66]. في هذا السياق، شرح سعد الدين إبراهيم كيف أن «منظمات السلفية المقاتلة، باعتمادها الأخوّة بين الأعضاء والتقاسم المتبادل والدعم الروحي أو المعنوي، تُصبح المرادف أو الموازي الوظيفي للعائلة الكبيرة التي تركها الشاب وراءه. وبعبارة أخرى، تؤدي المنظمة الإسلامية دورًا مخففًا من شعور أعضائها بالاغتراب، لا يمكن أن نجد له مثيلًا في منظمات سياسية أخرى منافسة»[67]. وكتب كولسايت وسوايلاند عن شعور هؤلاء المقاتلين بـ «التقارب والانتماء داخل مجموعتهم الفرعية، وعن استحالة إيجاد هذا الشعور في مكان آخر»[68]. وقال غاننغ، إن «التأييد لتنظيم القاعدة يمكن أن يكون على أشده بين أولئك الذين يشعرون بعزلة اجتماعية وسياسية، ويبحثون عن هوية مطلقة»[69]. ويتحدث معلق آخر عن «شعور المهاجرين الجدد الذين تحولوا إلى التشدد، كمحمد عطا وزياد الجراح اللذين شاركا في الهجوم على مركز التجارة العالمي في عام 2001، بالاغتراب والعزلة بعد مغادرتهم أوطانهم. أما الإسلام المقاتل فلم يقدم إليهم أصدقاء جددًا فحسب، بل أيضًا هوية جديدة، ومكانًا في هذا العالم»[70]. وهناك من يقول: «يتواصل المسلمون، أولئك الذين تجمعهم المعاناة من العنصرية

---

(65) أظهرت دراسة استقصائية مثيرة للاهتمام أن أولئك الذين اعتبروا أوروبا معادية للإسلام كانوا أكثر بحوالى خمسين في المئة من أولئك الذين مروا بتجارب شخصية مريرة انظر:

Pew Research Center, «Muslims in Europe: Economic Worries Top Concerns About Religious and Cultural Identity,» 2006, p. 2.

مع أنها دراسة غير حاسمة، فهي تُظهر أن التجربة الشخصية غير كافية لتبرير التشدد. ويبقى السؤال هنا: لماذا يسود هذا التصوّر عن العداء الغربي؟

(66) A. Waldman, «Bombings in London; Seething Unease Shaped British Bombers' Newfound Zeal',» *The New York Times*, 31/07/2005.

(67) S. Ibrahim, «Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Note and Preliminary Findings,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 12 (1980), p. 448.

(68) R. Coolsaet and T. de Sweilande, «Epilogue: Zeitgeist and (De-) Radicalization,» in: R. Coolsaet (ed.), *Jihadi Terrorism and the Radicalization Challenge in Europe*, p. 170.

(69) J. Gunning, «Terrorism, Charities and Diasporas: Contrasting the Fundraising Practices of Hamas and Al Qaeda Amongst Muslims in Europe,» p. 106.

(70) P. Neumann, «A Crisis of Identity and the Appeal of Jihad,» *International Herald Tribune*, 05/07/2007.

وكراهية الإسلام، في ديار شتات المسلمين في البلوتوقراطيات (حكم الأثرياء) الأوروبية، يتواصلون في ما بينهم باعتبارهم مسلمين لا أفرادًا في مجتمعات عرقية أو قومية»[71].

بحسب هذه المقاربة المهمة، يعتمد كثير من الكتّاب المعروفين في هذا المجال الفكرة القائلة إنّ النقص في الهوية يدفع نسبة من الشبان المسلمين إلى البحث عن هوية بديلة، أو يحملها على تقبل بديل يُقدَم إليهم. يقول كيبيل: «عندما تعاني هذا الاغتراب، تُصبح هدفًا سهلًا للجهاديين»[72]. ويرى خوسروخافار أن الاغتراب يقود إلى التطابق مع أقلية مسلمة راديكالية، ومن ثمة إلى شعور بالصداقة والتعاطف القويين مع مسلمين آخرين يعانون الظلم والاستبداد في مكان آخر من العالم. ومعاناة المسلم وتهميشه في المجتمع، يتراءيان له كانعكاس لمعاناة المسلمين في العالم كله. وتقوم أسباب المعاناة هذه، وهي الالتزام بالإسلام الحق، وعدوانية الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، بترسيخ تصور ما عن علاقة نقية بين أبناء الدين الواحد[73]. لكن شعبية هذه المقاربة الرائجة، والمعرفة الكبيرة التي يتمتع بها دعاتها، يجب ألا تحجبا المشكلات الكبيرة التي تلتبس بها. وهي مشكلات، في حال اجتماعها، تقوّض جديًا دور مفهوم الاغتراب في تفسير الكفاحية القتالية.

الرواج غير المبرر لأطروحة الاغتراب

غموض في توظيف فكرة الاغتراب

يؤدي تعريف الاغتراب على نحو غير مضبوط ودقيق، هذا في حال تعريفه، إلى نشوء مشكلة كبرى متعلقة بتفسيرات هذا الشعور وعلاقته بالسلفية

(71) A. Sayyid, *A Fundamental Fear: Eurocentrism and the Emergence of Islamism*, 2nd ed. (London: Ziad Books, 2003), p. xx.

(72) وردت في:

B. Livesey, «The Salafist Movement,» *PBS Website*, 25/01/2005.

(73) F. Khosrokhavar, Suicide Bombers: *Allah's New Martyrs*, trans. D Macey (London: Pluto Press, 2005).

المقاتلة. ولا نقصد هنا القول إن مفهوم الاغتراب لم يستخدم في حقل العلوم الاجتماعية على وجه العموم، أو في البحوث المتعلقة بظاهرة الإرهاب على نحو خاص. فماركس ودوركهايم (الذي يستخدم مصطلح التفكك الاجتماعي anomie)، وسارتر وغيرهم، عالجوا مسألة الاغتراب وقاموا بدراسات تطبيقية على نحو مفيد حول مفهومه. لكن ما قام به أولئك الكتاب اللامعون، يختلف اختلافًا كبيرًا عن استعمال كثيرين اليوم لمفهوم الاغتراب في سياق الكلام عن السلفية المقاتلة. فنادرًا ما يوضح مستعملو هذا المفهوم اليوم ما الذي يريدون قوله أو وصفه حين يطبقونه على ظاهرة السلفية المقاتلة. وليس المقصود هنا أن الاغتراب لا يشكل أحد العوامل التي يمكن أن تساهم في التشدد، بل الإشارة إلى أن استعمالاته في التقارير السابقة المدرجة أعلاه، لا تُظهر ماهيته بوضوح، أو كيف يعمل ويؤثر. فإذا لم يكن هناك فهم واضح لكيفية استخدام مصطلح ما، فإنه يتحوّل إلى «وصفةٍ شاملة، أي مصطلح غامض فاقد لأي معنى. وتؤدي محاولة تفسير كل شيء بهذا المصطلح إلى عدم تفسير أي شيء على الإطلاق»[74].

إضافة إلى ذلك، تتفاقم حال الغموض هذه في التنظير، مع ميل كثيرين إلى استخدام مفاهيم مختلفة في أوقات مختلفة في أعمالهم. فعلى سبيل المثال يقول فيدينو في كتاب يتناول السلفية المقاتلة في أوروبا على وجه التحديد، إنها تجذب كثيرًا من الشبّان الغربيين ذوي القابلية أو المطواعين، لأنها تتناول تقريبًا كل شكل من أشكال الاغتراب القائم في السوق. ويضيف أن السلفية المقاتلة تطرح قواعد صارمة تجذب «الشبان المشوّشين الباحثين عن الانضباط» و«الناس الذين يُسبب لهم عرقهم المختلط نوعًا من الاضطراب في الهوية» وأولئك الذين يعانون اغتراب الجيل الثاني، والحرمان الاقتصادي والعنصرية. فهي (السلفية المقاتلة) «تقدم الشعور بالانتماء إلى مجتمع»، و«الشعور بأن هنالك هدفًا، عادةً ما يُكتشف في أثناء وجود الشبّان

(74) I. Williamson & C. Cullingford, «The Uses and Misuses of «Alienation» in the Social Sciences and Education,» *British Journal of Educational Studies*, vol. 45, no. 3 (1997), p. 263.

في السجن»، وهي أيضًا «شكل من أشكال الاحتجاج»[75]. ربما يترك كل من هذه المفاهيم عن الشعور بالاغتراب تأثيرًا بدرجات مختلفة في الأفراد وفي طريقهم إلى التشدد الكفاحي، لكنها لن تزيد أو توسع من فهمنا السلفية المقاتلة. وهكذا يترك للآخرين تحديد متى وكيف يساهم الشعور بالاغتراب في الكفاحية القتالية، وما هي هذه المساهمة.

دليل واهٍ

يتوافر كثير من الموضوعات التي يمكن جمع المعلومات عنها على نحو أسهل في ما يتعلق بالسلفية المقاتلة. وبما أنه عادةً ما يتم التعرف إلى الجهاديين (والوقائع)، إما بعد موتهم وإما بعد سجنهم، وبما أن الجهاديين الذين يستطيعون التحدث لا يرغبون في ذلك، تكثر التقارير غير الدقيقة والافتراءات الواضحة. لكن ما تمثّله هذه المصاعب من معوقات، إنما يجب تخطيه، وليس اعتباره أعذارًا للكف عن محاولة تجاوزه. قُدّم القليل من الأدلة التجريبية لدعم الادعاءات التي تقول إنّ الشعور بالاغتراب يؤدي دورًا أساسًا في السلفية المقاتلة. ولم يحصل أي تحقيق منهجي حول طريقة وأشكال اغتراب السلفيين، وكيف أصبحوا كذلك، أي حول الادعاء التفسيري الرئيس الذي يقدمه كثير من المحللين.

يوضح بيب هذه النقطة المهمة، فيقول في تقرير منهجي عن الانتحاريين، يختلف عمّا جاء في كثير من التحليلات الأخرى، إنّ قليلين من هؤلاء الانتحاريين كانوا «مهمشين اجتماعيًا، ومجرمين مجانين، أو حتى فاشلين موصوفين. ذلك أن معظمهم يمتلك شخصية تتناسب مع شخصية معاكسة تمامًا: فهم طبيعيون من الناحية النفسية، ويتمتعون بأوضاع اقتصادية تفوق المتوسط في مجتمعاتهم، ويندرجون جيدًا في الشبكات الاجتماعية»[76]. مع ذلك تستمر

---

(75) Vidino, *Al Qaeda in Europe*, pp. 26-38.

(76) Pape, *Dying to Win*, p. 23.

يقدم سيجمان النقطة نفسها، عن اعتماد السلفية المقاتلة من جهة «شبّان متعلمين، من الطبقة الوسطى، وينتمون إلى عائلات متدينة، وترعرعوا على قيم إيجابية دينية وروحية ومجتمعية»؛

= Sageman, *Understanding Terror Networks*, p. 96.

الكتابات عن الانتحاريين بذكر شعورهم بالاغتراب كعامل أساس. ويعترف بيب بأن ما يُسمى «حالة الانتحار الناتجة من التفكك الاجتماعي»، يمكن أن يكون عاملًا يدفع البعض إلى الإرهاب، لكنه يضيف أنّ هذا النقص في الأدلة التجريبية يقوّض جديًا ادعاء أن الاغتراب عامل عرضي وراء عدد قليل من الحالات[77]. وهو مقنع في انتقاده هذا. فإذا لم نقم بالمزيد من البحوث، لن يكون لدينا سوى فكرة مقبولة قبولًا حدسيًا فحسب، ويمكن تطبيقها تجريبيًا بشكل محدود على بعض الناس. لكن لنا أن نتساءل: في أي مجال آخر من العلوم الاجتماعية، يمكن أن يلقى هذا الموقف دعمًا مماثلًا؟ فهذا الادعاء الضعيف لن يزيد من فهمنا سبب جاذبية السلفية المقاتلة لكثيرين.

حتى لو أُجري مزيد من البحوث التجريبية، فمن غير المرجح أن تقدم مزيدًا من الدعم إلى أصحاب فكرة الشعور بالاغتراب. وعلى الرغم من الأمثلة التي تسمح بافتراض وجود حالات اغتراب عند بعض الأفراد، يبقى العكس صحيحًا عند كثرة من الآخرين. وعلى سبيل توضيح هذا الأمر، يجدر هنا تقديم الأمثلة التالية، وغيرها كثير:

في عام 2004 صوّر محمد صديق خان فيلمًا يدّعي فيه الدفاع عن المسلمين، بناءً على تكليف شرعي لتحصين «قومه» من العداء الغربي[78]. وقبل تصوير هذا الفيلم بسنوات خمس، كان هذا الرجل المتواضع عضوًا أساسًا في مجتمع مدينة بيستون، يعمل جاهدًا لتحسين حياة كثيرين في المجتمعات المحلية. وبحسب أحد التقارير: «لم يتمتع إلا القليل من الرجال بشعبية في شوارع بيستون تفوق شعبية هذا الرجل الثلاثيني الذي كان يوصف بأنه رب عائلة بامتياز»[79]. لكنه لم يكن يختلف عن زملائه المتآمرين، شهزاد

= وهو يخمن بعد ذلك، وبشكل مستغرب، «أنّ بعض المجاهدين المحتملين شعر بالغربة الروحية والاجتماعية، أو حتى بنوع من الحزن»،

Ibid., p. 98.

(77) Ibid., p. 184.

(78) BBC, «London Bomber: Text in Full,» *BBC News Website*, 01/09/2005.

(79) J. Burke et al., «The London Bombs: Three Cities, Four Killers,» *The Observer*, 07/07/2005.

تنوير وجيرمان ليندساي وحسيب حسين في اعتبار الالتزام بالفكرة التي تقول إنّ الشعور بالاغتراب «يجب» أن يكون وحده عاملًا من عوامل الكفاحية القتالية. يُبيّن التقرير الرسمي عن الهجوم الذي نفذه خان وزملاؤه، أن ثلاثة مهاجمين من الأربعة، «خان وحسين وتنوير، كانوا مندمجين جيّدًا في المجتمع البريطاني»، بينما «عانى ليندساي عدم استقرار في مراحل مختلفة من حياته، لكن ليس على نحو استثنائي»[80]، وأنه الوحيد الذي تظهر عليه أعراض الشعور بالاغتراب من بين الأربعة الذين قاموا بتفجير أدى إلى سقوط 52 ضحية.

حتى على خلفية القتل الجماعي للعشرات من البشر، لا تُعتبر هذه الأعراض خارجة عن المألوف. ولا تدعم هذه الحقيقة الفكرة القائلة إنّ المقاتلين يخرجون من صفوف الأشخاص الذين يشعرون بالاغتراب، مهما كان تعريف هذا الشعور. وعلى ما يبدو، لا يكفي هذا الدليل لثني بعض المعلقين المطلعين عن اعتبار الشعور بالاغتراب العامل الأساس في تشدد الرجال[81].

للحصول على مثال أو أنموذج آخر، لنطّلع على وصف فيدينو لأحمد سعيد شيخ:

«هو بريطاني المولد، وابن تاجر ألبسة باكستاني، نشأ في ضاحية لندن الراقية وانستيد. ذهب شيخ إلى مدرسة فوريست في شرق لندن، وهي مؤسسة خاصة مرموقة، حيث كان محبوبًا من التلامذة الإنكليز وأصحاب البشرة

---

(80) Home Office, *Report of the Official Account of the Bombings in London on 7th July 2005* (2006), p. 26.

يُعتبر خان الأنموذج المضاد الذي يدحض الدور المزعوم للشعور بالغربة في الاتجاه نحو التشدد. ويدعم روا هذه الفكرة، عندما يذكر أنّ المفجرين الأربعة لم ينضمّوا حتى إلى نقابات في المجتمع. انظر:

Roy, «A Clash of Cultures or a Debate on Europe's Values?».

مع أنّ خان لم يكن عضوًا في هذه النقابات أو الاتحادات، ولا ينضم عادةً كثير من الرجال في بيستون إلى النقابات التجارية، يلاحَظ روا أنّ خان كان يشارك في أعمال اجتماعية، وكان يشعر بأنّ لديه حصة في هذه الأعمال الاجتماعية.

(81) Gunning, «Terrorism, Charities and Diasporas,» p. 106.

البيضاء. ويصفه متحدث باسم المدرسة بالطالب الأنموذجي: «هو تلميذ جيّد من النواحي كلها، صلب، وداعم لغيره». وبعد أن أمضى ثلاث سنوات في باكستان، حيث انتسب إلى كلية آيتشيسون التي ترتادها عادةً النخبة في المجتمع الباكستاني، عاد شيخ إلى فوريست. وكان محبوبًا من أقرانه بسبب روح الدعابة لديه، كما أصبح بفضل قوته عضوًا في الفريق البريطاني لمصارعة الكباش، وكان جاهزًا دائمًا للعرض أمام زملائه»[82].

كان شيخ شخصًا مندمجًا ومميزًا، مع إظهاره أعراض اغتراب نادرة. لكنه ذهب للقتال في البوسنة، وللخطف في كشمير. وهو اليوم مسجون لاشتراكه في الجريمة الوحشية التي أدت إلى مقتل دانيال بيرل[83]، مراسل صحيفة وول ستريت.

في حالة شبيهة بحالة شيخ، وقبل تنفيذ العملية ببضعة أيام، انسحب أحد المتآمرين مع ريتشارد ريد وسجيد بادات من مخطط لتفجير طائرة تعبر فوق الأطلسي. وبحسب وجهة نظر اثنين من المحللين، كان بادات «مثالًا آخر للاندماج في المجتمع»[84]؛ إذ حتى بعد إدانته، لم تظهر آراء أو أصوات كثيرة تختلف مع مدير مدرسة بادات، الذي اعتبر أنه «كان شخصًا يمتلك دوافع حسنة ويعمل بدأب، وهو مَكْسَبٌ لعائلته ومدرسته»[85].

من الأمثلة الأخرى، حسين عثمان الذي عاش في إيطاليا قبل انتقاله إلى لندن، والذي وصفته صديقته هناك بقولها:

«كان شخصًا مهووسًا بأميركا، ويحلم بالذهاب إليها. جذبته موسيقى الهيب هوب. وكان يرتدي أزياء مغني الراب، أي سراويل طويلة وسترة ملابس

---

(82) Vidino, *Al Qaeda in Europe*, pp. 39-40.

(83) BBC, «Profile: Omar Saeed Sheikh,» *BBC News Website*, 12/07/2002.
ويبقى دوره في الجريمة غير واضح، خصوصًا مع اعتراف خالد الشيخ محمد بقتله المراسل.

(84) M. Honigsbaum & V. Dodd, «From Gloucester to Afghanistan: The Making of a Shoe Bomber,» *The Guardian*, 05/03/2005.

(85) Ibid.

كرة سلة. وكان يشرب الكحول: البيرة. والكل كان يعرف أنه مسلم ومؤمن، لكنه لم يتحدث عن هذا الأمر معي، ولم يكن يعاني مشكلة الخروج مع غير المسلمين»[86].

يمضي عثمان الآن عقوبة بالسجن مدى الحياة، بسبب مشاركته في عام 2005 في المخطط الفاشل للهجوم على نظام النقل في لندن.

لا تشكل هذه الأمثلة قائمة شاملة. فهي مثال صارخ على أن انتشار مصطلح الاغتراب، بغضّ النظر عن نوع الاغتراب أو مضمونه الذي يعنيه الباحثون، لا يغطي أعدادًا كبرى من المقاتلين الذين يظلون بوضوح خارج نطاق هذا الوصف. ربما يلبي عدد من الأفراد معايير معينة للاغتراب كما هو الشأن بالنسبة إلى ريتشارد ريد ومحمد بويري اللذين كثيرًا ما يُذكران كمثلين لهذه الحالة، وربما يكون من المحتمل وجود أمثلة إضافية[87]، وهو أمر يجب توقعه؛ إذ إن في أي حركة خلفيات وشخصيات وصفات مختلفة ومتنوعة، لكن لن يحصل أولئك الذين يسعون إلى إيجاد توصيف شامل بناءً على اختيار عدد قليل من الأفراد، على الصدقية في مجالات أخرى من الدراسات. وفي الواقع يضفي هذا النوع من الادعاءات على دراسات الإرهاب نوعًا من المعايير التي «لن تفي بأدنى معايير البحوث في الفروع الأكثر رسوخًا في تحليل النزاعات والسياسات العامة»[88]. وإذا كان من الضروري اعتبار الاغتراب عاملًا مهمًّا

(86) J. Hooper, «Suspect Was a Roman Romeo in Love with US,» *The Guardian*, 02/08/2005.

(87) من الضروري الإشارة إلى الأصوات التي عارضت الفكرة القائلة إنّ بويري كان من المحرومين والمعزولين. وكما كتب أحد الصحافيين: «بصرف النظر عن المساعد الاجتماعي الذي رفض أن يقابله، تبيّن أنه كان محاطًا بمهنيين جيدين. فقد رئس لجنة مركز جديد خاص بالشبان، وقام بزيارة مجلس النواب الهولندي للتحدث عن فوائد هذا المركز. وكان يستشيره موظفو الخدمة المدنية حول كيفية تحسين العلاقة بين الشبان المغاربة والشرطة، بعد سلسلة من أعمال الشغب في عام 1998؛ وقام بدور في التخطيط لقرارات السلطات المحلية؛ وأنهى دورة في العمل الاجتماعي في عام 2002؛ وشغل منصبًا مهمًّا في المركز الاجتماعي في إيجنويكس (Eigenwijks)». انظر:

A. Anthony, «Amsterdamned, Part One,» *The Guardian*, 05/12/2004.

(88) T. Gurr, «Empirical Research on Political Terrorism: The State of the Art and How It Might Be Improved,» in: R. Slater & M. Stohl (eds.), *Current Perspectives on International Terrorism* (London: Macmillan, 1988), p. 143.

في السلفية المقاتلة، فعلى أولئك الذين يعتمدون هذا الادعاء أن يقدموا أدلة ملموسة تدعم هذا الرأي. وهذا ما لم يحصل.

صوت احتجاج

يعتمد عدد من الباحثين مفهوم الاغتراب في دراستهم السلفية المقاتلة، لأنّ الكفاحية القتالية تُقدّم عادةً حلًا إلى بعض الأفراد الذين يشعرون بالاغتراب. ولهذا تُعتبر السلفية المقاتلة صوت احتجاج، بغضّ النظر عن عقيدتها ومطالبها. ويعود هذا الاقتناع إلى التزام ضمني بموضوع الاغتراب، أي بمنطق «قط الشيشاير».

بحسب هذه المقاربة، بإمكاننا تجاهل إعلان الفرد تمسكه بعقيدة دينية، أو ادعاء تعرضه لمظالم سياسية. هذا ما يقوم به بوروما، حين يقول: «على الرغم من إمكان تبنّي الإرهابي المعاصر مذهبًا دينيًا، قد يكون اختار أيضًا، في أوقات مختلفة، عقيدة علمانية تمامًا لتبرير تعطشه للعنف القاتل»[89]، ليبقى السبب غير مادي، وليتشابه تفسير السلفية المقاتلة مع تفسير المنظمات العنيفة الأخرى. فهي تجذب الأفراد الذين يُعتبر تطرفهم العنيف «اعترافًا بالتصغير الذي لا يمكن الرجوع عنه»[90]. وهكذا «تُفهم جاذبية الأصولية الإسلامية من الناحية الوظيفية، أي بالإشارة إلى فاعليتها كقناة ... للسخط»[91].

تتجاهل هذه المقاربات ماهية الأيديولوجيا السلفية المقاتلة لمصلحة اعتبار معتنقيها مصابين بحالة نفسية مرَضية، فتختزل الأخلاقيات بالأداتية الذرائعية فحسب. وكما تقول أوبن: «على الرغم من صحة القول إنه غالبًا ما يجري تجاهل الأسباب الشديدة التنوع عند اعتناق الأفكار، بما فيها الأسباب الأداتية

---

(89) Buruma, *Murder in Amsterdam*, pp. 32-33.

(90) C. Robin, *Fear: The History of a Political Idea* (Oxford University Press, 2004), p. 100.

(91) R. Euben, *Enemy in the Mirror: Islamic Fundamentalism and the Limits of Modern Rationalism* (Princeton University Press, 1999), pp. 26-27.

تعتمد أوبن في هذا الكتاب قضية، وليس موقفها الخاص؛ فهي من أولئك الكتّاب أو المحللين الذين يؤمنون بضرورة حصول فكر السلفي المقاتل على مقاربة فكرية.

الذرائعية، فإنه من الصعب اختزال المعتقدات الدينية، بسبب تعقيداتها، في خيار في سوق الأفكار أو تقليصها إلى ملاذ يقدم السلام والراحة العاطفية»[92]. والسلفية المقاتلة، كما تُظهرها أي دراسة لمنظريها الأساسيين، يمكنها أن تقدم رؤية واضحة ومتماسكة[93]. ولا يمكن على الأرجح استساغة عنفها وتعصّبها والتميز الذي ترسيه، لكن هذا لا يعني إمكان اختزالها بالضرورة في مجرد ملاذ، لا صلة أيديولوجية له بالإنسان الغاضب الذي يشعر بالاغتراب.

تطبيق أوسع

حاولتُ استخلاص ما يفهمه المحللون والمعلقون من مصطلح الاغتراب باختصار. وعلى الرغم من أن آخرين يُفضلون تقديم تفسيرات متعددة و/ أو توسيع فهمنا لهذا المصطلح وتسهيله[94]، فإن هذه المرونة لا تدعم الفكرة. فإذا كان نطاق الفكرة واسعًا، أو إذا كان مفهوم الاغتراب يسمح بإدخال تفسيرات عدة، فلن تنحصر المشكلة في عدد قليل من المناضلين المقاتلين الذين يعانون الاغتراب، بل ستتطوّر ليؤثر الاغتراب في عدد أكبر من الناس الذين ينحازون إلى الكفاحية القتالية. وبحسب هذا الاختلاط التعريفي أو التوسّع في التعريف، يمكننا اعتبار عدد هائل من الناس من بين المصابين بالاغتراب. ويزداد هذا الأمر تعقيدًا عندما تصبح منابع الاغتراب وأسبابه مبهمة.

ثمة نوع اعتيادي من الدفاع، وهو التشديد على قصور أطروحة الاغتراب عن شرح أسباب بروز التطرّف الراديكالي. لكن الاغتراب يبقى بالنسبة إلى بعض الباحثين عاملًا مساهمًا مهمًّا في التطرّف. لذا، يشير خوسروخافار إلى سردية المعاناة العالمية للمسلمين، ويشير سيجمان إلى دور المجتمع، وروا إلى جاذبية السلفية والإسلام المقاتل كتعبير عن ثورة. وهكذا يصبح الشعور

---

(92) Ibid., p. 48.

(93) انظر، مثلًا:
S. Qutb, *Milestones* (Delhi: Islamic Book Service, 2006).

(94) انظر، مثلًا:
Sageman, *Understanding Terror Networks*, p. 98, & Vidino, Al Qaeda in Europe, pp. 26-38.

بالاغتراب واحدًا من مكونات كثيرة في طبق الكفاحية القتالية. وهو مكوّن ضروري، لكنه غير كافٍ بمفرده. مع ذلك لن يساعدنا الادعاء بوجود دور للاغتراب، وإن بدرجة غير محددة في حياة المقاتلين، ولن يخبرنا كثيرًا عن السلفيين المقاتلين. وإذا كان من الضروري فهم هذا المصطلح على نطاق واسع، فيجب على الكاتب الذي يستخدمه أن يكون أكثر حذرًا في ما يتعلق بدوره في تحليل الكفاحية القتالية. وكما يقول شاخت: «لا يمكن خفض نطاق التطبيق الخاص بمصطلح ‹الاغتراب› خفضًا كبيرًا، لكن يجب تعديل حجم قدرة اشتغاله؛ ذلك أن القدرة الوحيدة التي يمكن أن يسمح بها نطاق التطبيق، ويضمن اشتغالها بفاعلية، هي مصطلح عام يشمل مجموعة واسعة من أنواع الاستياء والتنافر والسخط وتتقاسم سمة اشتقاقها أو ارتباطها بمشاعر ‹اغتراب› إلى حد ما»[95].

يقود هذا الأمر إلى نقطة فلسفية أوسع. فالاغتراب هو حالة معقّدة ومتباينة ومتغيرة إلى حد كبير. وهو موجود بدرجات؛ إذ يختلف في البنية والعمق لدى الأفراد المختلفين، ولدى الفرد الواحد أيضًا، في الوقت نفسه. فالقول إنّ أحدهم يشعر بالاغتراب هو اختصار لشيء أكثر تعقيدًا. وإذا كان من الضروري التعاطي مع هذا التعقيد في هذا التحليل أو غيره، فيجب إدراكه إدراكًا كاملًا والتبصر فيه. وهذه مهمة صعبة جدًّا، ولم تحصل في الكتابات الخاصة بالسلفية المقاتلة. في المقابل يكمن في خلفية هذه التقارير افتراض حالة مثالية من عدم الاغتراب. ففي عالم من العواطف المنقسمة، تُقدم الكفاحية القتالية إلى المرء فرصة الانتقال من حالة الاغتراب إلى حالة اللااغتراب. وبالإمكان توضيح هذه المشكلة إذا تخيلنا كيف قد يبدو المرء المحظوظ الذي لا يشعر بالاغتراب. فكما يتساءل والتر كوفمان: «هل الشخص غير المستلب (الذي لا يشعر بالاغتراب) لا يشعر بأي شكل من الأشكال بأنه غريب ضمن أي مجموعة من الناس، أو مع أفراد، أو أي شيء في المجتمع الذي يعيش فيه؟ وإذا كان الأمر كذلك (أي انتفاء الاغتراب)، فهل يمكننا اعتبار هذا الشخص حينئذ شخصًا

---

(95) R. Schacht, *Alienation* (London: Allen and Unwin, 1971), pp. 195-196.

حقًّا؟ وإذا كان أمثال هذا الشخص موجودين، ألا يكون علينا أن نضيف أنهم في حال مرَضية جدًا، تقارب الحماقة؟»[96].

في الكتابات الخاصة بالسلفية المقاتلة، تُوظف فكرة الاغتراب توظيفًا مبالغًا فيه، حيث تتناقض مع ندرة الأدلة ومع حال الارتباك التعريفي. وهي تميل أيضًا إلى الالتفاف على اللغز المركزي للسلفية المقاتلة. ولا نقصد هنا خيار الإرهاب الذي يُعتبر شائعًا نسبيًا في الزمان والمكان، بل نقصد السبب الذي أدى إلى حمل هؤلاء الأفراد الذين يشكلون جزءًا من الحركة على اتّخاذ نظرة إلى العالم خاصة بهم، نظرة حولت الإرهاب ليس إلى خيار فحسب، بل إلى الخيار الملائم. وعلى وجه التحديد الأدق، يصير السؤال الحاسم: كيف وصلوا إلى اعتبار أنفسهم مقاتلين سلفيين؟

يقود هذا الأمر إلى انتقاد نهائي لهذه المقاربات، فضلًا عن إشارته إلى كيفية تحليل هذه الظاهرة تحليلًا أكثر فائدة. لم تُعِرْ الكتابات الخاصة بالسلفية المقاتلة اهتمامًا ملائمًا للدور الذي يؤديه المخيال السياسي الذي يشكل عنصرًا مهمًا في حكاية الكفاحية القتالية، أي إنها لم تحاول أن تجيب عن السؤال: كيف يُعيد الأفراد اختراع أنفسهم بطريقة مختلفة جذريًا، وغالبًا في فترة زمنية قصيرة جدًا؟

تعتمد السلفية المقاتلة على الحد من أشكال الهوية المتداخلة، لمصلحة هوية مسيطرة في النهاية[97]، أي هوية المسلم الذي يتعرّض مجتمعه للتهديد من أولئك المعارضين أساسًا وبالضرورة للإسلام وأتباعه؛ فدراسة ظاهرة المخيال السياسي يمكنها أن تكشف أمورًا كثيرة عن هذه العملية. لكنها تبقى، مع البنى التي تسهّلها وتتيحها، غير مكتشفة اكتشافًا كافيًا في سياق السلفية المقاتلة.

عن ذلك كتب تولويان: «إن استمرارية أنموذج الإرهابي الفردي، بوصفه

---

(96) Introduction in: Schacht, *Alienation*, p. xxiv.

(97) هذا ما يسميه أمارتيا سِن «تصغير البشر»:
A. Sen, *Identity and Violence: The Illusion of Destiny* (London: Allen Lane, 2006), p. 185.

ذلك الشاب الغربي الذي يشعر بالاغتراب، أمر جدير بالملاحظة. وهذا أمر عواقبه وخيمة أيضًا»[98]. وتولويان على حق في ما قال؛ فالأمر جدير بالملاحظة فعلًا، بسبب كونه يدين للافتراضات التي يستند إليها أولئك الذي يكتبون في هذا الموضوع، ولا يستند إلى تحليل مدعم، أو تحقيق ميداني. وهذا ما يحول دون أيٍّ فهم دقيق لهذه الظاهرة الموضوعية، ويساهم في اتّخاذ قرارات سياسية مشكوك فيها. ويبقى السؤال في النهاية، كيف سيكون البديل الأفضل؟

---

(98) K. Tololyan, «Cultural Narrative and the Motivation of the Terrorist,» in: D. Rapaport (ed.), *Inside the Terrorist Organization* (London: Frank Cass, 2001), p. 220.

الفصل الثالث

يأخذنا إلى كل مكان: دور المخيال السياسي

تجمع السلفية المقاتلة ألوف الأفراد من خلفيات مختلفة، يدّعون وحدة الهوية والهدف. ويقيم معظم السلفيين الذين يعيشون في الغرب علاقة عرضية، في أحسن الأحوال، مع العالم المسلم، مع أنهم يزعمون القتال من أجل هذا العالم. ولفهم السلفية المقاتلة، علينا أن نستوعب كيف أصبح ممكنًا ذلك النوع المحدد من المخيال السياسي الذي شرحناه في الفصل الأوّل.

ثمة كتّاب آخرون درسوا فكرة المخيال السياسي في سياق السلفية المقاتلة، ومن بينهم أهم الباحثين في هذا المجال. نذكر منهم على سبيل المثال سيجمان الذي ناقش «أسباب جاذبية حركة عالمية عنيفة مجردة ومعتمدة على علاقات افتراضية مع مجتمع افتراضي»[1]. وأشار إلى ادعاء الراديكاليين بأنهم على علاقات تجمعهم بحركة لا تمتلك إلا القليل من الواقع الملموس. ونذكر أيضًا بسام طيبي الذي أشار إلى هذا المجتمع الافتراضي بمصطلح «الأمة المتخيلة»[2]، وخوسروخافار الذي خصص فصلًا كاملًا لموضوع السياسة المتخيلة لدى السلفيين المقاتلين[3]، وكذلك فعل سيزاري، حين أشار بوضوح إلى فكرة المخيال السياسي[4]. وعقد أوليفيه روا فصلًا واحدًا للتحدث عن السلفية المقاتلة وجاذبيتها لدى المسلمين، خصوصًا أولئك المقيمين في الغرب. وناقش في هذا الفصل أهمية كسر حواجز الحدود الجغرافية وعملية إعادة

---

(1) M. Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004), p. 151.

(2) B. Tibi, *Political Islam, World Politics and Europe: Democratic Peace and Euro-Islam Versus Global Jihad* (New York: Routledge, 2008), p. xiii.

(3) F. Khosrokhavar, *Suicide Bombers: Allah's New Martyrs*, trans. D. Macey (London: Pluto Press, 2005).

(4) J. Cesari, *Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States* (London: Palgrave Macmillan, 2001).

الأسلمة التي تتبعها، والتي يمكن أن تخلق انتماءً إلى مجتمع خيالي، وتقدم بعضًا من الرؤى المهمة جدًّا[5]. أخيرًا، في هذا المجال، وضع بيتر ماندافيل (P. Mandaville) كتابًا مهمًّا جدًّا، لكنه معقّد نظريًّا، عنوانه (**السياسات الإسلامية العابرة الأوطان: إعادة تصوّر الأمة** *Transnational Muslim Politics: Reimagining the Umma*)، وفيه عالج موضوع المخيال السياسي بعمق كبير.

تُعتبر جميع هذه المساهمات إيجابيةً ومرحبًا بها، لكن كثيرًا من الكتّاب يتطرق إلى فكرة المخيال السياسي، ويتجاهل السياق الذي تعمل فيه، مقدّمًا تحليلًا جزئيًا للقوى الخاصة التي تؤدي إلى بروز صيغة السلفية المقاتلة، في حين يعالج القسم الباقي من الكتاب هذه الموضوعات. لكن من الضروري أولًا تحديد ما المقصود بالمخيال السياسي.

المخيال السياسي

كتب أرجون أبادوراي بإسهاب عن المخيال السياسي وأهميته في الحياة السياسية اليوم. وهو يقول إن علينا التركيز «على شيء جديد في العملية الثقافية العالمية: الخيال كونه ممارسة اجتماعية. فالخيال ما عاد وهمًا خدّاعًا (أفيون الشعوب) أو مجرد هروب بسيط (من عالم يتميّز خصوصًا بأهداف وبنى ملموسة على نحو متزايد) أو هواية للنخبة (وبالتالي لا صلة له بحياة الناس العاديين) أو مجرد تأمل (لا صلة له بأشكال جديدة من الرغبة والذاتية)، بل أصبح الخيال حقلًا منظّمًا من الممارسات الاجتماعية، ونوعًا من العمل (بمعنى عمل وممارسة ثقافية منظمة في آن) وإطارًا للتفاوض بين قوى أو منظمات متفرقة (أفراد) وحقول عالمية للإمكان الكامن... وأصبح الخيال أيضًا أساسًا لكل أنواع المنظمات أو الوكالات، أي حقيقة اجتماعية، وبالتالي المكوّن الأساس للنظام العالمي الجديد»[6].

---

(5) O. Roy, *Globalized Islam: The Search for a New Ummah* (London: Hurst, 2004), pp. 18-20, 272-275.

(6) A. Appadurai, *Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1996), p. 31.

لم يكن أبادوراي أول من أشار إلى دور المخيال وأهميته السياسية؛ ففي كتابه الإبداعي *Imagined Communities* (**الجماعات المتخيلة**)، يصف بندكت أندرسون كيف سهّل التقارب بين الرأسمالية وتكنولوجيا الطباعة على الناس - أولئك الذين لم يلتقوا من قبل، ومن غير المرجح أن يلتقوا في المستقبل - عملية تخيّل أنفسهم جزءًا من الجماعة نفسها[7]، على الرغم من إقامتهم في أماكن متباعدة، ومن اعتمادهم أساليب حياة مختلفة. ويتابع أندرسون قوله: «مكّنت رأسمالية النشر والطباعة عددًا كبيرًا من الناس، من التفكير في أنفسهم، وارتباطهم بالآخرين بطرائق مختلفة»[8]. وهذا ما أدى إلى تطوّر الأمة، بحسب أندرسون الذي يتابع: «تظل الدولة **متخيَّلة**، ولن يتمكن أبناء أصغر الأمم من التعرّف إلى معظم مواطنيهم، أو الالتقاء بهم، أو حتى السماع عنهم. وعلى الرغم من ذلك، تعيش في عقل كل منهم صورة تشاركهم معًا»[9]. أما المحفز لنشوء هذه الجماعات المتخيلة المنتشرة على نطاق واسع اليوم، أي الدول/ الأمم الحديثة، فكان ذلك التقارب بين الرأسمالية وتكنولوجيا الطباعة[10]. ووفقًا للمنطق الذي يعتمده أندرسون، يمكن أن تقود التغيرات في الأوضاع الكامنة إلى صعود أوهام سياسية بديلة، وهذا مهم جدًّا لفهم السلفية المقاتلة اليوم.

يجدر التشديد هنا على أنّ المخيال السياسي ليس رحلة في الخيال، لكنه أيضًا غير محدد ماديًّا. هناك أوضاع مختلفة تحدد كيف ينظر الأفراد إلى العالم، وكيف يعتبرون أنفسهم جزءًا من هذا العالم. لكن هنالك أيضًا خيارات ضمن هذه القيود. فلدى كل منا مجموعة كبيرة من المحددات المحتملة، لا تقتصر على مكان الولادة فحسب، وإنما تتعداه إلى لون الجلد والجندر والجنس والطبقة الاجتماعية واللغة والأسرة والنسب والمهنة والدين والمعتقدات

---

(7) B. Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism* (London: Verso, 1991).

(8) Ibid., p. 36.

(9) Ibid., p. 6. Italics in original.

(10) Ibid., p. 46.

السياسية[11]. وتعود أهمية كل من هذه المحددات لدى الفرد إلى التفاعل بين الأوضاع التي يجد نفسه فيها والخيارات التي يعتمدها، وإلى ممارسة المخيال السياسي أيضًا. وهذا الأخير لا يمثل هروبًا من الواقع لدى القلة، بل هو الحقيقة السياسية لدى الكثرة، كما أنه جزء لا يتجزأ من عملية تكوّن الكثير من الحركات الكبرى.

هذا، ويتشكّل المخيال السياسي من الشروط التي تسهل إمكان نشوئه. ففي حالة أندرسون والدولة - الأمة، تعتبر تكنولوجيا الطباعة الشرط الأساس لإمكان نشوء هذا المخيال. فمن خلال النقل الشامل للأخبار والحوادث بـ«اللغة المحلية أو القومية»، أصبح بإمكان الناس اعتبار أنفسهم فرنسيين أو ألمانًا، وإضفاء هوية مشتركة على آخرين في أماكن بعيدة، وذلك بأسلوب جديد لم يكن ممكنًا من قبل. ولأنّ كتابنا هذا يهتم بموضوع الأمة المقاتلة، وليس بالدولة - الأمة، أصبح السؤال: ما هي العوامل التي تُسهل على الأفراد بناء المخيال السلفي المقاتل؟ رأينا سابقًا أن المخيال السياسي السلفي يشتد حين يتخيّل المجاهد نفسه مدافعًا عن المسلمين في أنحاء العالم، أي في المعركة التي يشنها زملاؤه المقاتلون من مانشستر إلى مقديشو. ويتكون المخيال السياسي ويصير فاعلًا عندما تجتمع حوادث عالمية منوعة، وتتداخل مع حوادث محلية. وأصبح هذا الأمر ممكنًا بسبب تضافر قوى وأوضاع خاصة في هذه المرحلة الراهنة من الحداثة المعولمة.

الحداثة المعولمة

الثابت الوحيد في كل زمان ومكان هو اعتقاد الناس أن الحقبة التي

---

(11) تعود اثنتان من أهم الكتابات التي وُضعت عن موضوع الهوية إلى:

A. Sen, *Identity and Violence: The Illusion of Destiny* (London: Allen Lane, 2006), & K. Booth, *Theory of World Security* (Cambridge University Press, 2007), esp. pp. 357-359.

يعارض الكاتبان التضييق الاصطناعي والخطِر في تعدد الهويات لدى جميع الأفراد. وتعود إحدى الكتابات المدروسة الأخرى إلى:

M. Castells, *The Power of Identity* (Oxford: Blackwell, 1997).

يعيشون فيها هي حقبة اضطرابات وتحولات كبيرة[12]. يجب أن يجعلنا هذا التعرض الدائم للتغيير حذرين من الغلو أو المقارنات المبالغ فيها، لكن ينبغي ألا يخفي أهمية التغييرات التي حصلت مؤخرًا، ووضعت أسس ظاهرة السلفية المقاتلة في الغرب.

يحصل كلٌ منا على وفرة في المعلومات والأخبار، كلما شغّل جهاز التلفزة والحاسوب في أي مكان[13]. فبإمكان الناس اليوم التمتع بعطَل جيدة أو العمل في أماكن بعيدة. وحتى لو اختاروا أن يبقوا قريبين من أماكن ولاداتهم، فإنهم يدرسون أو يعملون مع أشخاص من أماكن أخرى، أو إلى جانب أشخاص لا تُشكّل حركة الانتقال إلا جانبًا محددًا جدًّا من حياتهم. والحوادث التي تقع اليوم في زمننا هذا ونتبادل الحديث عنها فور وقوعها، كانت ستبقى مجهولة تمامًا عند أجدادنا لو وقعت قبل قرن[14]. صحيح أن الناس رحلوا باستمرار من مكان إلى آخر، وبُثت المعلومات منذ مدة طويلة عبر آلاف الأميال، لكننا نشهد اليوم تغييرات، تختلف في نطاقها وعمقها وأثرها عن سابقاتها[15]. ومن الضروري أن ننقل هنا وصف بيرمان لهذا الفيضان من التغييرات:

«تتغذى دوامة الحياة العصرية من مصادر عدة: الاكتشافات الكبرى في العلوم الفيزيائية التي غيّرت تصورنا للكون ومكاننا فيه؛ عملية تصنيع الإنتاج التي حوّلت المعرفة العلمية إلى تكنولوجيا، وخلقت بيئات بشرية

---

(12) M. Berman, *All That Is Solid Melts into Air* (New York: Penguin, 1988), p. 15.

(13) لأن هذا الكتاب يهتم في الأصل بظاهرة قائمة في البلدان الأكثر ثراءً اقتصاديًا، فبالإمكان تبرير العادة الشائعة في تجاهل الناس الأقل تأثرًا بمختلف التطورات.

(14) للقيام بدراسة أكثر تفصيلًا عن هذه التغييرات، انظر:

T. Rantanen, *The Media and Globalization* (London: Sage, 2005).

(15) كما كتب أبادوراي عن هذه النقطة: «قد لا يهاجر بالطبع كثير من المشاهدين. وتنحصر حوادث كثيرة في نطاق محلي، كما هي الحال مع تلفزيون الكابل في الولايات المتحدة. لكن يبقى عدد قليل من الأفلام المهمة ونشرات الأخبار وحلقات التلفزة خارج التأثير الكامل لحوادث إعلامية أخرى من أماكن بعيدة في العالم. وهناك صديق أو قريب أو زميل عمل متجهٌ إلى مكان عمله أو عائد إلى البيت، مع قصص قصيرة واحتمالات، بالنسبة إلى عدد كبير من الأشخاص في العالم»:

Appadurai, *Modernity at Large*, p. 4.

جديدة لتحل مكان أخرى قديمة، وسرّعت من وتيرة الحياة، وخلقت أشكالًا جديدة من الشركات وصراع الطبقات؛ اضطرابات ديموغرافية هائلة، التي فصلت الملايين من الناس عن مواطن أجدادهم، وقذفت بهم في جميع أنحاء العالم، ليعيشوا حياة جديدة؛ النمو الحضري السريع والكارثي؛ أنظمة الاتصال العامة المتطوّرة باستمرار التي تغطي شعوبًا متنوعة وتربط في ما بينها؛ دول قومية قوية، مُنظمة ومُنشغلة بشكل متزايد، وساعية دائمًا لزيادة قوتها؛ حركات جماهيرية واجتماعية من شعوب وبشر متنوعين، تتحدى الحكام السياسيين والاقتصاديين، وتجهد للسيطرة على حياتها؛ أخيرًا، سوق رأسمالية عالمية، دائمة التوسع والتذبذب، يقود كل هؤلاء الناس والمؤسسات ويسيطر عليهم»[16].

وسط هذا الاضطراب، كتب كثير من الكتّاب عن التحوّل الدراماتيكي بين الزمان والحيّز (الفضاء المكاني)، وتأثير هذا التحوّل ما بين الحيّز والمكان[17]. واعتمد هؤلاء الكتّاب على ما سبق من الكتابات. وكان كارل ماركس قد توقع منذ خمسينيات القرن التاسع عشر، «قضاء الزمان على الحيّز» لأن «رأس المال يخترق بحكم طبيعته أي حاجز في الحيّز المكاني [...] للسيطرة على الكرة الأرضية وأسواقها». وفي منتصف القرن الماضي وصف مارتن هايدغر مرحلة بروز «اللامسافة» و«إلغاء كل إمكان لبعد المسافة»[18]. وقبل نصف قرن، كان من الممكن اعتبار هذه التأكيدات سابقة لأوانها. لكن الكثير منها تحقق، نتيجة تغيير العلاقة بين الفضاء والمكان.

---

(16) Berman, *All That Is Solid Melts into Air*, p. 16.

(17) كانت هناك كتابات رائعة عن هذا الموضوع، بما فيها:

D. Harvey, *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change* (London: Blackwell, 1991), esp. p. 25, J. Scholte, «The Geography of Collective Identities in a Globalizing World,» *The Review of International Political Economy*, vol. 73, no. 3 (1996), p. 568, & A. Giddens, *The Consequences of Modernity* (Cambridge: Polity, 1991).

(18) Scholte, «The Geography of Collective Identities,» p. 572.

انظر أيضًا:

Berman, *All That Is Solid Melts into Air*.

تعني العلاقة التكافلية المتزامنة بين الزمان والفضاء أنّ «الهويات الجماعية تُستمدّ أساسًا من مناطق مستقلة وصغيرة ومعزولة نسبيًا... وفي الفضاء الأوسع عاشت بشكل منتظم أعداد ضئيلة من السكان فحسب (بعض رجال الدين والأرستقراطيين)، وتطابقت مع مجموعات مبعثرة جدًا من الناس»[19]. أما الأكثرية، فتقوم المنطقة (الإقليم) بجمعهم وتحديدهم، وبالتالي تحديد أوضاعهم السياسية. أما اليوم فأصبحت المناطق ذات الآفاق الضيقة قليلة ونادرة. ومع سهولة التغلب على الاعتبارات الإقليمية، تحولت الهويات البديلة والخطابات السياسية التي لا تعتمد على موقع محدد - أو حتى ولا على أي موقع - احتمالات ممكنة بشكل متزايد. وصار لوسائل الانتقال من مكان إلى آخر تأثير متزايد، فانتزع النشاط الاجتماعي والسياسي من سياقاته المحلية الخاصة، وأعيد تنظيمه وموضعته في سياقات أوسع، وعالمية في كثير من الأحيان[20]. وكما كتب غيدنز، ففي عصور ماقبل الحداثة «كانت الأبعاد المكانية للحياة الاجتماعية تخضع لسيطرة ‹الحضور›»، والنشاط المحلي، بالنسبة إلى معظم السكان، وفي كثير من النواحي... فالحداثة قامت بفصل الزمان عن الفضاء المكاني عبر تعزيز العلاقة بآخرين ‹غائبين›، وسواهم من البعيدين عن أي تفاعل مباشر أو وجاهي. وفي أحوال الحداثة الآن، يتحوّل الفضاء شيئًا فشيئًا إلى شيء خيالي: تُخترق الأماكن، ويعاد تشكيلها بوساطة العوامل الاجتماعية المؤثرة والبعيدة جدًا من تلك الأماكن. فالموضع (المطرح) لا يتشكل ببساطة بالأشياء الظاهرة على المسرح فحسب؛ كما أن ‹الشكل المرئي› للمطرح يحجب العلاقات الخفية النائية التي تحدد طبيعته»[21].

بالنسبة إلى غيدنز، هذا هو معنى العولمة التي يعتبرها ظاهرة «ترجع أساسًا إلى عملية التمدد تلك، بقدر ما تتحول وسائل الاتصال بين سياقات اجتماعية في

(19) Scholte, «The Geography of Collective Identities,» p. 568.

(20) انظر أيضًا:

Giddens, *The Consequences of Modernity*, p. 53

(21) Ibid., pp. 18-19.

مناطق مختلفة إلى شبكات عنكبوتية على سطح الأرض بأكملها [...] وبالتالي بالإمكان تفسير العولمة بأنها عملية تكثيف للعلاقات الاجتماعية على صعيد العالم، وربط بين المواضع المتباعدة، حيث تتأثر الحوادث المحلية بحوادث في أماكن بعيدة جدًا، والعكس صحيح»(22). هذا ما يمنح الفرصة للمخيال السياسي كي يعمل بطريقة فاعلة لا غنى عنها في السلفية المقاتلة في الغرب.

القوى العالمية

يتمتع شرطان من شروط الإمكانات التي أثرت تأثيرًا كبيرًا في المخيال السياسي لدى السلفيين المقاتلين، بأهمية خاصة. والمقصود هنا حركات الانتقال ووسائل الإعلام. وأنا لست أوّل من لاحظ مركزيتهما في الحركات السياسية. يشرح أبادوراي، مثلًا، كيف خلق اجتماع التأثير المتزايد للهجرة ووسائل الإعلام الإلكترونية الجديدة، بيئة عالمية جديدة، تتوافر فيها فرص جديدة لنمو المخيال السياسي. يساعد هذا الأمر في تطوير عالم «تتميّز فيه نقاط الانطلاق ونقاط الوصول بتدفق ثقافي مستمر، يمكن أن يجعل عملية البحث عن نقاط مرجعية ثابتة وخيارات أساسية في الحياة، صعبة جدًّا. وفي هذا الجو تصعب عملية خلق تقاليد جديدة، ويصطدم تدريجًا البحث عن يقين بسيلان التواصل العابر الأوطان. ومع دخول ماضي المجتمعات إلى المتاحف والمعارض والمجموعات الفنية المكدسة على الصعيد الوطني والعابر الأوطان على السواء، قد تتحوّل الثقافة إلى ما يسميه بيار بورديو هابيتوس (habitus) (ملكة أو جبلة: عالم ضمني من الممارسات والتصرفات المعاد إنتاجها)، وإلى ساحة للاختيار الواعي والتبرير والتمثيل على جمهور متعدد وغير منتمٍ إلى مكان»(23).

قام هذان الشرطان للإمكان (القدرة) بتوسيع مجال المخيال في السياسات العالمية، وبتسهيل ذلك المخيال الخاص الذي هو لبّ السلفية المقاتلة. وسننتقل الآن إلى هذين الشرطين.

(22) Ibid., p. 64.

(23) Appadurai, *Modernity at Large*, p. 44.

الحركة والتنقل

يتحرك العالم باستمرار. وينتقل السياح البريطانيون الذين تخلوا منذ فترة طويلة عن الشواطئ في بلاكبول وأبريستويت من كوستا دِل سول إلى الرمال والشمس في كرواتيا وأستراليا؛ وبفضل الاستراحات في المدن، وليالي العزوبية صارت مدن بودابست وتالين ومنحدرات التزلج على الثلوج في بلغاريا، ترطن باللغة الإنكليزية والألمانية والروسية. ويقوم مئات الألوف بالاستجابة لدعوات العمل العالمية المتنقلة وعروضها. ويتكاثر عمال المنازل من الفليبين في الدول العربية. ويرى طلاب الجامعات والمحاضرون كيف تتعولم منذ سنوات خياراتهم لدخول الجامعات والمعاهد. وتأتي المومسات اللواتي يعملن في المنطقة الحمراء في أمستردام (التي تقدم خدمات جنسية إلى الأجانب) من شرق أوروبا وأميركا اللاتينية وجنوب شرق آسيا. ويتنقل أولئك الذين يحلمون بالهجرة في جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى إلى الشمال بحثًا عن حياة جديدة في أوروبا. وتُبنى باستمرار الطرق الجديدة والمطارات والطائرات والسيارات والحافلات والسفن، تلبية للطلب المتزايد على السفر مسافات أطول من أي وقت مضى.

من الممكن المبالغة في حداثة هذه الحركة، وهي ظواهر تبلورت بأوجهها الكثيرة وفي أنحاء واسعة ومتباعدة من العالم في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين. وكما قال فريدمان: «هاجر خلال الأربعين سنة التي تلت عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ثلاثون مليون أوروبي إلى الولايات المتحدة وأستراليا. وعلى الرغم من أن عدد المهاجرين الإجمالي اليوم، أكبر كثيرًا مما كان يومها، فإنه ليس أكبر من حيث النسبة إلى عدد السكان المعنيين في تلك المجتمعات»[24]. مع ذلك تبقى هناك أسباب أساسية لإدخال حركة الانتقال في تحليل السياسة العالمية اليوم. وهذه الأسباب:

---

(24) J. Friedman, «Globalization, Transnationalization and Migration: Ideologies and Realities of Global Transformation,» in: J. Friedman & S. Randeria (eds.), *Worlds on the Move: Globalization, Migration and Cultural Security* (London: I.B. Tauris, 2004), p. 65.

أولًا، يقوم معظم بلدان العالم برفع عدد السكان الأجانب المقيمين. ويمكن تحديد هذه الظاهرة بوضوح في تلك الأجزاء من العالم التي يركّز عليها الكتاب[25]، ويتنقل مزيد من الناس بينها ببساطة. ثانيًا، تعرضت ظاهرة الانتقال إلى العولمة، «أي إلى إمكانية تأثر المزيد من البلدان بحركة الهجرة في الوقت نفسه»، مع انتقال تلك الأعداد الكبيرة من الناس من أماكن مختلفة[26]. وتقوم هذه الأعداد، بعد انتقالها، بإحداث تغييرات غير مسبوقة في المجتمعات التي تستضيفها. ثالثًا، تؤثر حركة الانتقال في السياسة، جنبًا إلى جنب مع ديناميات أخرى. ويُعتبر الإعلام من بين هذه الديناميات، وهو يقوم بتسريع تأثير الانتقال ومداه وتكبيرهما. وإذا لم يتمكن الفرد من الالتحاق بحركة الانتقال، تأتي الحركة إليه. وعلى الرغم من حرصنا على تجنب المبالغة، فثمة حقيقة واحدة هي أننا نعيش في عالم يشهد حركة انتقال غير مسبوقة. فنحن نشهد اليوم عددًا متناميًا من المتنقلين الذين لا تمثل لهم الحدود والمسافة أكثر من عقبة يجب تخطيها. وتنجم عن هذا الانتقال ظاهرةٌ تأثيرها كبير في المجتمعات السياسية، ونقصد هنا تقلص الحدود الجغرافية.

تقلص الحدود الجغرافية

تُفسَّر ظاهرة تقلّص الحدود الجغرافية (تقلّص البُعد الإقليمي) بانتقال الناس من مكان يتميّز بحضور رابط قوي بين الإنسان والإقليم. وهي ظاهرة «تزعزع استقرار الحدود الحيزية»[27]. وتساعد حركة الانتقال في قطع الرابطة القائمة بين الناس والمكان، وتفرض على الأفكار والهويات الموجودة في سياق مطرح أو موضع معيّن أن تتنافس مع مثيلاتها في مطارح أخرى. إن العالم يشهد اليوم، بالنسبة إلى كثير من سكانه، «حركة تجاور اجتماعي على الرغم من المسافات الجغرافية التي يجري تجاوزها... وما عاد التجاور الجغرافي يؤدي

(25) S. Castle & M. Miller, *The Age of Migration*, 3rd ed. (Basingstroke: Palgrave, 2003), p. 81.

(26) Ibid., p. 7.

(27) M. DeLanda, *A New philosophy of Society* (London: Continuum, 2006), p. 13.

بالضرورة إلى علاقات اجتماعية»[28]. بل قوّضت حركة الانتقال الصورة التي يجسدها الإقليم. فبـ «طرائق مختلفة بدأت ‹أمواج من التدفق البشري› تسيطر على ‹مساحات من الأمكنة› وتتجاوزها، لتشكل سمة مميزة للنظام العالمي مابعد الحداثة»[29]. وثمة حراك جديد يساهم في نشوء سياسة دولية جديدة، بعدما تصبح حركة الانتقال أكثر أهمية من مفهوم الإقليم.

بالطبع، لن تؤدي ظاهرة تقلص الحدود الجغرافية حتمًا إلى دعم القضايا الناجمة عن هذا الانحسار الجغرافي. هناك كثير من الأمثلة عن الحركات السياسية التي تشدد على التطابق بين الناس والمكان، على الرغم من وجود مناطق تقوم فيها علاقة عضوية بينهما (الناس والمكان) وتشهد حركة انتقال مهمة. وحركات الانتقال الكبرى تسمح للناس بتغيير مستمر في هوياتهم، وتعرضهم لمجموعة أكبر من الاحتمالات التي يمكن أن تؤثر في مخيالهم السياسي. وليس هناك أفضل من السلفية المقاتلة لإظهار هذه الصورة.

يعاني السلفيون المقاتلون حركة انتقال مهمة في حياتهم، كما ورد في الفصل الخامس، ويمكن القول إنهم لا ينتمون إلى إقليم محدد. هذا الواقع يخلق لديهم رؤيا من عدم الانتماء، يتعذر على السلفية المقاتلة أن تحيا بسهولة من دونها. ولننتقل الآن إلى القوة الأساسية الثانية: الإعلام.

وسائط المعلومات الشاملة

ما نقصده بمصطلح وسائط المعلومات الشاملة هنا، هو الإعلام الإلكتروني واللامركزي والتفاعلي الذي تهيمن عليه الصورة. وتُعتبر وسائط المعلومات الشاملة ضرورية جدًّا للسلفي المقاتل، خصوصًا في عملية دمجه حوادث من أماكن بعيدة في نظرة عالمية تشغل فيها دورًا مهمًّا.

---

(28) Cesari, *Islam and Democracy Meet*, p. 91.

(29) R. Deibert, *Parchment, Printing, and Hypermedia: Communication in World Order Transformation* (New York: Columbia University Press, 1997), p. 175.

تتحكم الإنترنت، وكذلك التلفزيون والحاسوب والهاتف النقال والأقمار الصناعية وكاميرات الفيديو، بوسائط المعلومات الشاملة. لكن تظل الصورة المادة الرائجة في هذا الإعلام الذي يشكل «شبكة رقمية إلكترونية مع اتصالات سلكية ولاسلكية»[30]. هذا الإعلام المُثقل بالصور يصلنا على شكل «سيل» يُتخم المتلقي بالأخبار والمعلومات[31]. ولأسباب كثيرة تُحدث وسائط المعلومات الشاملة تأثيرًا محتملًا كبيرًا في الناس وفي مخيالهم السياسي، عبر تعديل العلاقة بين الإنسان والمكان.

القضاء على المكان/ الحيّز

قام الإعلام الناشط (وسائط المعلومات الشاملة) بهجوم آخر على المسافة، ليسهّل الاتصالات الفورية الدائمة بين الشعوب المتباعدة وأبناء الشعب الواحد. وقال أبادوراي: «في زمن اتساع الوقت وتباطئه وتباعد المسافات ومحدودية سيطرة التكنولوجيا على الموارد في مساحات واسعة، ظلت حتى القرون القليلة الماضية كلفة التعاملات الثقافية بين مجموعات منفصلة ثقافيًا ومكانيًا، كبيرة وتحتاج إلى جهد كبير للحفاظ على استمرارها»[32]. لكن الوضع ما عاد اليوم على هذه الصورة.

مرة أخرى، تُعتبر أهمية تقلص الموضع/ الإقليم من أبرز التطورات التي نجمت عن عملية «القضاء على المكان/ الحيّز عبر اختزال الوقت»[33]. وكما هي الحال مع الحركة والتنقل، تسمح هذه العملية بالعضوية في مجتمع يعتمد على شيء آخر غير التقارب الجغرافي. وكتب ديبرت، في سياق كلامه على وسائط المعلومات الشاملة: «مع تكتل المجتمعات حول مصالح مشتركة في الفضاء ‹الافتراضي› للإعلام النشط، تراجعت أهمية التقارب الجغرافي كأساس

---

(30) Ibid., p. 115.

(31) Gitlin, T. *Media Unlimited: How the Torrent of Images and Sounds Overwhelms Our Lives* (New York: Metropolitan Books, 2001).

(32) Appadurai, *Modernity at Large*, p. 28.

(33) Harvey, *The Condition of Postmodernity*, p. 205.

لهوية الجماعة»[34]. ويقول ميروفيتز: «بعد تقطّع العلاقات التقليدية بين الموقع الجغرافي والأوضاع الاجتماعية، يبدأ الإعلام الإلكتروني بطمس هويات كانت متميزة سابقًا. وهذا ناجم عن سماح الفضاء الإلكتروني للناس 'بالهرب' معلوماتيًا من انضوائهم في مجموعات مكانية، وعن سماحه للغرباء 'بالدخول' معلوماتيًا أو افتراضيًا، وليس جسديًا، إلى أماكن مجموعات كثيرة»[35].

هناك أمثلة كثيرة على هذا النوع من التطورات؛ ففي دراسة عن الشتات الأريتري، وموقعه الإلكتروني الأكثر ازدحامًا www.dehai.org، تحدث برنال عما «يقدمه الفضاء الإلكتروني إلى الشتات الأريتري، بردمه الهوة بين المسافات، أو بجعلها غير مرئية... وجعل الموقع الجغرافي من دون أي أهمية»[36]. وهذه تجربة غير عادية. وبسبب التوزع الجغرافي، ومع مجيء وسائط المعلومات الشاملة، أصبح بإمكان كثير من مجتمعات الشتات «خلق أشكال جديدة من الجنسيات والمجتمعات والممارسات السياسية»[37]. وكتابات برنال وغيره من الكتّاب، تدعم رأي ميروفيتز القائل إن «الاتصالات التي نجريها عبر الهاتف والراديو والتلفزيون والحاسوب في الأماكن التي ما عدنا نقيم فيها، صارت هي التي تحدد مكاننا وهويتنا الاجتماعية»[38]. في هذه الحال، قد يستمر الموقع الجغرافي باحتلال أهمية كبيرة في عملية تكوين الهوية، لكنه بدأ يخسر موقعه المتميّز، وبدأت البدائل بالظهور. ومع تراجع أهمية الموقع الجغرافي، أصبح بالإمكان خلق موقع جغرافي خيالي، «حيث لا تعود هوية المرء مرتبطة بالمكان الذي، ما عاد بدوره، مرتبطًا بمعرفة المرء وخبراته»[39].

يمكن استعمال وسائط المعلومات الشاملة بسهولة؛ ففي عصر الإعلام

---

(34) Deibert, *Parchment, Printing, and Hypermedia*, p. 198.

(35) J. Meyrowitz, *No Sense of place: The Impact of Electronic Media on Social Behavior* (Oxford University Press, 1986), p. 57.

(36) V. Bernal, «Diaspora, Cyberspace and Political Imagination: The Eritrean Diaspora Online,» *Global Networks*, vol. 6, no. 2 (2006), p. 168.

(37) Ibid., p. 161.

(38) Meyrowitz, No Sense of Place, p. 115.

(39) Ibid., p. 158.

هذا، تتوافر لمعظمنا مجموعة كبرى من الوسائل التي يتزايد عددها تزايدًا هائلًا، حتى عما كان عليه (العدد) في الماضي القريب. ولعل من الملائم أن نذكر هنا أنّ دولًا كثيرة في العالم ما زالت غير قادرة على استعمال الإنترنت أو حتى شاشات التلفزة، لكن هذا الوضع يتغير؛ إذ تستطيع وسائط المعلومات الشاملة الوصول إلى الناس والتأثير فيهم، حتى في حالات القدرة المحدودة على استعمال الإنترنت. ففي البلدان التي تتحكم الدولة فيها بشكل صارم بالإنترنت، أو حيث يعوق الفقر كثيرًا من تكنولوجيا المعلومات الشاملة، يمكن أن يتواصل الناس مع آخرين يستعملون الإنترنت بشكل أفضل. وعندما يلتحق الطلاب الماليزيون بجامعات في فرنسا، ويزور السعوديون شركاءهم في الأرجنتين، وينتشر عمال الإغاثة النمساويون في تشاد، فهذا يعني أن وسائط المعلومات الشاملة تمارس تأثيرًا في مستعمليها، وفي غير مستعمليها أيضًا. ويمكن أن يصل هذا التأثير إلى أماكن غير مقصودة، وعبر مسافات غير متوقعة.

إذا حصرنا هذه الدراسة في الغرب فحسب، فسيظهر إمكان استعمال وسائط المعلومات الشاملة بوضوح. لأن عددًا قليلًا فحسب من أولئك الذين يعيشون في الغرب لا يمكنه استعمال التلفزة مع القمر الصناعي، والـ«دي في دي» والإنترنت. والمعوقات التي تمنع إنتاج الأفلام ومواقع الإنترنت، جرى تخطيها. فاليوم تصور لقطات لهاربين كثر من بعيد. ويقوم فريق صغير، يرئسه خبراء أميركيون، بتحسين نوعية الصور، قبل بثها عبر شبكة تلفزيون فضائية عربية، ليُعاد بثها لاحقًا في برامج ومواقع كثيرة للإنترنت[40]. وإذا كان يمكن القيام بهذا الأمر في تلك الأحوال الصعبة، فليس من الصعب تخيّل ما يمكن تحقيقه في أحوال ملائمة أكثر. والاحتراف في استعمال التكنولوجيا يجعل الجميع مخرجين وممثلين محتملين. وتتطابق عملية دمقرطة استعمال الإنترنت مع دمقرطة الإنتاج، فيصبح بإمكان أي إنسان يحمل كاميرا وحاسوبًا أن ينتج فيلمًا ويبثه. وأصبحت الحدود الجغرافية الفاصلة بين إنتاج الإعلام واستهلاكه قابلة للزوال أكثر من ذي قبل.

---

(40) M. Ranstorp, «The Virtual Sanctuary of Al-Qaeda and Terrorism in an Age of Globalisation,» in: J. Eriksson & G. Giacomello (eds.), *International Relations and Security in the Digital Age* (London: Routledge, 2007).

توسّع وسائط المعلومات الشاملة نوعًا معينًا من التفاعل ليستطيع المستهلكون أن يستقوا أخبارهم من بين مجموعة كبيرة من مصادر الأخبار. إضافة إلى ذلك، تقدم الإنترنت تفاعلًا حقيقيًا بين المستهلكين والمنتجين. وبالفعل أزالت الإنترنت هذه الحواجز، حيث «يقوم المستهلك بإنشائها واستهلاكها كقناة اتصال»[41]. وتُعتبر وفرة منتديات الدردشة على الإنترنت أفضل مثال على ذلك. فمنظمات عدّة، منها السلفية المقاتلة، تستفيد منها استفادة كبرى[42]. وهذا النوع من التواصل يوفر للأفراد المتباعدين جغرافيًا مقدرة أوسع على تكرار التفاعل المباشر والشخصي. ومع استخدام الأسماء المستعارة، أصبح بالإمكان تخطي مجموعة أخرى من العقبات التي تعوق تنشيط المخيال السياسي. فإذا كان من المتوقع مثلًا أن يبتعد شاب يعيش في مدينة ليدن عن المجاهدين اليمنيين الذين تدربوا في أفغانستان، وقاتلوا في البوسنة والعراق، فإن إمكان استخدام أسماء مستعارة في الفضاء الافتراضي، مكّن ذلك الشاب من تخطي معوقات تباعد المسافات. وما يقدمه هذا الشاب إلى الآخرين في هذا الفضاء، هو تعريفه الشخصي أو ما يريد من معلومات خاصة، وليس موقعه الجغرافي أو أعماله. ففي عالم وسائط المعلومات الشاملة المترابط، أصبحت قصص «الجهاديين على الإنترنت»، وأصبح شنّ حروب من غرف نومهم، ممكنًا بشكل متميّز[43].

الصوَر

تسيطر الصور على وسائط المعلومات الشاملة. فقبل ستة عشر عامًا، كتب ميتشل أننا «نعيش في حضارة تسيطر عليها الصور والمحاكاة البصرية والصور

---

(41) Bernal, «Diaspora, Cyberspace and Political Imagination,» p. 171.

(42) انظر:

H. Rogan, «Jihadism Online-a Study of How Al-Qaida and Radical Islamist Groups Use the Internet for Terrorist Purposes,» *FFI/ RAPPORT* (2006).

(43) انظر مثلًا قصة ميكائيل ر. عند:

Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold.» 2004. at: www.sociosite.org/ jihad_nl_en.php, G. Corera, «Al-Qaeda's 007,» *The Times*, 16/01/2008.

النمطية والصور الخادعة والصور المنقولة والنُسخ والتقليد والخيال»[44]. واليوم أصبح هذا الأمر أصدق وأكثر شيوعًا. فالثقافات الغربية تعتمد «على البصريات اعتمادًا أساسًا في السلوك السياسي»[45]. وقام الغربيون «المتخمون بالصور بإنتاج ثقافة تعتمد على الصور في معلوماتها وأفكارها ونظرياتها المعرفية، بدلًا من الكلمة المحكية والمكتوبة في كثير من الأحيان»[46]. وفي سياق التعرّض للإعلام ووسائله ومداه وكميته، من الضروري حمل هذا التغيير على محمل الجد. فنحن نتواصل بالصور على نحو متزايد، ما يؤثر بشكل كبير في الخطب السياسية. لذا يجب النظر إلى أي مدى نحن نعيش في عصر تسيطر عليه الصورة.

يطلب بوستمان، في دراسته عن الصور وما تتيحه من تغيير في أشكال التواصل، «التفكير في ريتشارد نيكسون أو جيمي كارتر أو بيلي غراهام أو حتى ألبرت أينشتاين. فما يتبادر إلى الذهن حيال هؤلاء الأشخاص هو صورهم، والأرجح وجوههم على شاشة التلفزيون (وفي حالة أينشتاين، صورة للوجه) وليست الكلمات. وهنا يكمن الفرق بين التفكير في ثقافة تتمحور حول الكلمة، وثقافة تتمحور حول الصورة»[47]. ولعل بوستمان على حق في هذا الشأن.

يمكن هذه الصور أن تستحضر أفكارًا غامضة عن شيء يُسمى «النظرية النسبية»، أو ذكريات عن مكيدة سياسية تُسمى «ووترغيت»، لكنها ستستدعي عند معظم المستهلكين القليل من المعرفة عن معنى كل منها ومحتواه. وإذا اخترنا أمثلة حديثة ومتنوعة أكثر جغرافيًا، تُصبح هذه النقطة أقوى. فلدى

---

(44) W. Mitchel, *Picture Theory: Essays on Verbal and Visual Representation* (Chicago: Chicago University Press, 1994), p. 2.

(45) E. Dauphinee, «The Politics of the Body in Pain: Reading the Ethics of Imagery.» *Security Dialogue*, vol. 38, no. 2 (2007), p. 153.

(46) S. Sontag, *Regarding the Pain of others* (New York: Farrar, Strauss and Giroux, 2003), p. 105.

انظر أيضًا:

F. Möller, «Photographic Interventions in Post-9/ 11 Security Policy,» *Security Dialogue*, vol. 38, no. 2 (2007).

للحصول على تقرير دقيق ومقروء عن أهمية الصور وضرورة أن يأخذها المحللون على محمل الجد.

(47) N. Postman, *Amusing Ourselves to Death: Public Discourse in the Age of Show Business* (New York: Penguin, 1984), p. 61.

التفكير في الدالاي لاما أو الأم تيريزا أو صدّام حسين أو جون هوارد، فإن صورهم هي التي تتبادر إلى الذهن. ويحصل هذا على الرغم من أن أصحاب هذه الأسماء هم شخصيات عامة، وقد تكون كلماتهم وأفعالهم في عصر ماقبل سيطرة الصورة، هي طريقهم إلى الشهرة. فقبل مئتي عام، كان أمثالهم يمشون في الشارع من دون أن يتعرّف إليهم أحد، في حين أن كلماتهم كانت معروفة على نطاق واسع[48].

لننظر الآن إلى النتائج. تدخل الصور في روايات قائمة، بدلًا من أن تمارس قدرات تحويلية موضوعية. وتمثل الصور لقطات غير خاضعة لتحليل، وخارجة من سياقها. فلا يتفاعل المتلقي معها، كما يفعل في حالة نقاش مكتوب ومدعم بأدلة؛ إذ الصور أكثر تعميمًا. لذلك لا تؤخذ ولا تفهم وفقًا لحقائق المنطق، بل بحسب تفضيلات المستهلك، ومن دون أن تتضمن منظورًا تاريخيًا[49]. وفي غياب الاستمرار والسياق، يستشهد بوستمان بتيرانس موران الذي يقول: «لا يمكن دمج القليل من المعلومات في موضوع متكامل ومتسق»[50]. ففي عالم تُسيطر عليه الصورة، يصبح بالإمكان فصل أي شيء عن أي شيء، أو ربطه بأشياء أخرى. فتقوم الصور بـ«تشويه عجيب للحقيقة، وانتزاع لحظات من سياقها، وجمع حوادث وأشياء لا يجمع بينها أي رابط منطقي أو تاريخي»[51]. وكما يقول أبادوراي: «ما تقدمه (الصور) إلى أولئك الذين يختبرونها ويحولونها، هو مجموعة من العناصر (شخصيات أو حبكة قصة أو أشكال نصية)، حيث يمكن استخراج أشكال منها لحياة خيالية، تخصهم أو تخص أشخاصًا يعيشون في أماكن أخرى»[52].

---

(48) انظر:

Ibid., esp. pp. 7, 46, 61.

(49) للحصول على كتابات ثاقبة في هذا الموضوع، انظر:

J. Der Derian, *Virtuous War: Mapping the Military-Industrial-Media-Entertainment Network* (Boulder: Westview Press, 2001), & M. Shapiro, *Violent Cartographies: Mapping Cultures of War* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1997).

(50) Postman, *Amusing Ourselves to Death*, p. 137.

(51) Ibid., p. 74.

(52) Appadurai, *Modernity at Large*, p. 35.

يُعتبر هذا الأمر مهمًا جدًّا لبناء سردية موحدة من حكايات أولئك الذين يعيشون حياة مختلفة كليًا في أماكن متفرقة جغرافيًا. فتخلق الصورة شعورًا بالانتماء إلى مجموعة من الناس تعيش أساليب حياة متفرقة ومختلفة. وهي تسمح للمستهلك، بعد جمعها لتكوين حكاية، بإدخال نفسه والآخرين في سردية موجودة، وتتطوّر باستمرار. وهذا كله أصبح واضح الأهمية عند السلفية المقاتلة.

تمثّل الحركة والإعلام شرطين أساسين للسماح للمخيال السياسي بتأدية دور أكبر في الحياة السياسية اليوم. وهما غالبًا ما يعملان جنبًا إلى جنب وفي تداخل، وبالإمكان ملاحظة تفاعلهما على صعيد العالم. فكما «يشاهد العمال الأتراك في ألمانيا أفلامًا تركية من بيوتهم، يشاهد الكوريون في فيلادلفيا أولمبياد سيول عبر الأقمار الصناعية، ويستمع سائق سيارة الأجرة الباكستاني في شيكاغو إلى تسجيلات مُسجلة في مساجد من باكستان أو إيران، ونرى صورًا متنقلة بين مشاهدين لا تحجزهم حدود جغرافيّة»[53]. تحوّل الإعلام والانتقال إلى قوة أساسية نستطيع من خلالها تصوّر أنفسنا وإعادة فهمها. وهكذا أُقحم هذا كله في النشاط السياسي.

رفع سفر الناس بأعداد متزايدة، ومشاهدتهم بالصور حوادث وأناسًا من أنحاء العالم المختلفة، من إمكان تطابقهم مع آخرين وقضاياهم، بفعل عوامل أخرى غير المكان الجغرافي والخبرات المشتركة. لذا يتراجع الفارق بين العالمية والمحلية. والحوادث والناس حول العالم، صاروا جزءًا من سرديات حياة كل شخص، على نحو لم يكن متوقعًا أو متخيلًا من قبل.

تخطي الحدود الوطنية: الكوني أصبح محليًّا

سهّل توسع حركة الانتقال ووسائل الإعلام عملية تكوين علاقات عابرة الحدود، والحفاظ عليها. وتتخذ هذه الظاهرة أشكالًا عدة، مثل العرقية - القومية، وهي نوع من القومية التي تتخطى الحدود والمكان والتواصل وجهًا لوجه. فيتخيّل المرء نفسه مرتبطًا بآخرين ينتمون إلى عرقية - قومية قريبة،

---

(53) Ibid., p. 4.

ويتصرف وفقًا لذلك. وهناك كثير من الأمثلة المعاصرة عن وهم سياسي يعتمد على التفاعل بين حركة الانتقال ووسائل الإعلام.

يقول أبادوراي: «إذا نظرنا إلى الرابط بين الصرب المنتشرين في أجزاء كبيرة من البوسنة والهرسك، أو الأكراد المنتشرين بين إيران والعراق وتركيا، أو السيخ المنتشرين بين لندن وفانكوفر وكاليفورنيا، وكذلك البنجاب في الهند، فسنلاحظ أنّ ظاهرة الإثنيات - العرقيات الجديدة هي أشكال تعبئة منسقة تنسيقًا رفيعًا، معقدة وممتدة على نطاق واسع، معتمدة على الأخبار والتقنيات اللوجيستية والدعاية العابرة حدود البلدان»[54].

تُعتبر منظمة الخالستاني المقاتلة، ويعني اسمها «الأرض النقية»، من الأمثلة التي تُظهر التأثير العميق لحركة الانتقال والإعلام في الإرهاب العابر الأوطان. فخالستان اسم منطقة في الهند، ويرغب بعض السيخ في تأسيس وطن قومي لهم فيها. ويسعى هؤلاء الناس للحصول على السيادة الدينية، للتخلص من اضطهاد السلطات الهندية والأكثرية الهندوسية. ويقوم أفراد من الشتات السيخ بدعم هذه القضية، علمًا أنه لم يتعرض معظم هذا الشتات للاضطهاد الذي ينددون به، وينشرون بسببه صورًا للتعذيب والقتل. وهم لم يلتقوا على الأرجح بضحايا حقيقيين لهذا الاضطهاد. لكنهم يتخيلون أنفسهم جزءًا من هذا الصراع. ويشرح أحد المراقبين ذلك قائلًا: «ليس صحيحًا أنّ السيخ جميعًا ‹عانوا› هذا الصراع الدموي بين الخالستانيين والسلطات القومية الهندية، لكن مجموعات مختلفة من السيخ أُسست على الصعيد العالمي من خلال موضوع الصراع هذا، وعبر إنتاج معلومات عن التعذيب»[55]. ولنشر هذه المعلومات والصور، لا يمكن الاستغناء عن وسائط المعلومات الشاملة. ويقول أكسيل: «في السنوات الأربع عشرة الماضية أصبحت صور الجثث المشوهة لضحايا السيخ مشهدًا معروفًا ومتفرّدًا لمعظم أعضاء هذه الطائفة حول العالم»[56]. وتقدِّم هذه الصوّر المنشورة

(54) Ibid., p. 163.

(55) B. Axel, «The Diasporic Imaginary,» *Public Culture*, vol. 14, no. 2 (2002), p. 413.

(56) Ibid., p. 414.

على مواقع إلكترونية مثل موقع www.khalistan.net، مشهدًا قويًّا عن هذه المعاناة التي تدفع كثيرًا من القراء إلى اعتبار السلطات الهندية معادية أو ظالمة. وتسمح صور هؤلاء لأفراد من كندا وأوروبا وأستراليا على الرغم من أنّ معظمهم لم يقم بزيارة الدولة المُقترحة للسيخ، ولم يتعرض للمعاناة التي تظهرها الصور كحقيقة، بتأليف عناصرها وجمعها في حياة خيالية متماسكة.

يتساءل أكسيل عن كيفية تخطي بعض السيخ الاختلافات في التجربة والأماكن الجغرافية، ليعتبروا أنفسهم جزءًا من مجتمع واحد. ويضيف: «ما الذي ظهر في السنوات السبع عشرة الماضية، ومكّن أعضاء طائفة السيخ في معظم أنحاء العالم من تصوّر «مجتمع عالمي من السيخ»، من شأنه القيام بالتعبئة والدفع إلى تحدي السلطات الهندية والمؤسسات المعيارية للسيخ (المجلس الملي أو الكوام (quam))؟»[57]. يتعلق السؤال المطروح هنا بالقوى الاجتماعية التي تُسهّل نوعًا معيّنًا من سياسة الحنين إلى الوطن.

حنين بلا ذاكرة

يُظهر هذا المثال عن السيخ شكلًا معيّنًا من سياسة الحنين إلى الوطن، التي يُسميها جيمسون «الحنين إلى الحاضر»[58]، ويعتبرها أبادوراي «حنينًا بلا ذاكرة»[59]. وتشتق كلمة حنين في اللغة الإنكليزية، نوستالجيا (nostalgia)، من نوستوس (nostos) في اللغة اليونانية، أي العودة إلى المنزل، وألجيا (algia)، أي ظرف مؤلم[60]. ويُعتبر الحنين إلى الماضي، أي تذكر هذا الماضي الذي يمكن إحياؤه مرة أخرى وعيشه، أمرًا شائعًا في جميع المجتمعات. ومن الممكن ألا ينجم هذا الحنين مباشرة عن ذكريات موضوعية بالكامل، لكنه يتشكل من ذاكرة

---

(57) B. Axel, «Diasporic Sublime: Sikh Martyrs, Internet Mediations and the Question of the Unimaginable,» *Sikh Formations*, vol. 1, no. 1 (2005), pp. 144-145.

(58) F. Jameson, «Nostalgia for the Present,» *South Atlantic Quarterly*, vol. 88, no. 2 (1989).

(59) Appadurai, *Modernity at Large*, p. 30.

(60) F. Davis, *Yearning for Yesterday: A Sociology of Nostalgia* (New York: The Free Press, 1979), p. 1.

حوادث معيشة ومختارة، وينمو بتأثيرها. أما بالنسبة إلى أولئك الذين ليسوا على علم بالموضوع المشار إليه - أطفال اللاجئين الروانديين في بوروندي، المهاجرون الأتراك في ألمانيا، والتجمعات المتصلة في الولايات المتحدة - فيبقى ذلك نقطة مرجعية لشيء كان موجودًا ولا يزال موجودًا. ويُعتبر هذا الشيء الذي يقاتلون من أجله، ويشكلون جزءًا منه، ثابتًا نوعًا ما. ولهذا السبب يستمر عدد كبير من الإيرلنديين الأميركيين بدعم الجيش الإيرلندي السري، على الرغم من أنّ عددًا كبيرًا من الناس في إيرلندا الشمالية الجمهورية، يعتبرون أن هذه المنظمة أصبحت من الماضي. وحتى في هذه الحالات، ينشئ الحنين حقيقة مختلفة عن تلك التي يجري تذكرها. يطرح هوسكينز هذه النقطة، فيشير إلى ظاهرة قائمة في ألمانيا، حيث يتم إحياء الجمهورية الديمقراطية الألمانية السابقة (ألمانيا الشرقية قبل الوحدة) في البرامج التلفزيونية الشعبية، وذلك على شكل حنين (نوستالجيا) أو ألم متحجر (أوستالجيا) للماضي. ويبقى هذا الحنين مجهولًا لكثيرين من الذين يتذكرون هذه الجمهورية[61].

تشير مسألة خالستان إلى سياسة الحنين هذه؛ فهي ليست موجهة إلى شيء كان قائمًا ويجري تذكره عبر الأجيال، بل هي حنين إلى سياسة خيالية، بعض عناصرها حقيقي، وحتى إلى تلك لم يعشها الشتات من السيخ. أنشئت هذه السياسة من الخيال والأعمال التي تعتمد على الخيال. وهذه هي حال السلفية المقاتلة.

السلفية المقاتلة وسياسة الحنين

تمتلك المسألة الخالستانية العابرة الحدود الكثير من القواسم المشتركة مع حركة السلفية المقاتلة. فيتخيّل بعض الأفراد السيخ في الشتات أنفسهم أعضاء في مجتمع خالستاني عالمي للسيخ (وليس ببساطة مجتمعًا للسيخ) يقف معارضًا للدولة الهندية. أما السلفي المقاتل، فيتخيّل نفسه عضوًا في الأمة التي تواجه الغرب العدواني أو المتغطرس. وإذا سحبنا سؤال أكسيل في شأن

(61) A. Hoskins, «Television and The Collapse of Memory,» *Time and Society*, vol. 13, no. 1 (2004), p. 110.

المسألة الخالستانية على حركة السلفية المقاتلة، فسيصبح السؤال: ما الذي جعل المسلمين في الغرب يتخيلون أنفسهم جزءًا من مجتمع عالمي مهدد من الغرب؟ كيف نشأت هذه الفكرة أو الصورة عن النفس كجزء من مجتمع خيالي؟ ما هي القوى الاجتماعية والسياسية والعالمية التي سهلت نشوء هذا المخيال السياسي؟

يرتبط الجواب كثيرًا بالإعلام وحركة الانتقال اللذين ينشآن سياسة حنين تعتمد على شيء آخر غير التجربة. في الواقع ينطبق هذا الوضع على السلفية المقاتلة أكثر من انطباقه على المسألة الخالستانية. ففي حالة هذه الأخيرة هناك رغبة في تأسيس وطن قومي في منطقة محددة، يعيش فيها الرفاق المناضلون. ولا ينطبق هذا الواقع على السلفيين المقاتلين الذين تقودهم ظاهرة اضمحلال الحدود الجغرافية (نزع الصفة الإقليمية) إلى تصوّر مجتمع سياسي بلا حدود إقليمية.

لا يعتبر السلفي المقاتل - وهو نتاج المخيال السياسي - أنّ الأمة من وحي الخيال. تأتي فكرة الأمة، وهي مركزية في مشروع السلفية المقاتلة، من وهم يقود إلى حنين، لكنه حنين بلا ذاكرة. وهذا أمر يتطلّب مزيدًا من التفسير.

الأمة

قد يعبّر كثير من المؤمنين عن امتعاضه من فكرة الأمة، باعتبارها من وحي الخيال[62]. ولا يعود هذا الأمر فحسب إلى الآية القرآنية التي تدعو المسلمين إلى الاهتمام بشؤون الإيمان، أي ما يهم هنا هو الإيمان وليس المكان أو التجربة. عبّر الإسلام دائمًا عن تطلعات عالمية، فهو دين لجميع الناس ولكل الأوقات، والأمة ليست بدعة من بدع المقاتلين أو همًّا كبيرًا يحملونه. والمذاهب الإسلامية، منذ ظهورها وعلى اختلافها، أكدت الأهمية الكبرى

(62) تجدر الإشارة إلى أنّ هناك مفاهيم مختلفة لدى مختلف الناس حول مسألة الأمة. قام المقاتلون بتقليص فكرة المسلمين والأمة التي توحدهم من أمة المؤمنين إلى أمة المؤمنين الصالحين. ولا تتضمن أمتهم الخيالية الطائفة الشيعية التي يهاجمون أعضاءها خلال قيامهم بشعائرهم الدينية في العراق، أو الأتراك العلمانيين. وتتضمن أولئك الذين يفكرون ويتصرفون مثل السلفيين المقاتلين فحسب. ولا يهتم السلفيون المقاتلون، بشكل عام، بجميع المسلمين، بل بأولئك الذين تؤكد أعمالهم أو أفكارهم عن أعمال الآخرين. الفكرة القائلة بوجود صراع بين الإسلام والغرب.

للعقيدة الإسلامية وأولوية الأمة مصدرًا للهوية. نظريًا ومنذ 1500 عام، اعتمد عدد كبير من المسلمين فكرة جماعة المؤمنين الذين يتفقون على أمور تفوق كثيرًا تلك التي يختلفون فيها[63].

لذا يجب توضيح الفكرة القائلة إن الأمة هي وظيفة من وظائف الخيال. وهي فكرة استعملها أندرسون، في مسألة الدولة القومية. فالأمة هي مجموعة من الناس، لن تتقاطع مساراتهم ولن تلتقي، ويتشاركون تجارب مباشرة قليلة مع الآخرين داخل الأمة التي تحيا بإيمان الناس بوجودها. هذا يعني أنها من نتاج المخيال السياسي، ونوع من «التصور الأسطوري»، وذلك شأن «الغرب» أيضًا. وهو تصوّر يضع نفسه في موقع الخصم للغرب[64]. هذه الفكرة طرحها، بطريقة أو بأخرى، خوسروخافار وروا وسيزاري وطيبي[65].

تعتمد النظرة العالمية للسلفية المقاتلة على ممارسة المخيال السياسي، الذي يعتمد بدوره على شروط الإمكان في عصر الحداثة العالمية. ويُعتبر الإعلام وحركة الانتقال من أهم هذه الشروط. وسُيعالج هذان الموضوعان في الفصلين التاليين.

---

(63) انظر، مثلًا:

K. Armstrong, *Islam: A Short History* (New York: Modern Library, 2002).

للحصول على مرجع آخر، موجز لكن مفصّل، انظر:

A. Dallal, 'Ummah', in: J. Esposito (ed.), *The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic* World (Oxford University Press, 1995).

(64) E. Husain, *The Islamist* (London: Penguin, 2007), p. 278.

(65) ينبغي ألّا يثير هذا الواقع الكثير من الجدل، لأن المجتمعات كلها، إلى حدٍ ما، خيالية، كما يلاحظ وايتهد وستراذرن. انظر:

A. Strathern, P. Stewart & N. Whitehead (eds.), *Terror and Violence: Imagination and the Unimaginable* (London: Pluto Press, 2006), p. 9.

يأخذون الحياة من الخيال، ويتصرفون بحسبه. ويقول فالزر عن أحد المجتمعات الأكثر خيالية، والأكثر انتشارًا، ويقصد هنا الأمة، «إنه غير مرئي ويجب تجسيده قبل مشاهدته، والتعبير عنه بالرموز قبل التعلق به، وتخيله قبل فهمه». انظر:

M. Walzer, «On the Role of Symbolism in Political Thought,» *Political Science Quarterly*, vol. 82 (1967), p. 194.

فهذا ينطبق إذًا على الأمة أيضًا.

الفصل الرابع

وسائط المعلومات الشاملة
وتكوين المجتمع المقاتل

يؤدي المخيال السياسي دورًا أساسًا في تصوّر الأفراد لأنفسهم كسلفيين مقاتلين. وتعتمد هذه العملية على شرطين أساسين لتُصبح ممكنة: حركة الانتقال والإعلام. يؤدي هذان الشرطان دور الحافز في عملية الانفصال عن المكان أو المجتمع، وفي الانتقال، ما يسهل نوعًا من المخيال السياسي الخاص بالسلفي المقاتل. ولنبدأ الآن بدراسة وسائل الإعلام.

ترى قلة من القراء أنه جرى تجاهل دور شبكة الإنترنت التي تعتبر الجزء الطليعي من وسائل الإعلام في دراسة العنف السياسي[1]. لكن الدراسات التي تطرقت إلى العلاقة بين الاثنين ركزت على الاستعمال العملي للإنترنت كوسيلة في يد المقاتلين. هذا أمر مفيد، لكنه جاء على حساب التركيز على دراسة إمكاناتها

---

(1) من الكتابات أو المقالات الكثيرة التي وُضعت عن هذين الموضوعين:

E. Ahrari, «Al-Qaeda and Cyberterrorism,» *The Asia Times*, 18/08/2004, E. Alshech, «Cyberspace as a Combat Zone: The Phenomenon of Electronic Jihad,» *The Jerusalem Post*, 27/02/2007, I. Ariza, «Virtual Jihad,» *Scientific American*, 26/12/2005, S. Atran, «A Failure of Imagination (Intelligence, WMDs, and «Virtual Jihad»),» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 29 (2006), S. Coll & S. Glasser, «Rifles and Laptops Al-Qaeda's New Armoury,» *The Sydney Morning Herald*, 13/08/2005, E. Kohlmann, «The Real Online Terrorist Threat,» *Foreign Affairs*, vol. 85, no. 5 (2006), B. Lia, «Al-Qaeda Online: Understanding Jihadist Internet Infrastructure,» *Jane's Intelligence Review* (2005), Y. Musharbash, «How Islamic Extremists Are Turning the Web into Terror.Com,» *Der Spiegel*, 7/02/2005, Y. Musharbash, «The Cyber-Cemetry of the Mujahedeen,» *Der Spiegel*, 28/10/2005, Y. Musharbash, «Jihad 101 for Would-Be Terrorists,» *Der Spiegel*, 17/08/2006, H. Rogan, «The London Bombings.com: An Analysis of Jihadist Website Discussion about the Attacks,» *FFI/ RAPPORT* (2005), H. Rogan, «Jihadism Online- a Study of How Al-Qaida and Radical islamist Groups Use the Internet for Terrorist Purposes,» *FFI/ RAPPORT* (2006), S. Ulph, «A Guide to Jihad on the Web,» *Terrorism Focus*, vol. 2, no. 7 (2005), G. Weimann, *Terror on the Internet: The New Arena, The New Challenges* (Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2006), J. Arquilla & D. Ronfeldt, «The Advent of Netwear (Revisited),» in: J. Arquilla & D. Ronfeldt (eds.), *Networks and Netwars* (Santa Monica: RAND, 2001), & G. Bunt, *Islam in the Digital Age:E-Jihad, Online Fatwas and Cyber Islamic Environments* (London: Pluto Press, 2003).

(الإنترنت) التحويلية. وُضع عدد من الكُتب أو الأعمال عن الدور الكبير والمتنامي لوسائل الإعلام العالمية بشكل عام، ويُعتبر الكثير منها متطوّرًا وعميقًا[2]. وفي ما يخص هذه الدراسة بالتحديد، فإننا قمنا بكثير من التحقيقات حول العلاقة بين التواصل السياسي والصور في عصر تزوّد فيه وسائط المعلومات الشاملة الحياة السياسية بالأخبار والمعلومات. هذا الاعتراف بتأثر المسألة السياسية الكبير بوسائل الإعلام الإلكترونية، لهو أمر مرحب به. إن تطوّر إمكان التواصل، وإمكان الحصول على المعلومات، وفورية ذلك، إضافة إلى محتوى هذا التدخل التكنولوجي في حياتنا، كل ذلك أدى إلى تطوير بدائل تخص بناء الهوية والسياسة. ومن الضروري تقدير هذا التغيير لفهم ظاهرة السلفية المقاتلة بشكل صحيح.

نقوم في ما يلي باستكشاف وسائل الإعلام ودورها في تسهيل السلفية المقاتلة، من خلال دراسة حالات من السلفية المقاتلة في الغرب، وطرائق استخدامها الإعلام الإلكتروني. وعلى الرغم من أن ما استُطلع يشكل جزءًا صغيرًا من المستعمل، من الضروري توضيح انتشار وسائل الإعلام وقوتها في حياة المقاتلين، قبل أن نقدّم تحليلًا عن استخدام وسائل الإعلام في إنتاج المخيال السياسي.

السلفية المقاتلة الغربية ووسائط المعلومات الشاملة

مجموعة هوفستاد

أطلقت الاستخبارات الهولندية تسمية هوفستاد على مجموعة من الأشخاص، في إشارة إلى لاهاي، المدينة التي بدأ أعضاء المجموعة بالالتقاء

---

(2) انظر مثلًا:

J. Der Derian, *Virtuous War: Mapping the Military-Industrial-Media-Entertainment Network* (Boulder: Westview Press, 2001), M. Ignatieff, *Virtual War: Kosovo and Beyond* (London: Chatto and Windus, 2000), C. Dauber, «Image as Argument: The Impact of Mogadishu on U.S. Military Intervention,» *Armed Forces and Society*, vol. 27, no. 2 (2001), E. Dauphinee, «The Politics of the Body in Pain: Reading the Ethics of Imagery,» *Security Dialogue*, vol. 38, no. 2 (2007), A. Hoskins, «Television and The Collapse of Memory,» *Time and Society*, vol. 13, no. 1 (2004), A. Hoskins, «Temporality, Proximity and Security: Terror in a Media-Drenched Age,» *International Relations*, vol. 20, no. 4 (2006), & E. Comor, «The Role of Communication in Global Civil Society: Forces, Processes, Prospects,» *International Studies Quarterly*, vol. 45 (2001).

فيها. كانت مجموعة مفككة وغير منظمة وعشوائية وتتشكل إلى حد كبير من هولنديين ينحدرون من الجيل الثاني من المهاجرين المغاربة[3]. تعرّف الناس إلى المجموعة وسمعوا عنها، عندما قام أحد أعضائها، وهو محمد بويري، بقتل ثيو فان غوغ بينما كان يتوجه إلى عمله على الدراجة الهوائية، وذلك بتعلّة الدور المحرض الذي أسنده فان غوغ إلى نفسه، حين أطلق تصريحات عدة مهينة لعدد من الأشخاص والمجموعات والمعتقدات، منها الإسلام. وكان فان غوغ قبل مقتله قد تعاون مع السياسية آيان حرصي علي[4]، لتقديم فيلم تحت عنوان The Submission (الخضوع). كان فيلمًا مثيرًا للجدل، لكن ذلك لم يكن استثنائيًا بالنسبة إلى فان غوغ. يظهر في الفيلم جسد أنثوي عار، كُتِبت عليه آيات من القرآن، ذلك أن غوغ وعلي يعتبران أن جذب الانتباه إلى الكراهية التي يطلقها الإسلام ضد النساء، هو هدف الفيلم. أثارت هذه المسألة غضب كثيرين من المسلمين الهولنديين، ونُشِرت تعليقات عدوانية كثيرة عن هذا الفيلم، خصوصًا في منتديات غير معروفة إلا قليلًا[5]. منذ البدء بمحاكمة بويري الذي كان قد تمنى لو حققت الشرطة الهولندية رغبته في الشهادة، كُشِف النقاب عن أعمال نفّذها أعضاء المجموعة، وأخرى خططوا لها. وتتضمن خططًا لاعتداءات أخرى، وعلاقات مع مقاتلين في بلدان أخرى[6]. وربما تكون جريمة فان غوغ وضعتهم تحت الأضواء، لكن نياتهم وتاريخهم كانا أشمل من هذه الحادثة وحدها.

أدّت وسائط المعلومات الشاملة دورًا رئيسًا في جهادية أعضاء مجموعة هوفستاد؛ إذ شاركوا في عدد من المنتديات الإلكترونية، وفي تجمعات

---

(3) R. Peters, «Interview with Author,» 24/09/2007.

(4) علي من أصول صومالية وناقدة للأصولية الإسلامية، ما دفعها لتعيش متخفّية، بسبب التهديدات التي وُجِهت إليها من هوفستاد وغيرها من المجموعات المقاتلة باعتبارها منشقة وعدوة للإسلام.

(5) Benschop, «Interview with Author,» 24/09/2007.

ليس المقصود هنا القول إن المؤامرة لقتل فان غوغ كانت نتيجة لفيلم The Submission؛ فقد ناقشت المجموعة الاعتداء، وقرر بويري القيام بالاعتداء قبل إطلاق الفيلم.

(6) P. Nesser, «Jihad in Europe- a Survey of the Motivations for Sunni Islamist Terrorism in Post-Millennium Europe,» *FFI/ RAPPORT* (2004), pp. 12-14.

واجتماعات في المجتمعات التي يشكلون جزءًا منها، بما في ذلك تفاعلهم على الإنترنت وفي المجتمع المقاتل في «مدن الصحون اللاقطة» (وهذه تسمية مشتقة من وجود عدد كبير من الصحون اللاقطة - الساتيلايت - التي تبث الأخبار من الخارج بين جماعات المهاجرين).

كان أعضاء مجموعة هوفستاد يلتقون عادةً مرتين في الأسبوع، في مركز للاتصالات في شيدام، جنوب البلاد. بعد ذلك نقلوا مكان لقائهم إلى منزل بويري، حيث تحولت غرفة المعيشة صفًا للتدريس، وحوت منبرًا للوعظ. كان رضوان العيسى، وهو صاحب دور أساس، في المجموعة في أيامها الأولى، يخطب ويَعِظ في هذه الاجتماعات. وفي غيابه كان بويري يؤدي هذا الدور(7). إضافة إلى اعتماد تعاليم العيسى وبويري، ومناقشة مسائل مختلفة في ما بينهم، كان أعضاء المجموعة يشاهدون أفلامًا عن اضطهاد المسلمين في العالم، ومشاهد من الشيشان والعراق على وجه الخصوص. انشغلوا أيضًا بتسجيلات عن قطع الرؤوس(8). واحتلت هذه الأفلام والمشاهد والتسجيلات حيزًا مركزيًا في اجتماعاتهم التي كان كثير من أعضائها يجلب معه أجهزة الكمبيوتر المحمولة، ليشاهد عليها موادّ محمّلة من مواقع إسلامية على الإنترنت، «تُظهر إعدامات في منطقة الشرق الأوسط، وعمليات ذبح كفار أجانب يقوم بها مجاهدون يغطون وجوههم بأقنعة وأوشحة. كان محمد بويري، بحسب أحد الحاضرين في هذه الحلقات، يتحمس كثيرًا لهذه المشاهد المروعة. وفي شقة محمد أمضى نور الدين(9) ليلة زفافه مع زوجته على فراش، يتابعان مشاهد ذبح كفار»(10).

بعد جريمة قتل فان غوغ، قامت الشرطة بالإغارة على شقة محمد، حيث وُجِد «قرص مدمج سُجّلت عليه مشاهد لأكثر من 23 جريمة قتل لـ ‹أعداء

---

(7) Peters, interview with author.

(8) E. Vermaat, «Terror on Trial,» *Front Page Magazine*, 12/12/2005.

(9) كان نور الدين الفاطمي مهاجرًا غير شرعيّ في هولندا، وقد شارك بويري منزله، وكان عضوًا في مجموعة هوفستاد أيضًا.

(10) I. Buruma, *Murder in Amesterdam: The Death of Theo Van Gogh and the Limits of Tolerance* (London: Atlantic Books, 2006), p. 212.

الله»، بينهم مراسل وول ستريت جورنال، دانيال بيرل. ومصدر هذه التسجيلات هو موقع سعودي على الإنترنت، يقوم بنشرها من لندن. وإلى جانب الصور التفصيلية لقطع رؤوس أشخاص من جنسيات مختلفة، يحوي القرص صور شخص يتلوى في أثناء قطع رأسه، والصور هذه مصدرها موقع جنسي إباحي هولندي على الإنترنت»[11].

لوسائط المعلومات الشاملة أهمية خاصة في المواجهة المباشرة. وفي مستهل القرن الحادي والعشرين بدأت المواقع الإسلامية على الإنترنت في هولندا بالانتشار خارجيًا، واهتمت اهتمامًا كبيرًا بالحوادث الخارجية. ومع تركيزها على مجتمعات معيّنة، اعتمدت هذه المواقع العربية لغة مشتركة، وكان الشرق الأوسط هو الهدف. وحصل في عام 2001 تغيير في النظر أو الرؤيا؛ إذ «ظهرت على الإنترنت مواقع ضد هولندا، أسسها في الأصل جهاديون هولنديون توجهاتهم أجنبية»[12]، واستمر هذا الوضع في التطوّر. ففي عام 2003 شهدت هولندا فورة في الاهتمام بالسلفية المقاتلة على الإنترنت. وركزت مواقع على جلب الجهاد العنيف إلى هولندا، مع إظهار القليل من الاختلاف في المضمون. وكما كتب جوسترا، «تشابهت مضامين برامج مجموعات المراسلة الفورية (MSN) المتنوعة ومواقع الإنترنت في كثير من الجوانب»[13]. وكانت مجموعة هوفستاد في طليعة هذه التغيرات.

أدارت المجموعة مجتمعًا خاصًا على الإنترنت، فراحت تعرض أفلامًا وترجمات ومعلومات «ومقاطع مجتزأة من نصوص ثورية ودعوات للجهاد وتمجيد للشهادة»[14]. كانت تقوم بذلك مجموعة لـ «MSN» على الإنترنت، أدارها أحد أعضاء هوفستاد، وهو أحمد حمدي[15]. كان أحمد خبيرًا

---

(11) Ibid., p. 4.

(12) T. Joustra, *Jihadis and the Internet* (The Hague: National Coordination for Counterterrorism, 2007), pp. 58-59.

(13) Ibid., p. 60.

(14) Buruma, *Murder in Amesterdam*, p. 194.

(15) E. Vermaat, «The «Hofstagroup» Terror Trial,» *Front Page Magazine*, 10/01/2006.

بتكنولوجيا المعلومات، يلجأ إليه الآخرون ليساعدهم في الشؤون التكنولوجية، وفي الاحتماء من أعين السلطات المتطفلة[16]. رابطة المودة والألفة القائمة بين أعضاء هذا المجتمع، والحارس الأمامي الذي يدقق في عضوية المنتسبين إليه، جعلا مجتمع الإنترنت المرآة الإلكترونية للاجتماعات التي كانت تجري داخل غرفة الجلوس في بيت بويري. فالأعضاء الحاضرون المعروفون، كانوا يضطلعون بالنشاط نفسه الذي يشاهدونه على الشاشة الإلكترونية. وقد وُزِّعت عليهم نصوص تُرجمت ونُشرت أمام عيونهم لقطات ومشاهد عن الصراعات، ووُضِعت بين أيديهم رسائل تهديدية ضد شخصيات سياسية هولندية مهمة[17].

لم تطلب مجموعة هوفستاد من أعضائها ولاءً حصريًا ولا حصلت عليه، فهي لم تكن المجموعة الوحيدة في هولندا، وكثير من أعضائها شارك أعضاء في مجموعات مقاتلة أخرى شكلت في ما بينها نوعًا من الائتلاف الفضفاض في غرف التواصل على الإنترنت. ولرسم الصورة الأفضل لفهم البيئة المقاتلة في هولندا في بداية القرن الحادي والعشرين، يجدر القول إنها تتألف من مجموعات عدة، سيالة ومتداخلة، وكلها تتقاسم بعض المعلومات والأعضاء. وكان لمجموعة هوفستاد الدور الكبير في وضع شروط المناقشة، إلى جانب امتلاكها رغبة في تنفيذ الكلام الذي يُقال[18].

أشرف بويري على مجموعة الـ MSN، تحت تسمية «موحدين»، ومرة أخرى استُعين بخبرة حمدي، فشغل دور المسؤول عن المجموعة أو الموقع[19]. وكتب بويري باسم مستعار (أبو الزبير) مقالات عن الإسلام المقاتل، وترجم مقالات لمفكرين إسلاميين راديكاليين، منهم سيّد قطب والمودودي مؤسس الجماعة الإسلامية. واستعان أيضًا بشخصيات معاصرة، مثل عمر عبد الرحمن، «الشيخ الضرير» الذي سُجِن بسبب دوره في تفجيرات

---

(16) Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(17) Buruma, *Murder in Amesterdam*, p. 194.

(18) انظر:

Joustra, *Jihadis and the Internet*, p. 33.

(19) Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

برج التجارة العالمي في عام 1993، ومثل أبو حمزة المصري، المسجون حاليًا. إضافة إلى ذلك قدم بويري خطبًا مقاتلة لاذعة ضد الغرب، ودعا إلى الجهاد في العراق، وطالب بقتل شخصيات هولندية مهمة.

كان رشيد بوسنة عضوًا في مجموعة هوفستاد. وكان يمضي معظم نهاره أمام شاشة الكمبيوتر، للدخول على مواقع مقاتلة على الإنترنت. وحاول تجنيد آخرين لخدمة السلفية المقاتلة فجمع الأموال لمؤسسة الأقصى في روتردام[20]. كان هناك أيضًا بلال العمراني الذي جنّد أعضاء في المجموعة نفسها لقضية السلفية المقاتلة. استخدم الإنترنت لإقناع الآخرين بضرورة الجهاد، ولإرشادهم إلى كيفية القيام بذلك[21]. وردًّا منه على سؤال عن ضرورة معاقبة المسيئين إلى الرسول، أجاب في إحدى مجموعات الـ MSN بأن عقابهم هو الموت. كان جوابه واضحًا: «من الضروري قتل من يسيء إلى النبي، سواء أمسلمًا كان أم كافرًا. ويجب أن يكون القتل عقوبة فان غوغ وحرصي علي، وأمثالهما من الخنازير الذين أساءوا إلى نبينا، وسيأتي هذا اليوم إن شاء الله»[22]. وفي مناسبة أخرى كتب: «يُعتبر أولئك الذين يقاتلون المسلمين أو يدعمون القتال ضد المسلمين عدوًا واحدًا مجتمعًا. ولسوء الحظ لم تتعلم هولندا أي شيء من هجمات مدريد المباركة. نحن، المسلمين لا نقبل بالذل... وسيأتي المجاهدون لينالوا من غيرت وايلدرز وحرصي علي[23]، ومن الحكومة الهولندية. يا الله، دع موتنا يُحيي الأمة مرةً أخرى... أمين»[24].

---

(20) Ibid.

ذكر تقرير الـAIVD (جهاز الأمن والاستخبارات العامة الهولندية) أن المؤسسة كانت تحوّل الأموال إلى حماس لشراء الأسلحة وتدريب الانتحاريين. انظر:

The AIVD, *Annual Report 2002*, ed. General Intelligence and Security Service (2002).

وقد حُظرت هذه المؤسسة في عام 2003.

(21) Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(22) وجاء في النص الذي اقتبسه: «Verplichting van het doden van degene die de profeet uitscheld» (واجب قتل أولئك الذين يهينون النبي) من مجموعة نصوص وثيقة تعود إلى القرن الرابع عشر، التي قام محمد بويري بترجمتها في تموز/ يوليو 2004.

(23) أثار وايلدرز، وهو سياسي محافظ، حفيظة أو عداء كثير من المسلمين في هولندا.

(24) وردت في:

Benschop, «Chronicle of a Political Musrder Foretold».

أشرف العمراني على مجموعتين للإنترنت. وانتشرت في هاتين المجموعتين تهديدات بقتل وايلدرز[25]. كان هذا الأمر الشغل الشاغل للعمراني الذي نشر في عام 2005 تسجيل فيديو، يبدأ بتعهد بدعم بويري، وينتهي بالرسالة التالية: «لدينا هدية صغيرة لغيرت وايلدرز . لقد قمنا بسن سيوفنا يا كلب». وانتشرت في خلفية الفيديو أصوات شحذ السكاكين[26]. وعندما اعتُقل العمراني أول مرة، وجدت الشرطة على جهاز الكمبيوتر الذي يعود إليه مئة وأربعين صورة لبن لادن[27].

كان جيسون وجيرمان والترز من أعضاء مجموعة هوفستاد، وهما من أب أميركي وأم هولندية. آمن جيسون بالإسلام بحماسة كبيرة، في سن السادسة عشرة، وسلك سلوكًا مقاتلًا بعد ذلك. جيرمان بدوره اتبع مسارًا مماثلًا. ووفقًا للنمط المألوف، استخدم جيسون الإنترنت بشكل واسع. ولم تختلف مضامين انخراطه عن تلك التي اتبعها الآخرون، أي نصوص مقاتلة ولقطات عن حروب ومعارك، وتسجيلات مناقشات أجراها مع آخرين أيضًا، مثل التي كانت بينه وبين مشترك آخر مجهول، حول ما هو مسموح به وما هو فرض واجب في الإسلام. وكانت الإجابات عن الأسئلة الأخلاقية الواردة في هذه المناقشة، تُوكل إلى عبد الجبار فان دو فن[28]، وهو هولندي آخر أسلم، وعمل داعية في مسجد في أندهوفن. وفي أحد المنتديات سئل والترز عما إذا كان الإسلام (بحسب تفسير فان دو فن) يسمح بذبح الكفار ونهب أموالهم. وبعد اجتماعه

(25) Joustra, *Jihadis and the Internet*, p. 64.

(26) Ibid., p. 73

(27) Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(28) جذب فان دو فن الانتباه في هولندا بعد إجرائه مقابلة، قال فيها إنه يتمنى أن يموت النائب غيرت وايلدرز في غضون سنتين، وأعلن أن أسامة بن لادن هو «أخ»، وأنّ هولندا هي كالسرطان. انظر: Anonymous, «Dutch Imam Wants Mp Geert Wilders to Die within Two Years,» *Zacht Ei*, 23/11/2004.

رفضت احتجاجاته الأخيرة التي زعم فيها بأنه ليس مخولًا إطلاق فتاوى، ولم يكن على علاقة وثيقة بجيسون. وقد وصفه أحد الأشخاص الذي يعرف الاثنين أكثر من أي شخص آخر بأنه كان سلفيًا غير سياسي أكثر من أي واحد ممن قابلهم. Peters, interview with author.

إلى هذا الداعية، قام والترز بإبلاغ أحد المشتركين المجهولين في مجموعة للتواصل على الإنترنت، أن الإمام يسمح بهذا الأمر ضد الهولنديين[29].

كان الموضوع حتى الآن متعلّقًا بأولئك الذين تبنوا النضالية المقاتلة. لكن استخدام الإنترنت لا ينحصر في الملتزمين بالسلفية المقاتلة فحسب، بل يستخدمها أيضًا أولئك الذين يتجهون إليها بالتدريج. وكثيرًا ما تقوم وسائل الإعلام بدور حاسم في المراحل التكوينية للسلفية المقاتلة؛ فبعدما أمضى بويري مدة في السجن وأفرج عنه، بدأ يستخدم الإنترنت في بحثه عن «الحقيقة»[30]. ويُعتبر هذا البحث زيارته الخارجية الأولى بعد مغادرته السجن. «الموضوعات والمعلومات الدينية والنسخة الإسلامية المقاتلة التي اعتمدها، كان مصدر معظمها نصوصًا مترجمة عن الإنكليزية على الإنترنت»[31]. وعبر الإنترنت سعى إلى نقل هذه الحكمة أو الحصافة المُكتشفة حديثًا. ومن المحتمل أن تكون رغبته في التعرف إلى الإسلام قد نشأت في مكان آخر، لكنه أشبع هذه الرغبة عبر استخدام الإنترنت.

يذكر جوسترا عملية مماثلة مع سمير عزوز. الهولندي الذي ينحدر من أبوين مغربيين ويمضي حاليًا حكمًا في السجن بعد محاكمة ثالثة بتهم الإرهاب. وتمكن فريق التحقيقات الجنائية الهولندي من اقتفاء أثر عمليات البحث التي قام بها من على جهاز الكمبيوتر الخاص به، فاكتشف الدور الأساس الذي أدته الإنترنت في عملية تشدده الراديكالي[32].

---

(29) Benschop, 'Chronicle of a Political Murder Foretold'. On Walters increasing militancy,

انظر:

K. Richburg, «From Quiet Teen to Terrorist Suspect,» *The Washington Post*, 5/12/2004.

(30) Ibid. انظر أيضًا المقابلة مع بيتر في:

CBC, «Among the Believers: Cracking the Toronto Terror Cell,» *CBC News Website*, 2006.

(31) Buruma, *Murder in Amesterdam*, pp. 3-4.

انظر أيضًا:

L. Vidino, «The Hofstad Group: The New Face of Terrorist Networks in Europe,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 30 (2007).

(32) Joustra, *Jihadis and the Internet*, p. 74.

لم تُنشر هذه النتائج على نطاق واسع، لكنها تؤكد الدور المهم للإنترنت في عملية تطرف أهم السلفيين المقاتلين.

ننتقل إلى مثال آخر هو بلال العمراني الذي وصف اهتمامه المتزايد بالإسلام والكفاحية المقاتلة، ولم ينكره. اعترف بأنه مهتم بالجهاد، وبأنه لم يكن متدينًا على الإطلاق قبل ثمانية شهور، ولم يعرف إلا القليل عن الإسلام. بعث إليه أحدهم رسالة عبر البريد الإلكتروني، جاء فيها: «إذا كنت تعتبر نفسك مسلمًا فعليك قراءة هذه الموضوعات». وأرسل إليه أيضًا أشرطة فيديو عن الحوادث في الشرق الأوسط وبعض الكتب. لم يكن بلال يعلم من يكون ذلك الشخص، فكثيرًا ما كان يحصل على مثل هذه الأشياء من الإنترنت[33]. أخيرًا نذكر قصة يحيى ك.[34]، وهو طالب في الثامنة عشرة من عمره في ساس فان جنت. اعُتقل بعد تهديده حرصي علي والاستخبارات الهولندية. وعنه يقول جوسترا: «خلال اعتقاله وُجدت بحوزته متفجرات يدوية الصنع، قام بتركيبها مستعينًا بمعلومات وجدها على الإنترنت. أوصله جلوسه أمام شاشة الكمبيوتر، ودخوله العالم الافتراضي إلى التطرف الراديكالي»[35].

تُظهر هذه الأمثلة أهمية الإنترنت في عالم السلفيين المقاتلين في هولندا، لكن مجالات أخرى من وسائط المعلومات الشاملة تتمتع أيضًا بأهمية كبرى تستحق الذكر هنا.

كان لـ «مدن الساتيلايت» في حالة المقاتلين الهولنديين، دور مهمّ؛ فبويري مثلًا، «ترعرع في شقة صغيرة مع أبويه وشقيقاته الثلاث في سلوترفارت، وهي ضاحية غربية في أمستردام... يُطلق السكان عليها «مدينة الساتيلايت»، لأن أطباق الساتيلايت تتكاثر فيها إلى جانب الغسيل المنشور على معظم الشرفات، وذلك لالتقاط محطة التلفزيون المغربي وقناة الجزيرة»[36].

---

(33) وردت في:

Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(34) يمنع القانون الهولندي نشر الاسم الكامل للمتهم. فقد تمت الإشارة إلى محمد بويري على سبيل المثال بمحمد ب. وتزيل المحاكمة الناجحة هذا الأمر القضائي، كما تزيلها غالبًا صعوبة حراسة الإنترنت ومراقبته في أي حال.

(35) Joustra, *Jihadis and the Internet*, p. 42.

(36) G. Frankel, «From Civic Activist to Alleged Terrorist,» *The Washington Post*, 28/11/2004. =

نشأ كثير من المقاتلين في مناطق تؤوي تجمعات كبيرة من المهاجرين، خصوصًا في الضاحية الغربية من أمستردام، التي سميت «مدن الساتيلايت»، وهي منطقة يتكاثر فيها التقاط بث محطات إخبارية تركية ومغربية[37].

إن اتساع استعمال وسائط المعلومات الشاملة والتطورات الحاصلة فيها، مكّن المهاجرين من الجيل الثاني والجدد من الحصول على معلومات عن الحوادث الجارية في العالم المسلم وتحليلات لها[38]. وأدى ظهور قناة الجزيرة وغيرها من محطات البث الفضائي إلى نقل المعلومات والتطورات إلى داخل البيوت في ضواحي أمستردام. وسهّل هذا الأمر عملية تخيّل «أمة» هي عبارة عن كيان اكتسب الحياة عبر نقل الحوادث من مناطق مختلفة في العالم إلى غرف المعيشة. فالصور تُبث مباشرةً من الرباط إلى داخل البيوت في أمستردام، لتنتقل من نطاقها العالمي إلى نطاق محلي. ولم يكن هذا الوضع محصورًا في هولندا وحدها[39].

لعله علينا التشديد هنا على القول إن التصورات السياسية للسلفيين المقاتلين في الغرب اليوم ليست حنينًا إلى عالم تركوه وراءهم، بل هي إعادة تخييل لعالم لم يشاهدوه من قبل، وليس موجودًا إلا في مخيلتهم الجمعية. وتُعتبر وسائط المعلومات الشاملة العامل الأساس في هذه العملية، وهي التي تسهل إنشاء مشروع سياسي منفصل عن تجربة حية أو معيشة. لم يكن أعضاء مجموعة هوفستاد يهتمون كثيرًا بالحوادث الجارية في المغرب، مسقط رأس معظم آبائهم، إلا إذا تلاءمت مع نظرة السلفية المقاتلة، وشكلت

= انظر أيضًا:

Z. Shore, «Can the West Win Muslim Hearts and Minds?,» Orbis, vol. 49, no. 3 (2005).

(37) Shore, «Can the West Win Muslim Hearts,» p. 476.

(38) يُعتبر أيمن الظواهري من أولئك الذين عرفوا أهمية هذا المصدر الثمين، وأراد الانضمام إلى وسائط البث المهمة هذه من خلال إطلاق محطته الخاصة. انظر:

L. Wright, *The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/ 11* (London: Alfred A. Knopf, 2006), p. 249.

(39) انظر:

A. Hargreaves, «Satellite Viewing among Ethnic Minorities in France,» *European Journal of Communication*, vol. 12, no. 4 (1997).

جزءًا من معركة وجودية بين الإسلام والغرب. كانت اهتماماتهم عالمية أكثر منها محلية. حاولوا الاشتراك في هجمات في البرتغال وأيدوها[40]، وكذلك في الشيشان[41] وهولندا[42]. أما المغرب، فلم يكن لحضوره أهمية كبيرة عندهم، على الرغم من انتقادهم العائلة المالكة هناك بين الحين والآخر. كان حصولهم على معلومات وصور من أنحاء العالم يحتل أهمية كبرى في تصورهم السياسي الخاص.

بيستون

كان الإرهابيون الذين هاجموا نظام النقل في لندن في 7 تموز/يوليو 2005 من منطقة يوركشاير[43]. وعاش تنوير وخان وحسين في بيستون، الواقعة في ليدز، حيث كشفت قصة هذه الهجمات. وفي شوارع هذه المدينة وبين منازلها المتجاورة، نجد مكتبة «إقرأ» الإسلامية وصالة «القاعدة» الرياضية ومركز «همارا» للقاءات الشباب، وهي أماكن تردد عليها المهاجمون. وتجدر الإشارة إلى أن طاقم الملا (Mullah Crew) عمل أيضًا في منطقة بيستون.

كان خان وتنوير عضوين أساسين في طاقم كرو الذي انتمى إليه أيضًا ليندساي وحسين. تألفت هذه المجموعة من عدد قليل من الأعضاء، فسعوا إلى نشر الإسلام الراديكالي بين المسلمين المحليين. وتُعتبر عملية تطوير الدعوة ونشرها من أهم أوجه نشاط هذه المجموعة. هنا أيضًا يظهر الدور الأساس لوسائط المعلومات الشاملة، فهذا الإعلام النشط حمل مسلمي تلك المجموعة على أن يتصوروا أنفسهم جزءًا من جماعة أكبر، يواجهون معها المشكلات نفسها الناجمة عن الأسباب نفسها أيضًا. فبعدما أظهروا في الماضي اهتمامًا أو معرفة قليلة بمشكلات الأمة، أو بالفتاوى الدينية التي تدعو إلى الدفاع عنها،

(40) Anonymous, «A Civil War on Terrorism,» *The Economist*, 25/11/2004.

(41) S. Rotella, «Europe's Boys of Jihad,» *The Los Angeles Times*, 02/04/2005.

(42) C. Caldwell, «Daughter of the Enlightenment,» *The New York Times*, 03/04/2005.

(43) انتقل ليندساي إلى هناك، ثم غادر قبل الهجوم بقليل.

أصبح كثيرون، ومنهم المفجرون، يسترشدون بهذه الاهتمامات وحدها. وهذا تحوّل ينبغي عدم الاستخفاف بدور وسائط المعلومات الشاملة في حصوله.

قبل القيام برحلات عدة تنظمها المجموعة، كان الشبان يشاهدون أفلامًا عنيفة جدًّا عن معاناة المسلمين في العالم. أحد الأشخاص، وكان عضوًا في المجموعة وشارك في هذه الجلسات، قدم الوصف التالي في فيلم وثائقي على الراديو:

«قبل مغادرة المنزل، كنا نشاهد فيلم فيديو عن حوادث فلسطين، أو الشيشان، أو أمكنة أخرى يعاني فيها المسلمون. وإذا نظرت إلى تلك الأيام الآن، أتعجب بعض الشيء كيف كنا نقوم بهذه المشاهدات. الآن فهمت كيف يتأثر بعض الشبّان بها. كانوا يتحمسون ويهتاجون، وقد لا يكون بث هذا الفيديو في مصلحة بعض الناس»(44).

في مكتبة إقرأ كانت هناك غرف خلفية. لم يُعرف كثير عن هذه الغرف التي لم يُدْعَ إليها سوى قلة من الغرباء. مارتن جيلبرستون كان الاستثناء الوحيد، حيث وظِّف لإنشاء جدران نارية وتصميم مواقع على الإنترنت. فوصف هذه الغرف بأنها في الطبقة السفلى واحتوت جناحًا للإنترنت مع أربعة أجهزة كمبيوتر مرتبطة بهذه الشبكة. أما في الطبقة الأولى فهناك غرفة للصلاة وأخرى للتخزين، تلتقي فيها مجموعة من النساء كل نهار أحد. وفي الطبقة الثانية مكتب لمدرسة الجماعة في ليدز، وغرفة مونتاج للفيديو الرقمي. وكان بإمكان إقرأ ومدرسة الجماعة في ليدز إنتاج أفلامها الخاصة، إذ وُجد لديهم ناسخ متعدد للأقراص المدمجة مع أجهزة الكمبيوتر، لنسخ عدد كبير من الأقراص المدمجة وغير المدمجة(45).

يقدم جيلبرستون تصوّرًا عن محتوى أفلام الفيديو ومواقع الإنترنت التي عمل عليها. ويذكر أنّها حوت أشرطة خضعت للمونتاج المعتاد عن «أطفال

---

(44) BBC, «7 July Bomber's Motives Examined,» *BBC News Website*, 17/07/2005.

(45) M. Gilbertson, «When I Heard Where the Bombers Were from I Felt Stick,» *The Guardian*, 24/06/2006.

في العراق والمناطق الفلسطينية، شوّهتهم أو قتلتهم القوات الأميركية أو الإسرائيلية»[46]. يبدأ أحد المواقع بـ«عرض متسلسل، جُمّع بمهارة، ويضم شمسًا مشرقة وكرة أرضية تدور وآيات مرتلة من القرآن». موقع آخر يحمل عنوان «فكّر مرة أخرى»، ويقوم بعرض صور عن حوادث عنيفة في الولايات المتحدة. ومع الموسيقى التصويرية لفيلم The Star Spangled Banner، ينتهي العرض بالطائرة الأولى التي اصطدمت ببرج التجارة العالمي. ويُظهر فيلم آخر الرئيس بوش يلفظ عبارة «الحملة الصليبية»، بعد هجمات 11 أيلول/ سبتمبر، وينتقل إلى عرض درس تاريخي عن الحملات الصليبية، ويصفها بـ«المد أو التدفق غير المقدس من الشياطين على الأرض». وينتقل العرض إلى «صور مروعة لأطفال مشوهين، أو مُقطّعي الأوصال، أو مذبوحين في العراق، والمناطق الفلسطينية وأماكن أخرى»[47]. ويتساءل جيلبرستون: إذا كان بإمكان هذه الصور أن تجعلني أبكي، فكيف يكون تأثيرها في بعض الشبان السريعي التأثر؟[48]. وبالفعل ماذا سيكون تأثيرها فيهم؟[49].

لندن

بعد الهجمات على نظام النقل في لندن في 7 تموز/يوليو 2005 بأسبوعين، حاول خمسة رجال تكرار هذا الهجوم. فشل مختار سعيد إبراهيم وحسين عثمان وياسين حسن عمر ورمزي محمد في تفجير عبواتهم وهربوا من الموقع. وكان مانفو كواكو أسيدو قد تخلى عن هذه المهمة قبل ذلك.

(46) وردت في:

E. Vulliamy, «The IT Man Who Tried to Stop the 7/7 Bombers,» *The Guardian*, 24/06/2006.

(47) Ibid.

(48) Ibid.

(49) وردت هذه الفكرة عن التأثير المحتمل للصور في مقابلة أجراها الكاتب مع ألبرت بنشوب، الذي درس مئات الأفلام التي شاهدها أعضاء مجموعة هوفستاد، كونها جزءًا من التحليل الذي قامت به الاستخبارات الهولندية. ونبه إلى ضرورة الحذر خلال القيام بهذا الأمر، «لأنها تدخلك في عقلية المقاتلين».

Benschop, interview with author.

اعتُقل الخمسة في الأيام التالية ودينوا. لا يُعرف كثير عن الأوضاع التي أدت إلى تشددهم، أو حتى عن حياتهم على وجه العموم. وكل ما نعلمه هو أن سعيد إبراهيم تحوّل إلى التشدد في السجن، وكذلك حال عثمان بعد مجيئه إلى لندن[50]. ونعلم أيضًا بعض الشيء عن أهمية الإنترنت وأفلام الفيديو في حياة أولئك الشبان الذين أرادوا قتل أنفسهم والآخرين في محطات المترو والحافلات في العاصمة البريطانية.

هرب المهاجمون بعد فشل الهجوم، وعاد عثمان إلى إيطاليا حيث اعتُقل بعدما اقتفت الشرطة أثر هاتفه المحمول. واعترف للشرطة كيف التقى إبراهيم في صالة رياضية في الطبقة السفلية من مبنى في منطقة نوتينغ هيل في لندن. عندما لاحظ إبراهيم أن عثمان كان جاهزًا لتقبل عقيدة معينة، دعاه للانضمام إلى مجموعة صغيرة لمناقشة الأمور السياسية. أدّت المناقشات دورًا محدودًا في هذه اللقاءات. وكانوا طوال ساعات يشاهدون لقطات عن الصراع في العراق، فزرع في نفوس هؤلاء الرجال «الشعور بالكراهية والاعتقاد بضرورة التحرك والقيام بشيء ما»[51]. يُزعم أنّ عثمان نفى «أي دور للدين في الهجمات، وأكّد أنهم قاموا بمشاهدة الأفلام والتسجيلات والصور عن الحرب في العراق. ثم قيل لهم إنه يجب القيام بشيء ضخم. ولهذا السبب التقوا»[52].

مدريد

في 11 آذار/ مارس 2004، انفجرت عشر قنابل في عدد من قطارات الصباح في مدريد، وسقط مئة وواحد وتسعون قتيلًا، وأكثر من ألف وخمسمئة جريح[53]. بعد ذلك حصلت الشرطة على فيديو وُضِع في حاوية، ويعرّف المتكلم

(50) Travis & Gillian, «Bomb Suspect «Became a Militant» in Prison», & Hooper, «Suspect Was a Roman Romeo in Love with US».

(51) M. Rai, «100 Days of Denial,» *ZMAG*, 16/10/2005.

(52) Ibid.

(53) كان من المتوقع أن تتسبب انفجارات في محطة، يمر عبرها أكثر من 250,000 راكب يوميًا، بعدد أكبر من الضحايا:

Vidino, *Al Qaeda in Europe*, p. 293.

فيه بنفسه باللغة العربية وبلهجة مغربية، فيقول إنه المتحدث العسكري للقاعدة في أوروبا، ويعلن مسؤولية التنظيم عن الهجمات[54] مقدمًا التفسير التالي:

«نعلن مسؤوليتنا عن هذا الذي حصل في مدريد، بعد هجمات نيويورك وواشنطن بسنتين ونصف سنة. إنه ردّنا على تعاونكم مع المجرم بوش وحلفائه، وعلى جرائمكم في أنحاء العالم، خصوصًا في العراق وأفغانستان، ونعدكم بالمزيد إن شاء الله. فأنتم تحبون الحياة ونحن نحب الموت، وهذا يعطي مثالًا على ما قاله النبي محمد. وإذا لم تتوقفوا عن مظالمكم، ستُسفك المزيد من الدماء، وستبدو هذه الهجمات صغيرة مقارنة بما قد يحدث من عمليات أخرى مما تسمونه إرهابًا»[55].

بعد ثلاثة أسابيع حصلت محاولة لتكرار هذه الهجمات، فتمكنت الشرطة من اقتفاء وتحديد وحدات التعريف المشتركة للهواتف النقالة التي استُعملت في الهجوم على مبنى لتجمع الركاب في ليغانيس، فحصلت مواجهة انتهت باقتحام الشرطة المبنى، ومقتل شرطي وسبعة إرهابيين.

أدت محاكمة عدد من المشتركين في الهجوم إلى تُهَم كبيرة. وفي هذا السياق تظهر أهمية أكثر من مئة وعشرين صفحة من محتويات أجهزة الكمبيوتر ومحركات أقراص الذاكرة، التي استعملها أعضاء أساسيون في المجموعة. وصودر معظم هذه الأجهزة والمعلومات من منزل جمال أحميدان، أحد المهاجمين.

وردت في التقرير لائحة جزئية لمواقع الإنترنت التي زارها أحميدان وآخرون، وهي تُقدم لمحة عامة نادرة عمّا كانوا يقرأونه[56]. كان لاستخدامهم الإنترنت في مدريد وظائف عدة، من أهمها التلقين الأيديولوجي لأعضاء المجموعة والدعم العاطفي حيال مصيرهم المشترك. ومن الملفات المئة

---

(54) في وقت سابق أعلنت كتائب أبو حفص المصري مسؤوليتها. وأعلنت المجموعة مسؤوليتها عن انقطاع كبير للكهرباء في أميركا الشمالية، بسبب الضغط على الشبكة.

(55) BBC, «Full Text: «Al-Qaeda» Madrid Claim,» *BBC News Website*, 14/03/2004.

(56) Anonymous, «Favorites» of the Madrid Bombers,» *Sofir*, 07/02/2007.

والستة والثمانين التي عُثر عليها والمعلومات الواردة فيها، تبيّن أن تسعة عشر ملفًا فحسب تتعلق بالخدمات اللوجستية، مثل تخطيط العمليات والحفاظ على السرية، بينما تتعلق الأغلبية العظمى من الملفات بمسائل عقائدية[57]. وتشمل هذه الملفات صورًا لما يُعتبر عداء الغرب للمسلمين في العالم، وهي ذات أهمية كبيرة.

أظهرت الاجتماعات التي كانت تعقدها المجموعة البُعد العقائدي الذي يقدمه الإعلام الإلكتروني. ووصف أحد الأشخاص الذين كانوا يحضرون هذه الاجتماعات كيف كان يقودهم سرحان بن عبد المجيد فاخت، وهو التونسي الذي اعتبره القاضي خوان ديل ألمو قائدًا لهجمات مدريد. كان الآخرون يُذعنون له بسبب مستواه المتقدم في التعليم الديني[58]. ذكر كثير من الشهود المحميين كيف كان أعضاء المجموعة، فاخت ومعتز علم الله دباس ومصطفى الميموني وجمال أحميدان، يجلبون أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم إلى الاجتماعات لعرض أشرطة فيديو عن مظالم مزعومة ضد المسلمين. مثلًا تحدثت زوجة مهند علم الله دباس عن شريط فيديو يُظهر الجنود الروس وهم يقتلون مدنيين شيشانيين ويدهسون آخرين بدبابتهم[59].

يلاحظ توريس وجوردان، أن هذه التعاليم والمعتقدات التي تشكّل الصور جزءًا لا يتجزّأ منها، تؤدي إلى نتيجة واضحة. فهي تتوجه إلى هؤلاء الأشخاص الذين لا يعتبرون أنفسهم منعزلين، بل تجمعهم تقاليد دينية منوعة، وهم أعضاء في مجتمع إسلامي عالمي، يرتبطون في ما بينهم بفهم مشترك للدين وقلق على أوضاع الآخرين في المجتمع. يظهر الوجه الأساس لتعزيز دور صورة المجتمع عبر نشر لقطات عن مظالم مزعومة ضد المسلمين وعبر استهلاكها. وهي

---

(57) J. Jordan & M. Torres, «Internet y Actividades Terroristas: El Caso Del 11-M,» *El professional de la information*, vol. 16, no. 2 (2007).

(58) Ibid., p. 127.

(59) Ibid. انظر أيضًا:

G. Pingree & L. Abend, «Judge Assesses Madrid Attacks,» *Christian Science Monitor*, 13/04/2006.

لقطات تحوي صورًا لأطفال ونساء مسلمين جرحى وقتلى، ولأطفال آخرين فلسطينيين يُعذبهم جنود إسرائيليون، وصور قصف أميركي للمدنيين[60]. سمحت لهم هذه اللقطات بالتعرّف إلى الصراعات التي لم يخوضوها، وعلى الحقائق السياسية التي لم يكونوا جزءًا منها، وجعلتهم يتصورون أنهم يخوضون الحرب نفسها، فيما هم يهاجمون المدنيين الإسبان المتوجهين إلى أعمالهم، تمامًا كما يقوم المقاومون في العراق بالتصدي للقوة الغازية.

هامبورغ

تألفت خلية هامبورغ من مجموعة من الرجال الذين يعيشون في هذه المدينة الألمانية. وانبثقت عن هذه المجموعة نواة قامت بمهاجمة نيويورك وواشنطن في أيلول/ سبتمبر 2001، بتوجيه وتخطيط من خالد شيخ محمد وأسامة بن لادن. وعلى الرغم من الاهتمام الذي أثارته هذه الهجمات، فإننا لا نعلم كثيرًا عن حياة أولئك الذين قاموا بها. نعرف أن هؤلاء المقاتلين الذين كانوا يعيشون في أوروبا فحسب (وجاءت في أغلبيتهم إلى الولايات المتحدة ليكونوا منفذي هجمات بالطائرات وليقتلوا الطيارين ويمنعوا أي مقاومة من الركاب) إنما هم جزء من حلقة مقاتلين في هامبورغ، واستخدموا وسائط المعلومات الشاملة استخدامًا واسعًا.

يذكر مؤلف أحد أهم الأعمال عن هذه الخلية أن أولئك «الرجال تكلموا دائمًا عن نظريات المؤامرة، والضرر الذي أحدثه اليهود، والاعتقاد أنّ مونيكا لوينسكي كانت عميلة للموساد، أُرسلت لاستهداف الرئيس كلينتون. وللتسلية كانوا يشاهدون أشرطة فيديو عن المعارك في الشيشان»[61]. ويذكر المؤلف أيضًا «كيف كان هؤلاء الشبان يُحللون تسجيلات خُطب مشايخ ودعاة مختلفين. أحد هذه الأشرطة حوى خطبة لأبي قتادة، وهو أحد المنظرين

(60) Jordan & Torres, «Internet y Actividades Terroristas,» p. 127.

(61) T. McDermott, *Perfect Soldiers. The 9/ 11 Hijackers: Who They Were, Why They Did It* (New York: Harper, 2005), p. 62.

الرئيسين للإسلام الراديكالي... ودعا في شريط الفيديو الخاص بهامبورغ المؤمنين للتخلص من نير الكفار الذين يحكمونهم ويقتلون أطفالهم ويسبون نساءهم ويدمرون أملاكهم. وهو يعتبر أنّ الله أصدر حكمه عليهم، ويستحقون الموت»[62].

كان رمزي بن الشيبة عضوًا مهمًا في هذه الخلية. وكان هذا الشاب اليمني يُعرف باسم عمر، المعتبر الأكثر تدينًا، اعتمد اسمه هذا عندما طلب اللجوء السياسي. حاول عمر أن يكون أحد الطيارين في هجمات الولايات المتحدة، لكنه فشل[63]. شغل بدلًا من ذلك منصب المنسق بين المخططين في أفغانستان وغيرها من البلدان، والمنفذين في الولايات المتحدة. وظهر عمر زعيمًا عاطفيًا للمجموعة، فغرس في أعضائها شعورًا مميزًا بأن لهم هدفًا في الحياة. قام بهذا الأمر من خلال مناقشتهم في فكرة واجب الدفاع عن الإسلام في الأمكنة التي يتعرض فيها للهجوم، وذلك خدمةً للدين والمؤمنين به بوصفهم مجاهدين. ولنشر هذه الرسالة، «اعتمد تسجيلات كاسيت عن الجهاد، وأشرطة فيديو عن المعارك، وكان يتنقل بها في أنحاء المدينة، وبين مساكن الطلاب والشقق الخاصة»[64]. لم يتغيّر الوضع كثيرًا عندما كان عمر منفردًا بنفسه في غرفة من شقة في مارينستراس رقم 54، انتقل إليها مع عدد من الرجال. ولم يكن لدى عمر، إضافة إلى فراشه، إلا كتب دينية، وأكوام من أشرطة الكاسيت والفيديو، المتعلقة بالإسلام والجهاد»[65].

كانت الإنترنت بالنسبة إلى سعيد بهجي، شأنه في ذلك شأن الآخرين، مصدرًا مهمًّا ودافعًا للتشدّد. وُلِد سعيد من أب مغربي وأم ألمانية، وأمضى معظم حياته متنقلًا بين هذين البلدين، قبل عودته إلى ألمانيا لدخول الجامعة. كان آخر المنضمين إلى خلية هامبورغ. وكان تحوله من رجل ذي توجهات غربية، ولديه

---

(62) Ibid., p. 84.

(63) M. Elliott, «Reeling in Al-Qaeda,» *Time*, 15/09/2002.

(64) McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 67.

(65) Ibid., p. 69.

صديقة مسيحية، إلى أكثر الأصوليين راديكالية، سريعًا ومثيرًا. يصف ماكدرموت كيف «كان بهجي يتصفح باستمرار مواقع إسلامية على الإنترنت، وكيف أصبح من أتباع بن لادن. وجاء تحوله من شاب عاشق لسباق السيارات، ويجهل الصلاة باللغة العربية، إلى جهادي عدواني، مذهلًا وكاملًا»[66].

آخرون

في كانون الأول/ ديسمبر 2000، قام ثلاثة جزائريين وفرنسي من أصل جزائري بالتخطيط لتفجير متسوقي عيد الميلاد خارج كاتدرائية نوتردام في ستراسبورغ. وبحسب بيانات إحدى المحاكم الألمانية، كان سليم بخاري «القوة الدافعة» لنشاط هذه الخلية. درس سليم الرياضيات في الجزائر، وانتقل إلى فرنسا لمتابعة دراسته. بعد ذلك انتقل إلى بريطانيا، حيث كان يتردد على مساجد تدعو إلى درجات مختلفة من الراديكالية. وفي أكثر هذه المساجد راديكالية عُرِضَت عليه أشرطة فيديو عن مظالم مزعومة ضد المسلمين في العالم، فتركَت هذه المشاهد المأخوذة من فلسطين والشيشان التأثير الأكبر فيه، فأراد الذهاب للجهاد في الشيشان. وفي أثناء تحضيره للقيام بهذا الأمر، سافر إلى أفغانستان عبر باكستان، وانضم إلى مخيم تدريب للجزائريين في جلال آباد. وعلى ما يبدو جُند هناك في خلية ستراسبورغ وأصبح قائدها في ما بعد[67]. أما عيروبي بندالي، فكان عضوًا آخر في هذه الخلية. وهو مهاجر في ألمانيا ومجرم تافه ومدمن مخدرات. انتقل إلى الراديكالية الدينية وبدأ يتردد على المساجد الكفاحية. وبحسب شهادته، «لم يكن له أي علاقة سابقة بالدين»، و«عاش حياته بأسلوب أوروبي: كحول، حشيش، نساء»[68]. زعم أن

---

(66) Ibid. p. 72. عن جهله الإسلام واستخدامه الإنترنت، انظر أيضًا:
National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States, The 9/ 11 *Commission Report: The Full Final Report of the National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States* (New York: W.W. Norton, 2004), p. 181.

(67) Nesser, «Jihad in Europe».

(68) E. Schelzig & P. Finn, «Repentant Algerian Tells of Bomb Plot: Muslim Militant, «Horrified» by Sept. 11, Says His Target Was French Synagogue,» *The Washington Post*, 24/04/2002.

ضابطًا سابقًا في الجيش الجزائري أقنعه بتغيير حياته، بعدما عرض أمامه أشرطة فيديو عن مجازر ضد النساء والأطفال، قامت بها السلطات الجزائرية. وبحسب نصيحة أحد الجيران، سافر لاحقًا إلى باكستان، حيث التقى بخاري(69).

مؤخرًا دين أنطوني غارسيا، وهو إنكليزي، بالتخطيط للقيام بهجمات في المملكة المتحدة. وقال غارسيا للمحكمة إنه أصبح مقاتلًا في كشمير بعدما شاهد شريط فيديو عن الوحشية المرتكبة بحق المسلمين(70). وعاش أحمد الشيخ بدوره نقطة تحوّل عندما شاهد، في تشرين الثاني/ نوفمبر 1992، «فيلمًا وثائقيًا مدته خمس وأربعين دقيقة، وعنوانه تدمير أمة. وهو فيلم عن الجرائم الصربية المرتكبة بحق المسلمين»(71).

وصف طالب طب بريطاني كان قد سافر للجهاد أيضًا، كيف بكى عندما شاهد شريط فيديو عن معاناة «المسلمين في البوسنة وفلسطين وكشمير»(72).

في عام 2003 أُدين جزائريان بتهمة جمع التبرعات لجمعيات سلفية متشددة. وكان في حوزة أحدهما، وهو إبراهيم بن مرزوقا، 31 عامًا، «أكثر من ستين فيلمًا، لتشجيع العمليات الانتحارية والاستشهادية، بما فيها تسع عشرة نسخة لشريط فيديو عن أسامة بن لادن»(73).

كان نزار طرابلسي لاعب كرة قدم محترفًا في ألمانيا. انتمى بعد ذلك إلى السلفية المقاتلة، ودين بتهمة التخطيط لتفجير السفارة الأميركية في باريس. وبحسب شهادته في المحكمة، قرر أن يُصبح انتحاريًا بعدما شاهد صورة رضيعة فلسطينية مقتولة في قطاع غزة(74). فخطط لقيادة سيارة فان مرسيديس محملة

---

(69) Nesser, «Jihad in Europe».

(70) J. Vasagar, «Accused Admits Buying Fertiliser for Bomb, but «Not to Use Here»,» *The Guardian*, 27/09/2006.

(71) R. Anson, «The Journalist and the Terrorist,» *Vanity Fair*, 12/2002.

(72) وردت في:
E. Kohlmann, *Al Qaeda's Jihad in Europe: The Afghan-Bosnian Network*. New York: Berg, 2004, p. 5.

(73) BBC, «Terror-Link Pair Jailed,» *BBC News Website*, 01/04/2003.

(74) Z. Johnson, «Chronology: The Plots,» *PBS Website*, 2005.

بمئة كلغ من المتفجرات لتفجير السفارة وقتل الجنود الذين كانوا يتناولون الطعام هناك في ذلك الوقت. قال إنه كان ينوي «وضع صورة طفل فلسطيني قتله الصهيونيون على لوحة قيادة الفان، لأذكّر نفسي لماذا كنت أفعل ذلك»[75].

أما المثال الأخير، فهو تقرير طويل ومفيد عن نشاط مسجد فينسبري بارك بقيادة أبو حمزة المصري. يُظهر الوصف أهمية دور الإعلام المعولم في حياة هؤلاء المقاتلين ومجموعاتهم، ودور المخيال السياسي الذي كوّن هويتهم كونهم سلفيين مقاتلين.

«كان المجندون يتسلون في مسجد فينسبري بارك بمجموعة لا تنتهي من أشرطة الفيديو العنيفة: فنون الدفاع عن النفس مع دعاية دامية للمجاهدين. لم يملّ المجندون من مشاهدة أحد الأفلام الذي يبدأ بموسيقى تصويرية مع تلاوة آيات من القرآن. ثم تتوالى الإرشادات بالعربية على الشاشة... بعد ذلك تتبع الكاميرا مجموعة من المقاتلين الجزائريين المختبئين خلف شجيرات، يراقبون اقتراب قافلة للجيش تشق طريقها في مسار على الجبال الشاهقة. ومع اقتراب المركبة الأولى من المتمردين، نسمع انفجارًا كبيرًا، ثم يبدأ إطلاق النار... تبدأ الكاميرا جولتها يمينًا ويسارًا مع اندفاع المسلحين في اتجاه الشاحنات المحترقة، لتصورهم وهم يدوسون الأجساد المحطمة لمجندين جزائريين راقدين بلا حراك على التراب. جثة بلا رأس تظهر معلقة على الباب الخلفي لإحدى شاحنات الجيش. وتظهر على الشاشة أيضًا صورة جندي تبعثر دماغه خارج جمجمته المحطمة... فيما يفرغ أحد المقاتلين طلقات مشط بندقيته الرشاشة في جثة أحد الجنود... يلاحظ المجاهدون أنّ أحد الجنود ما زال في النزع الأخير، فيركع أحدهم أرضًا كأنما ليقدم إليه المساعدة، يبتسم للكاميرا، ثم يُخرج سكينًا ويذبحه، ويبصق في وجهه بعد ذلك. مشهد الدماء المندفعة من الشريان المقطوع يُعرض مرات خمسًا في الفيلم الذي تصل مدته إلى أربعين دقيقة»[76].

---

(75) وردت في:

Nesser, «Jihad in Europe,» p. 9.

(76) B. O'Neill & D. McGrory, *The Suicide Factory: Abu Hamza and the Finsbury Park Mosque*, (London: Harper Perennial, 2006), p. 89.

أدّت إذًا، وسائط المعلومات الشاملة التي تعرض هذه المشاهد العنيفة، دور وسائل الترفيه والتعليم المسائية في مسجد فينسبري بارك الذي يُعتبر أنجح مؤسسة في الغرب لنشر التطرف الكفاحي وتشجيعه. وكما يصف أحد التقارير، «كان أولئك الذين يمكثون في المسجد عقب الصلاة الأخيرة في النهار، بعد غروب الشمس، يشاهدون أشرطة فيديو عن أعمال جهادية عنيفة»[77].

لعله بات واضحًا أن الإعلام الإلكتروني الذي يحمل صورًا معينة كان حاضرًا بقوة في حياة السلفيين المقاتلين. لكن أهميته تبقى غير مبررة. فكيف تؤدي وسائط المعلومات الشاملة هذا الدور الحاسم في ظاهرة السلفية المقاتلة؟

تأثير وسائط المعلومات الشاملة

يتمثل الدور الرئيس لوسائط المعلومات الشاملة في تكوين الوهم لدى السلفية المقاتلة المعولمة، بقدرتها على بناء مجتمع الأمة الخيالي وتعزيزه، وكذلك تعزيز مكان الفرد في هذا المجتمع. وهي تفعل ذلك بطريقتين رئيستين: من خلال الدور الخاص للصور، ومن خلال القضاء على المكان/ الحيّز. فبعد الاعتماد عليها بشكل كبير، خصوصًا من جهة أولئك الذين يتشابهون في التفكير، تساعد وسائط المعلومات الشاملة في تصوّر المسلم الغربي وهو يتّحد مع مجموعة منوعة من شركائه في الدين والذين يخوضون الحرب نفسها في العالم.

الحيّز المكاني وسبل الوصول

مكّنت التطورات التكنولوجية وسائط المعلومات الشاملة من بث الفكرة النضالية عن الأمة، مباشرة وعلى نحو شامل، من أفغانستان إلى أمستردام، ومن البوسنة إلى برمنغهام. ومع تقلص المسافات ودورها، ظهرت عوامل أخرى مصدرًا للهوية. لا ينحصر الأمر في السلفية المقاتلة، لكنه يبقى عاملًا مساهمًا

---

(77) V. Dodd, «Inside the Mosque: An Academy for Holy War,» *The Guardian*, 08/02/ 2006.

في هذه الظاهرة. وتسمح التطورات التكنولوجية بمشاهدة الحوادث الحاصلة في العالم مباشرة في غرف المنازل في الغرب، ما يمكّن ساكني هذه الغرف من «اختبار» حوادث بعيدة جغرافيًا ومعايشتها. هذا ما يجعل الناس في الغرب يتخيلون أنفسهم جزءًا من المجتمع نفسه مع أولئك الذين يشاهدونهم. وتخلق الفورية والتقارب الافتراضي، وهما من نتائج وسائط المعلومات الشاملة، الأوضاع التي تسمح للفرد بتخيل نفسه جزءًا من الحوادث المنقولة، وتجعله يشعر بحاجته إلى الرد.

إضافة إلى تقلص الأبعاد/ الحيّز، أصبح من السهل الوصول إلى الإعلام الإلكتروني واستعماله. وكان الوصول إلى شبكة الإنترنت وغيرها من وسائط المعلومات الشاملة، مسألة ضرورية وواضحة لأولئك الذين هم موضوع هذه الدراسة. كانوا جميعهم على دراية باستخدام الإنترنت، وبعضهم كان محترفًا بصورة مبهرة. ولم تتعرض عملية وصولهم إلى المعلومات التي يريدونها إلا للقليل من القيود. فالمعلومات تتوافر لأي شخص يسعى إليها، ويملك جهاز كمبيوتر، ويتمتع بالمعرفة الأساس بالإنترنت. سيطر السلفيون الغربيون على جهاد الإنترنت بسبب بعدهم عن العالم الإسلامي، وبسبب توافر وسائط المعلومات الشاملة لديهم. هذا ما لاحظه سيزاري الذي قال: «يُعتبر المسلمون في الغرب أهم منتجين ومستهلكين للإسلام الافتراضي»[78].

يقول أحد المحللين، الذي أنجز بحوثًا كثيرة عن المواقع السلفية على الإنترنت: إن «التواصل مع متعاطفين آخرين ينشئ نوعًا من المجتمع الافتراضي، وشعورًا بالوحدة والانتماء إلى جماعة وقضية. ويعكس ظهور المواقع المقاتلة على الإنترنت، وخصوصًا غرف التواصل بلغات أخرى غير عربية، كالإنكليزية والفرنسية والهولندية والسويدية: **أولًا**، حاجة ‹المجاهدين في الشتات› إلى أن يكونوا جزءًا من المجتمع الجهادي. **ثانيًا**، أهمية الإنترنت في إنشاء مثل هذه المجتمعات»[79]. ويؤدي الدخول إلى المنتديات المقاتلة ومجموعات التواصل،

(78) Cesari, *Islam and Democracy Meet*, p. 111.

(79) Rogan, «Jihadism Online,» pp. 25-26.

وكذلك «اختبار» الحوادث العالمية، إلى المشاركة في مجتمع محدد، وتأكيد هوية هذا المجتمع، وهوية الفرد كونها جزءًا منه. هذه ظاهرة وصفها القليل من المحللين، ومنهم سيجمان الذي قال: «ما عاد المجتمع الافتراضي مرتبطًا بأي دولة أو شعب، ويتوافق هذا الوضع مع الأمة السلفية الأسطورية»[80].

الصوَر

مواقع السلفيين المقاتلين على الإنترنت لا يختلف بعضها كثيرًا عن بعضها الآخر، فصور العمليات القتالية العنيفة تنتشر فيها كلها انتشارًا واسعًا[81]. ويُخصص القليل من الوقت لتعليم السلوك الإسلامي الملائم، أو لمعالجة الحاجات الاجتماعية للمسلمين الآخرين، أو لذكر قصص عن تاريخ الإسلام. وهناك صور لا تُحصى ولا تُعد لمسلمين مقتولين أو معرّضين للظلم في العالم، وصور لمحاولات المجاهدين الرد على النحو الذي حدده الله. ولا تحضر على هذه المواقع صور مدارها التشدد فحسب، بل هناك أيضًا مناقشات محدودة: «فتغيب المناقشة الفعلية العميقة؛ ويُنظر إلى الصور والأخبار للإشادة بها بدلًا من مناقشتها فعليًا»[82]. وتغيب المناقشة الفعلية أيضًا حول ما تُمثله هذه الصور، ومن هم الضحايا الفعليون، وما هي الأسباب الفعلية لكونهم ضحايا. والقصة نفسها تتكرر عبر مواقع السلفية المقاتلة التي تعجّ بصور الجهاد العنيف.

لكن ينبغي الإشارة إلى أن السلفية المقاتلة لا تحتكر مسؤولية نشر الصور العنيفة أو القبول غير المشروط لمعناها. ففي سياق حديثه عن منظمة الخالستاني، المذكورة سابقًا، يقول أكسيل: «يعتمد السيخ صور التعذيب

---

(80) Sageman, *Understanding Terror Networks*, p. 161.

(81) انظر:

P. Spyer, «Fire without Smoke and Other Phantoms of Ambon's Violence: Media Effects, Agency and the Work of the Imagination,» *Indonesia*, vol. 74, p. 12.

وبحسب طوبول، يمكن أن ينطبق ذلك على المواقع الإسلامية بشكل عام. انظر:

D. Touboul, «Francophone Internet Forums Shed Light on Concerns and Issues of Islamists,» *PRISM*, vol. 3, no. 6 (2005).

(82) Ibid.

لخلق موضوعهم من خلال مشاهد بشعة. وهذا أسلوب مألوف أيضًا عند أولئك الذين يشاركون في النضال الفلسطيني أو الكشميري. وتظهر قوة المشهد وأهميته في الإشارة إلى وحشية الطرف الآخر، وهو الدولة الهندية القومية»[83]. وينطبق الأمر نفسه على أولئك الأرمن الذين يعتبرون عملية الاستيعاب أو الامتصاص التي تقوم بها تركيا محاولة للقضاء على هوية الأرمن وتطلعاتهم الوطنية. لذا «يُذكّر بالإبادة الجماعية بنشر صور عنها حتى ضمن نصوص لا تتحدث فعليًا عن هذه الإبادة. وبالتالي يمكننا أن نكون أمام بيان عن عملية إرهابية أو نص نظري عن ماركسية العالم الثالث مترافقًا مع صور مُصغرة ومستنسخة عن الإبادة الأرمنية، من دون حاجة إلى نسج أي علاقة مباشرة بين الصور والنص»[84]. فالصورة لا تكذب لأننا نقرر ما الذي تريد قوله[85]. وفي حالة السيخ، تمثل صور الجثث معاناة السيخ على يد الدولة الهندية التي لا تخفي عدوانيتها الدائمة. وفي الحالة الأرمنية، يُنظر إلى الصور من خلال منظور الإبادة الجماعية، فتُجرّد هذه من سياقها الحقيقي لإدخالها في سياق يعتبر الإبادة الجماعية واقعًا راهنًا. وفي حالة السلفيين المقاتلين، تُلتقط الصور لصراع معيّن، للكشف عن الحرب التي يشنها الغرب على المسلمين، وعن الرد الملائم لبعض المؤمنين الصالحين.

ليس هذا الفشل في التعامل مع اللقطات الشائعة والمشتركة بين المجموعات الواردة أعلاه، مجرّد فتور أو لامبالاة فكرية، بل يتعلق الأمر بطبيعة الصور التي يسمح انفصالها عن تاريخها وسياقها الحقيقي، للمتلقي بإدخال كل ما يشاهده في سردية جاهزة مسبقًا. وكما يلاحظ أحد الكتاب، «تسمح الصور بتفسيرات مختلفة»[86]؛ فبالإمكان إعطاء معنى لها مع قيام الأفراد والمجموعات

---

(83) Axel, «The Diasporic Imaginary», p. 415.

(84) Tololyan, «Cultural Narrative», p. 227.

(85) للتحقيق بشكل جيد في دور الصور، بشكل عام، انظر:
M. Danner, *Torture and Truth: America, Abu Ghraib, and the War on Terro* (New York: New York Review of Books, 2004).

(86) F. Möller, «Photographic Interventions in Post-9/ 11 Security Policy.» *Security Dialogue*, vol. 38, no. 2 (2007), p. 185.

ببناء قصة، حيث يدخلون أنفسهم وغيرهم فيها، ويكونون في كثير من الأحيان من أماكن متفرقة ومن خلفيات وأوضاع منوعة[87]. والحالات النضالية يجمع مستقبلوها، بعضها إلى بعضها الآخر، وفقًا لسردية معيّنة عن الحق والباطل، المعاناة والمقاومة. ولا يمكن تقييد هذه السردية، في عصر وسائط المعلومات الشاملة، بعوائق أو اهتمامات جغرافية. تقوم الصور بهذا الدور لأنها، على خلاف كثير من أشكال التواصل الأخرى، «لا تقدم للحوادث أفقًا نهائيًا منظورًا، إن هو إلا ذلك السرد المتكرر لشعور الضحية، وقد أعيد إحياؤه من الأجزاء المبعثرة للجسد وعبرها»[88]. لذلك يُمكن صورة امرأة مقتولة في سريبرينتشا أن تصبح جزءًا من حكاية صورة طفل مقتول في الفلوجة. ولن تدخل في المعادلة الاختلافات الواضحة بين المسلمين في البوسنة والعراق، أو الاختلاف بين البلدين. وتنطبق الحال نفسها على المعتدين المفترضين، على ما يبدو من تحول الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وغيرهما من دور المنقذ في البوسنة (كما يمكن القول متأخرًا) إلى دور المعتدي في العراق وأفغانستان وغيرهما، فلا تحتاج الصراعات إلى وضعها في سياق تاريخي أوسع. ويقلل استخدام الصور من الحاجة إلى الاحتكام إلى مرجع، والتحقيق في الآثار المترتبة عن صعود المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، وزوال يوغسلافيا، وعدوانية صدّام حسين، أو أي تفسير آخر من مجموعة تفسيرات محتملة لمحن المسلمين في أجزاء كثيرة من العالم.

بسبب هذا النقص في الانتماء أو الارتباط، تسمح الصور باعتماد حجج عاطفية، أكثر مما تسمح به الأشكال الأخرى للتواصل. فالعواطف هي جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية، ولا يمكن قياسها. واعترفت بهذا الأمر مجموعة من الفلاسفة السياسيين، لكن مع استثناءات بارزة، تجاهلتها النظريات الأخيرة

---

(87) للحصول على تحقيق رائع عن هذا الموضوع، انظر:
K. Cetina, «Complex Global Microstructures: The New Terrorist Societies,» *Theory, Culture and Society*, vol. 22, no. 5 (2005).

(88) Spyer, «Fire without Smoke,» p. 12.

للسياسة الدولية[89]. تحمل العاطفة تأثيرًا واضحًا في الفكر السياسي للسلفيين المقاتلين، وتنشئ رابطًا قويًا يربط السلفيين المقاتلين في ما بينهم، بغضّ النظر عن المسافة الجغرافية والشخصية والثقافية. فهم يتوحدون بالعواطف، بما فيها الخوف، والشعور بالذل من الاضطهاد المزعوم للحرب المستمرة التي يشنها الغرب على العالم الإسلامي.

تؤدي الصور دورًا رئيسًا في ذلك[90]. وبالإمكان ملاحظة هذا التأثير في ردات الفعل الحاصلة على واحدة من الحوادث السياسية المهمة في هذا القرن حتى اليوم: هجمات عام 2001 في نيويورك وواشنطن. يلاحظ بلايكر وهتشيسون «أن عملية نشر صور الهجوم الإرهابي على مركز التجارة العالمي في نيويورك، على نطاق عالمي، رسمت أو حددت التأثير السياسي لهذا الحادث. فلو جرت تغطية هذا الهجوم عبر النصوص الصحافية فحسب، لما أتت ردة الفعل عل ذلك القدر من القوة»[91]. وينطبق الأمر نفسه على الصور التي يعتمدها ويستهلكها السلفيون المقاتلون؛ فتقمص صورة «الجماعة» يؤدي دورًا رئيسًا في الوصول إلى المواد التي تسيطر عليها الصور وتستهلك جماعيًا، بغضّ النظر عما إذا كانت مجموعات صغيرة أو كبيرة على الإنترنت، وهو يحصل خصوصًا عندما يُنقل الحزن والخوف والكراهية عبر الحدود. ويتابع بلايكر وهتشيسون: «على الرغم من عدم قدرة المشاهد البعيد على

(89) تتضمن الأمثلة الأخيرة عن أولئك الذين أخذوا هذه الفكرة جديًا:

R. Bleiker & E. Hutchison, «Fear No More: Emotions and World Politics,» *Review of International Studies*, vol. 34 (2008), N. Crawford, «The Passion of World Politics: Propositions on Emotion and Emotional Relationships,» *International Security*, vol. 24, no. 1 (2000), C. Hill, *The Changing Politics of Foreign Policy* (Houndmills: Palgrave, 2003), R. Lebow, «Reason, Emotion and Cooperation,» *International Politics*, vol. 42 (2005), A. Linklater, «Emotions and World Politics,» *Aberystwyth Journal of World Affairs*, vol. 2 (2004), J. Mercer, «Approaching Emotion in International Politics,» presented at the International Studies Association Conference in San Diego, 1996, & J. Mercer, «Rationality and Psychology in International Politics,» *International Organization*, vol. 59 (2005).

وكما يلاحظ كثير من هؤلاء الكتاب، تاريخيًا كان هناك اهتمام بالعواطف والسياسة.

(90) مرة أخرى، هناك أوجه تشابه بين السلفيين المقاتلين ومجموعة من التنظيمات الأخرى في ما يخص استعمال الصور، كما سيلاحظ أي زائر لبلفاست على سبيل المثال.

(91) Bleiker &Hutchinson, «Fear No More: Emotions and World Politics», p. 131.

فهم عواطف الشخص المصاب بالمأساة، فإن عملية الاتصال والتواصل تقوم بوضع سياق عمومي، حيث يُعطى الطابع الخاص للحزن معنى وأهمية اجتماعية أوسع»[92].

مع أنّ السلفية المقاتلة أنتجت بعض المفكرين المميزين الذين ينشرون الحجج المهمة، فإنه من النادر أن يحصل التحوّل إلى السلفية المقاتلة في الغرب بعد مرحلة طويلة من التفكير الذاتي والتحقيق الديني والتحليل السياسي، خصوصًا أن معرفة كثير من المتحولين إلى الحركية النضالية ضعيفة بالقرآن والحديث. إنهم، كما لاحظ كثيرون، يتشدقون بحجج منتقاة من الشخصيات المتطرفة. هذا ما أكده ماكدرموت حين وصف الإيمان الخاص بأعضاء خلية هامبورغ بأنه لم ينجم عن عملية تفكير، وتلقوه حرفيًا من دون أي نوع من المنطق[93]. ويصف روا كيف يعيش الشخص الذي يُولد من جديد عبر التطرف بإيمان عاطفي وغير عقلاني، فلا يهتم هذا الشخص بالعلم الديني التأملي[94]. وعندما وقف روود بيترز في المحكمة كشاهد خبير في محاكمة بعض أعضاء مجموعة هوفستاد، سأله المتهمون عن معنى بعض الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية، فقام بيترز، وهو أكاديمي وخبير متخصص بالجانب الفقهي من تشريع الجهاد، بتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لديهم، عندما لاحظ أنهم تعاملوا مع التاريخ فحسب[95].

بعد جريمة قتل فان غوغ، حاول نور الدين الفاطمي وسمير عزوز تأسيس خلايا لتحل محل مجموعة هوفستاد المنحلة. وكانت المعرفة الدينية للرجل الأوّل ضئيلة، فاعتمد على الإنترنت لقراءة «الآيات القرآنية بصوت عال، وغيرها من تفصيلات ما سماه «الإسلام النقي»[96]. وأخيرًا، في مدريد، كان

---

(92) Ibid., p. 130.

(93) McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 87.

(94) O. Roy, «Born Again to Kill,» *Signandsight*, 04/08/2005.

(95) Peters, interview with author.

(96) J. Neurink, «Mujahideen of the Lowlands» on Trial in the Netherlands,» *Terrorism Monitor*, vol. 3, no. 24 (2005).

الشريط الذي تركه الإرهابيون في سيارة الفان البيضاء تسجيلًا لتلاوات قرآنية مخصصة للمبتدئين في علوم الدين[97].

لا تعود هذه السطحية إلى فقر فكري لدى السلفيين المقاتلين، ولا إلى العقيدة التي يعتمدونها، لكنها تُظهر أن ارتباط أكثرية الغربيين الذين ينضمون إلى هذه العقيدة، إنما هو ارتباط عاطفي وليس فكريًا. والصور هي التي تشجع عملية الارتباط وتمكّن لها.

في أثناء المشاهدة والمناقشة في إطار المجموعات، يُساعد وابلُ الصور شبه الموحدة المشاهدين الموزعين في أماكن متباعدة في تخيّل أنفسهم كما يريدون. ويشعر أولئك المشاهدون بأنهم جزء لا يتجزأ من الصراعات المنوعة التي تبث المواقع على الإنترنت صورها. وتنشأ علاقة وثيقة بين المُشاهد وأشخاص المَشاهد والصور، ويراوده تصوّر بأنه مقاتل في الحرب نفسها. فأولئك الذين يدمنون الدخول إلى المواقع المنوعة على الإنترنت، يتدنى لديهم حس الواقع لمصلحة ما تمثله هذه الصور المنتزعة من سياقها الواقعي، التي تُحمل على محمل سردية يعتمدها الفرد دليلًا على دعمه الحركية النضالية.

كثيرون من المقاتلين يدركون قوة هذه الصور وأهميتها. يقول آدم غدن عن واحد من الأشرطة المسجلة: «من الصعب أن نتصوّر شخصًا في قلبه رأفة يمكن أن يشاهد هذه الصور حول ما فعله الصليبيون بهؤلاء الأطفال (في العراق)، ولا يرغب في إطلاق النار على المارينز في مخيم بندلتون»[98]. وأظهرت كثرة من الدعاة الراديكاليين نزعة مماثلة، ستجري مناقشتها، مثلًا، في الفصل السادس. ففيروز عباسي، على سبيل المثال، قام، بطلب من أبي حمزة، بتأسيس موقع على الإنترنت[99]. لاحقًا أدار الأميركي المتحول إلى الإسلام

(97) L. Wright, «The Terror Web,» *The New Yorker*, 02/08/2004.

(98) R. Khatchadourian, «Azzam the American: The Making of an Al Qaeda Homegrown,» *New Yorker*, 22/01/2007.

(99) BBC, «From Student to Terror Suspect,» *BBC News Website*, 21/01/2002.

جيمس عجامة، هذا الموقع مكان شيخه الأقل خبرة في التكنولوجيا[100]. وبرزت على هذا الموقع مشاهد وصور عن صراعات في العالم، وهي مشاهد وصور تسمح ببناء تصورات للذات لدى أشخاص في مجموعات في فرنسا وإيطاليا والسويد، تشبه تلك التصورات الخاصة بآخرين في أفغانستان والعراق والبوسنة. وتُظهر صور الجثث أنّ الأمة مهددة. ويتبيّن من صور «شهداء الله الراغبين في الاستشهاد» أن بعضهم يريد الدفاع عن الأمة. وتسمح الصور أيضًا بالتعرف إلى الصراعات في أماكن نائية، وبتحول مُشاهدها إلى مشارك فيها. وعن هذا كتب خوسروخافار: «تنحصر مأساة شهداء الواجب الوطني بالواقع العيني، في الأشخاص أنفسهم، بينما يختبرها شهداء القاعدة عبر الكابلات وشاشات التلفزة والإعلام الرقمي. هذا النظام الإلكتروني بأوسع المعاني، هو الذي يربط هؤلاء الشهداء بالواقع. ومعاناتهم تتحول تفخيمًا دراميًا شجيًا يتغذى من الصور، وينتقل عبر ‹أمة جديدة› بالوكالة»[101].

سهولة الوصول إلى وسائل الإعلام الإلكتروني، ونشرها الصور التي تتخطى الحدود، تُساعد في توضيح فكرة محددة عن من هو الـ «أنا»، ومن هو الـ «نحن». ومع شيوع صور الصراعات المقبلة من أماكن مختلفة جغرافيًا، وتشبّع مجموعات بها وهضمها، بدأ مسلمون غربيون يعتبرون أنفسهم مجاهدين تربطهم صلات قربى. ويتضاعف تأثير الصور عندما يتداخل مع الشرط الأكثر أهمية في إمكان ظهور السلفية المقاتلة، وهو حركة الانتقال.

---

(100) O'Neil & McGrory, *The Suicide Factory*, p. 194.

(101) Khosrokhavar, *Suicide Bombers*, p. 223.

الفصل الخامس

حركة الانتقال: من الفعلي إلى الأيديولوجي

على الرغم من النقص في المعلومات عن كثيرين من المقاتلين، تظل مهمة توثيق حركة انتقالهم سهلة نسبيًا. فعملية إعادة التموضع تُعتبر من أهم الخصائص المشتركة في ما بينهم. وكما كتب روا، «يتميّز الرابط بين الإقليم والقومية... وعدم الانتماء إلى إقليم والأسلمة الراديكالية، بالثبات والاستمرارية»[1].

يقود عدم الانتماء الفعلي إلى منطقة أو مكان/ إقليم، إلى عدم انتماء أيديولوجي، لا غنى عنه للسلفية المقاتلة في الغرب. وتساعد دينامية الحركة في تقويض «مُعطى الانتماء الإقليمي للهوية الوطنية وطبيعته»[2]. ويشتق الحيز المكاني عند بعضهم، بمن فيهم السلفيون المقاتلون، من فكرة الأمة، وهي هوية دينية عابرة الحدود الوطنية، وترفض الإقليم حدودًا للهوية. لكنهم ليسوا وحدهم في هذا؛ فهناك الكثير من الرؤى اللاإقليمية الأخرى التي تُعتبر دافعًا شائعًا في العمل السياسي. وكما لاحظ تولوليان: لا يمكن اعتبار المكان في النشاط الإرهابي... مجرد موقع جغرافي بسيط. فهو ليس 'جحور الأرانب'، كما يُسمي كاسبار واينبرغر المنطقة الشيعية من بيروت، ولا المراعي التي يخيم عليها الضباب في إيرلندا. بل يمكن أن تكون أرض الميعاد لصهيون، ولاهوت العهد للبيوريتانيين الأميركيين، والبوير في جنوب أفريقيا، أو رؤية انتقامية عن أرض لم نر قط، أو تطلعات عالم منعزل يسعى للحصول على أرض لم يقم عليها أي مجتمع. الزمان والمكان، الأوقات والأماكن الغائبة، وكذلك الأوقات والأماكن المتوقعة، كل ذلك يوفر هذا الحقل الذي يمكن رؤية ثقافية أن تنتج فيه إرهابيين»[3].

---

(1) O. Roy, *Globalized Islam: The Search for a New Ummah* (London: Hurst, 2004), p. 69.

(2) D. Morley, *Home Territories: Media, Mobility and Identity* (London: Routledge, 2000), p. 9.

(3) Tololyan, «Cultural Narrative», p. 218.

يهتم المبحث التالي بتقصي حركة الانتقال في حياة عدد من السلفيين المقاتلين وشرحها. وتليه دراسة لأهمية هذه الحركة، ودورها في إنتاج رؤية بديلة لتدابير سياسية، ومصدر للهوية. هناك أنواع متعددة من حركات الانتقال، ولا يمكن اختزال فئة عامة إلى مَثَل واحد لها. ويجب النظر في عناصر الانتقال المنسوجة المختلفة بوصفها أبعادًا للظاهرة نفسها، ودينامية تتضمن إمكان تغيير العلاقة بين المحلي والعالمي. وتُعتبر الهجرة العنصر الأول من عناصر الانتقال هذه.

الهجرة

نظرتُ في أسماء مئتين وخمسين سلفيًا مقاتلًا في الغرب[4]، فأظهرت المعلومات ارتفاعًا واضحًا في عدد المهاجرين بين أولئك الذين انضمّوا إلى الحركية النضالية المتطرفة. 23 في المئة فحسب ممن شملتهم الدراسة، غير مهاجرين إلى الغرب، وينحدر عدد قليل جدًا منهم من آباء غير مهاجرين. ويُعتبر هذا الرقم مرتفعًا مقارنةً بدراسات أخرى. أظهرت مثلًا، دراسة مستجدة لإدوين باكر أن 17 شخصًا فحسب من بين 242 من المقاتلين السلفيين الأوروبيين الذين شملتهم الدراسة من عائلات أوروبية. وهذا يعني أنّ أقلية كبيرة منهم، وإن كانت نسبة 38 في المئة أعلى كثيرًا من تلك التي في هذه الدراسة، وُلِدت في أوروبا[5]. ومن مجموع 219 مقاتلًا، هناك 8 فقط أقاموا في أماكن أخرى من العالم قبل انخراطهم في الإرهاب في أوروبا[6].

---

(4) وضع آخرون قوائم، بمن فيهم:

M. Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004), R. Leiken & S. Brooke, «The Quantitative Analysis of Terrorism and Immigration: An Initial Exploration,» *Terrorism and Political Violence*, vol. 18, no. 4 (2006), & E. Bakker, «Jihadi Terrorists in Europe and Global Salafi Jihadis,» in: R. Coolsaet (ed.), *Jihadi Terrorism and the Radicalisation Challenge in Europe* (Aldershot: Ashgate, 2008).

يجدر التنويه هنا بأن معايير الإدراج هي أكثر تشددًا - وأصبحت حاجة إثبات النضالية المقاتلة أعلى كثيرًا، ونوع النضالية هذه (التي تستهدف الغرب، ويقوم بها غربيون أو مقيمون في الغرب) أضيق كثيرًا.

(5) ليس واضحًا تمامًا ما يُفسر الفرق في هذه الأرقام. فقد كان من المتوقع أن تتضمن قائمة باكر نسبة أعلى من المهاجرين، لأنه أدرج في أنموذجه مقاتلين لم يعيشوا في أوروبا. وتؤكد الدراستان انتشار هذا النوع من حركية الانتقال في حياة المقاتلين.

(6) Bakker, «Jihadi Terrorists in Europe and Global Salafi Jihadis».

يكتب جوردان وزملاؤه أن جميع المسؤولين مباشرة عن تفجيرات مدريد كانوا من المهاجرين[7]. وكما هي حال كثير من الجماعات المقاتلة في معظم الأحيان، «لم يولد أي منهم في إسبانيا، بل أقام كثير منهم إقامة دائمة في البلاد، منذ سنوات عدة، وخصوصًا الأعضاء الأساسيين»[8]. النتائج التي توصل إليها باكر وجوردان وآخرون، وهي تعتمد بدورها على أعمال سيجمان السابقة[9]، تُظهر استمرار السلفية المقاتلة الأوروبية بوساطة أعضاء أوروبيين، ينقسمون بين أقلية انتقل آباؤهم إلى أوروبا، وأكثرية انتقلوا هم أنفسهم إليها. وعندما تتوسع رقعة المسؤوليات إلى أبعد من أوروبا، أي إلى الغرب عمومًا، تبقى الحكاية على حالها.

هناك اختلافات كبيرة بالطبع ضمن فئة المهاجرين. كثيرون منهم مقيمون منذ مدة طويلة، وجاءوا إلى الغرب في طفولتهم. وعلى الرغم من اعتبارهم من المهاجرين، فإن تجربتهم أقرب إلى تلك الخاصة بالجيل الثاني من المهاجرين المولودين في الغرب، وآخرون هم من الوافدين حديثًا إلى الغرب. وهناك فروق أخرى: بعضهم وفد حاملًا وجهات نظر متطرفة، لا تتطلب سوى القليل من التأقلم لمباشرة عمليات مسلحة، بينما أظهر آخرون القليل من الاهتمام بالشؤون الدينية والسياسية التي ادعوا لاحقًا أنها كانت دافعهم إلى أعمالهم. لكن هذا الاختلاف لا أهمية له هنا؛ فالمهم هو ظاهرة الهجرة في حياة المقاتلين في الغرب. والغرض من بعض التمايزات في ما يلي، هو العرض والتنظيم. ويبقى القاسم المشترك الذي يتجاوز الاختلافات كلها هو حركة الانتقال.

في ما يلي نتعرف إلى عدد كبير من الأفراد الذين اعتمدوا النزعة الحركية النضالية، ونصف باختصار الأعمال المسلحة التي شاركوا فيها، وبعض مؤشرات حركة الانتقال في حياتهم. وهذه قائمة غير مكتملة بالضرورة. فمن

---

(7) J. Jordan, M. Manas & N. Horsburgh, «Strengths and Weaknesses of Grassroot Jihadist Networks: The Madrid Bombings,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 31 (2008), p. 21.

تجدر الإشارة إلى كثيرين من غير المهاجرين لم تجرِ دراستهم، لأن من غير الواضح ما إذا كانت دوافعهم أيديولوجية أم مالية. وعلى هذا النحو، فإن نسبة المَهاجرين ربما تكون مضخمة بعض الشيء.

(8) Ibid., pp. 20-21.

(9) Sageman, *Understanding Terror Networks*.

المستحيل أن نصف بالتفصيل حركات الانتقال في حياة 250 فردًا مذكورين هنا، ولن تكون للوصف فائدة كبيرة تعادل مقدار ما يتطلبه من الوقت والمساحة. فالمطلوب تقديم أمثلة موثقة، للدلالة على أهمية حركة الانتقال وانتشارها في حياة السلفيين المقاتلين.

أنطوني غارسيا هو واحد من خمسة أفراد كانوا قد دينوا في نيسان/ أبريل 2007، بتهمة التخطيط لمهاجمة أهداف بريطانية بوساطة قنابل مصنوعة من الأسمدة. بدّل غارسيا اسمه إلى رحمان آدم، لزيادة فرص نجاحه في عالم عرض الأزياء على ما يبدو. وصل إلى لندن في الخامسة من عمره، وأعلن لاحقًا أنه كان يعتبر نفسه إنكليزيًا بشكل كامل(10). أما فيروز عباسي فوُلد في أوغندا، وفي السنة الثامنة من عمره انتقل إلى بريطانيا، واستقر مع عائلته في لندن، وهو ما قد يشكل مثالًا آخر للاندماج الناجح. وبعد سنوات من الدراسة في أحد المعاهد، ترك المعهد وقام بأسفار عدة في أوروبا. وفي سويسرا التقى «رجلًا من كشمير»، فـ «عاد إلى الإسلام من جديد». وبعد عودته إلى إنكلترا، بدأ يتردد على جامع فينسبري بارك(11). ولاحقًا ذهب إلى أفغانستان، فاعتقلته هناك قوات مناهضة لطالبان وسلمته إلى الولايات المتحدة. بعد ذلك سُجن في غوانتانامو، ومراسلاته اللاحقة توضح نضاليته الراديكالية(12).

وهذا ذيرن باروت الذي وفد مع أسرته الغوجاراتية الهندوسية إلى بريطانيا، وهو في عمر السنتين. ولما بلغ العشرين دخل الإسلام(13). وفي عام 2006 دين بتهمة التخطيط لاستخدام أسلحة دمار شامل في مهاجمة أهداف بريطانيّة وأميركية(14).

(10) J. Vasagar, «Terror Trial Hears of Pakistan Visit,» *The Guardian*, 26/09/2006.

(11) S. O'Neill & D. McGrory, *The Suicide Factory: Abu Hamza and the Finsbury Park Mosque* (London: Harper Perennial, 2006), p. 24.

(12) BBC, «Fom Student to Terror Suspect,» *BBC News Website*, 21/01/2002, & O'Neill & McGrory, *The Suicide Factory*, pp. 201-214.

(13) D. Gardham, «Muslim Was Planning Dirty Bomb Attack in UK,» *The Telegraph*, 14/10/2006.

(14) C. Whitlock, «Trial of French Islamic Radical Sheds Light on Converts' Role,» *The Washington Post*, 01/01/2006.

من المهاجرين الآخرين نذكر: كامل داوودي الذي حُكِم عليه بتهمة التخطيط لتفجير السفارة الأميركية في باريس. وكان قد هاجر مع عائلته من الجزائر، واستقر في ضواحي باريس ونشأ فيها(15). وجمال بغال الذي استقر في ضواحي باريس(16)، ويُعتقد أنه رئس الخلية التي خططت لتفجير السفارة، بعدما قام بتجنيد شبان في الدعوة السلفية في مساجد لندن. أما جمال زوغام، فوفد إلى إسبانيا مع والدته في عام 1983، حينما كان في العاشرة من عمره. لم يكن والده المغربي موافقًا على هذه الهجرة، وبقي في المغرب. وحُكم على زوغام بالسجن المؤبد لمشاركته في الهجوم على المترو في مدريد. وقبل اعتقاله كانت الشرطة الإسبانية والشرطة المغربية على علم بميوله الحركية النضالية(17).

هناك آخرون غير هؤلاء من المهاجرين إلى أوروبا في وقت لاحق من حياتهم. مثلًا زياد الجراح المنحدر من عائلة علمانية من الطبقة المتوسطة في لبنان، والذي وفد إلى ألمانيا لمتابعة دراسته الجامعية. وهو من المتهمين بالمشاركة في التخطيط لهجمات نيويورك وواشنطن في عام 2001 وتنفيذها. كان الطيار الذي قام بتحويل مسار الطائرة في الرحلة رقم 93 للخطوط الجوية الأميركية، ليصدم بها مبنى الكابيتول، لكنها تحطمت في بنسلفانيا(18).

كان ياسين حسن عمر في الحادية عشرة من عمره عندما هاجر من الصومال إلى بريطانيا(19). وصل مع شقيقته الكبرى وزوجها. استقر الثلاثة في لندن، ووُضِع عمر بعد مدة قصيرة في رعاية مركز للخدمات الاجتماعية(20).

---

(15) P. Nesser, «Jihad in Europe- a Survey of the Motivations for Sunni Islamist Terrorism in Post-Millennium Europe,» *FFI/ RAPPORT* (2004), p. 47, & M. Bright et al., «The Secret War. Part 2,» *The Observer*, 20/09/2001.

(16) S. Erlanger & C. Hedges, «Terror Cells Slip through Europe's Grasp,» *The New York Times*, 28/12/2001.

(17) O. Bowcott, «In Morocco's Gateway to Europe, Disbelief Greets Arrests over Madrid Bombings,» *The Guardian*, 19/03/2004, & M. Bright et al., «The Secret War. Part 1,» *The Observer*, 30/09/2001.

(18) McDermott, *Perfect Soldiers*.

(19) A. Carey, G. Jones & P. Hirschkorn, «2 Bomb Suspects African Immigrants,» *CNN Website*, 26/07/2005.

(20) J. McAllister, «Terror Next Door,» *Time Europe*, 31/07/2005.

كان من بين الخمسة الذين خططوا لمهاجمة نظام النقل في لندن في 21 تموز/ يوليو 2005. ومثله رمزي محمد الذي هو أيضًا من المهاجمين المفترضين من الصومال[21]. وحمدي إسحق وُلِد في إثيوبيا، وجاء مع أخويه إلى إيطاليا في عام 1991. وبعد أن أقام قرب روما، انتقل إليها، ومنها إلى لندن. وهناك بدّل اسمه إلى حسين عثمان، وأعلن أنه مواطن صومالي، ليحصل بشكل أسهل على وضعية لاجئ سياسي وكذلك على مساعدة اقتصادية. وتبيّن بعد ذلك أنه أحد أعضاء المجموعة التي خططت لهجمات لندن[22]. أما آخر الرجال الأربعة الذين دينوا بمحاولة التفجير هذه، فهو قائد المجموعة، الأريتري مختار سعيد إبراهيم الذي جاء إلى بريطانيا في سن الرابعة عشرة مع عائلته طالبًا لجوءًا سياسيًا في عام 1990[23]. وفي عام 2000 دخل الجزائري كمال بورغاس[24] إلى بريطانيا بشكل غير شرعي مختبئًا في شاحنة[25]. قدّم طلبًا للجوء السياسي، فرُفض طلبه فاختبأ بعد ذلك[26]. وفي عام 2005 دين لمشاركته في المخطط المزعوم «الهجوم بالريسين» (وصفناه بالمخطط المزعوم لوجود تساؤل حقيقي إذا ما كان غاز الريسين قد استخدم بالفعل). وُجِد بالمصادفة في مانشستر، وعندما حاولت الشرطة اعتقاله لوجوده في البلاد بشكل غير شرعي، قام بطعن شرطي حتى الموت[27].

كان أحمد رسام، المهاجم المفترض لمطار لوس أنجلوس، الأخ الأكبر لسبعة أشقاء وُلِدوا وعاشوا في منطقة فقيرة غرب الجزائر العاصمة. وبعد تجارب ومحن تعرض لها في حياته (عُرضت سابقًا) عاد إلى فرنسا، بعدما كان قد تلقى فيها سابقًا علاجًا طبيًا، فمكث فيها بشكل غير شرعي، مع أنه حصل

(21) BBC, «Bomb Plot» Trial: The Six Defendants,» *BBC News Website*, 19/01/2007.

(22) Hooper, «Suspect Was a Roman Romeo».

(23) Carey, & Hirschkom, «2 Bomb Suspects African Immigrants».

(24) من المحتمل أن لا يكون هذا اسمه - فهو استعمل كثيرًا من الأسماء المستعارة.

(25) S. Carrell & R. Whitacker, «Ricin: The Plot That Never Was,» *The Independent*, 20/04/2005.

(26) BBC, «Mystery Still Surrounds Killer,» *BBC News Website*, 13/04/2005.

(27) Carrell & Whitacker, «Ricin: The Plot That Never Was».

على تأشيرة زيارة لثلاثين يومًا فقط، وانتقل بعد ذلك إلى كندا[28]. أما التونسي نزار طرابلسي، فحاول أيضًا الحصول على عمل في الخارج، ووقّع مع نادي كرة القدم الألماني فورتونا دوسلدورف (Fortuna Dusseldorf). ومع تراجع مسيرته في الخارج، أدمن المخدرات، ودخل السجن، وبعد ذلك صار مناضلًا. وكان عضوًا في الخلية التي حاولت تفجير السفارة الأميركية في باريس؛ فهو من كان عليه قيادة الشاحنة المحملة بالمتفجرات إلى داخل المبنى[29].

تقدّم السوري رضوان العيسى بطلب اللجوء السياسي في ألمانيا في عام 1995، فرُفض طلبه. ويُظهر اعتقاله في بلدة آخن وفي حيازته كميات قليلة من الهيروين والحشيشة أنه كان يعيش حياة تُناقض التعاليم الدينية التي سيدعو إليها لاحقًا. وفي عام 1998 سافر إلى هولندا لتقديم طلب لجوء سياسي آخر، وهناك تحوّل إلى التشدد في أثناء إقامته في مركزين لطالبي اللجوء السياسي. ولما رُفض طلبه مرة أخرى، استمر في التنقل بين هولندا وألمانيا، مستعملًا وثائق مزورة. ولم يحل اعتقاله مرة أخرى في فرانكفورت، تشرين الثاني/ نوفمبر 2003، دون استمرار وجوده في أوروبا، إلى أن صار زعيمًا روحيًا لمجموعة هوفستاد[30].

كان المغربي جمال أحميدان مهاجرًا غير شرعيّ، واندمج في المجتمع الإسباني. لكنه تحوّل إلى الإيمان بالإسلام «من جديد» في أثناء تمضيته واحدة من عقوبات السجن الكثيرة. لم يكن جمال في السابق ملتزمًا دينيًا، لكنه صار متشددًا وارتبط بخلية أبو دحداح المقاتلة في مدريد، في أواخر تسعينيات القرن الماضي. استمر أحميدان الذي كان يُعرف بالشينوا بسبب شكله الشبيه بالصينيين، في بيع المخدرات إلى أن اعتُقل في عام 2000 بهذه التهمة، ووُضع في مركز اعتقال في مدريد، في انتظار ترحيله لاحقًا إلى المغرب. وبحسب أحد العاملين في المركز، نصّب نفسه إمامًا، وهدد الحراس بأنه سيعود لاحقًا لقتلهم[31].

(28) Anonymous, «Trail of a Terrorist,» *PBS Website*, 21/10/2001, at: www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/trail.

(29) Z. Johnson, «Chronology: The Plots,» *PBS Website*, 2005.

(30) Nesser, «Jihad in Europe».

(31) J. Graff, «Terror's Tracks,» *Time*, 11/04/2004.

بعد تمضيته مدة أخرى في السجن في المغرب، ازدادت حماسة أحميدان للجهاد. وفي عام 2002 عاد إلى إسبانيا مستعملًا جواز سفر بلجيكيًا مزوّرًا. كان يبدو من التزامه المتزايد بالشعائر الدينية أنه توقف عن الاتجار بالمخدرات، لكنه استمر في بيع الحشيش وحبوب النشوة[32]. وشارك في الهجوم على القطار في مدريد، وكان واحدًا من الذين قاموا بقتل أنفسهم لاحقًا، بعد قتله ضابط شرطة في ليغانيس[33].

تتميّز قصص الأفراد التي وردت سابقًا بالتحوّل من اللاأدرية الدينية أو الاعتدال الديني إلى التشدد في الغرب. وهذه قصة الأغلبية، لكن هناك آخرين جاءوا وهم يميلون بالفعل إلى الأيديولوجيا التي ستقودهم إلى النضالية. وتشكل الحالات التالية أمثلة على ذلك.

نشأ سرحان بن عبد المجيد فاخت في عائلة من الطبقة الوسطى في تونس العاصمة. وفي عام 1995، كان في الخامسة والعشرين من عمره، انتقل إلى مدريد لدراسة الاقتصاد. وعلى الرغم من تدينه، كان في البداية اجتماعيًا وكثير الاختلاط، ثم بدأ بالانعزال والانسحاب من المجتمع في عام 1999[34]. تزوج بشابة في السادسة عشرة من عمرها، فارتدت الحجاب ولباسًا أسود كامل السواد. وبدأ سرحان بتحدي إمامه، مؤكدًا شرعية العنف في الإسلام، إلى أن صار يُعتبر عضوًا أساسًا في خلية مدريد، والمسؤول عن تفجير محطة أتوشا، وكان ينوي القيام بهجمات أخرى[35]. أما ربيع عثمان، فجاء إلى إسبانيا من مصر، حيث كان عضوًا في منظمة الجهاد الإسلامي المصرية التي اندمجت، بعد تأسيسها في سبعينيات القرن الماضي، مع تنظيم القاعدة. استمر تشدد عثمان في أوروبا بلا هوادة. وفي مدريد، ادعى أنه فلسطيني الأصل، ولا يحمل أي جنسية. استُبعد من المساجد بسبب آرائه المتشددة، فبدأ بالتواصل مع

---

(32) Ibid.

(33) J. Jordan & R. Wesley, «The Madrid Attacks: Results of Investigations Two Years Later,» *Terrorism Monitor*, vol. 4, no. 5 (2006).

(34) Graff, «Terror's Tracks».

(35) Wright, «The Terror Web».

أعضاء آخرين في خلية مدريد. وسجلت عليه السلطات أنه يقوم بتجنيد مقاتلين محتملين في العراق، ولما شاهد جريمة قطع رأس المقاول الأميركي نيكولاس بيرغ، هلل لها[36].

عبد العزيز بن يعيش، متطرف آخر تحوم بعض الشكوك حول نشأته الحركية النضالية وحول المرحلة التي وصل فيها إلى التطرف. فإذا كانت تجربته تعكس على نحو ما تلك الخاصة بأفراد عائلته، فمن المنطقي القول إنه جاء إلى فرنسا مقاتلًا متطرفًا. فشقيقه عبد الله قُتِل في تورا بورا في الهجوم الأميركي على أفغانستان، وشقيقه الآخر صلاح الدين فقد عينه في أثناء مشاركته في حرب البوسنة. وكان أيضًا في أفغانستان، لكنه عاد إلى المغرب بعد سقوط نظام طالبان، فحُكِم عليه بالسجن لمدة ثماني عشرة سنة بسبب مشاركته في هجمات طنجة. أما عبد العزيز، فانتقل إلى فرنسا، حيث حاز الجنسية، ثم اعتُقل بسبب مشاركته في هجمات الدار البيضاء، ويُشتبه بتخطيطه لتفجير محطة نووية فرنسية[37].

جاء الطالب مروان الشحي إلى بون بمنحة دراسية من الإمارات العربية. وصل متدينًا ومحافظًا، واعتمد كثيرًا من معتقدات خلية هامبورغ التي أصبح عضوًا فيها. كان هو الطيار في الرحلة 175 على اليونايتد إيرلاينز التي وجّه طائرتها لتصطدم بالبرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي[38]. وكان محمد زمار مواطنًا ألمانيًا، لكنه وُلِد في سورية. في العاشرة من عمره انتقل إلى ألمانيا مع أسرته المتدينة تدينًا محافظًا. ولتدينه في سن مبكرة، أثار إعجاب كثيرين من ذويه. شارك محمد في هجمات 11 أيلول/ سبتمبر على نيويورك وواشنطن[39]. أما محمد عطا فانتقل مع عائلته إلى القاهرة بعدما كانوا يسكنون خارجها. وكان والده

(36) J. Jordan & N. Horsburgh, «The Jihadist Subculture of Terrorism in Spain,» in: J. Lynch & G. Wheeler (eds.), *Cultures of Violence* (Oxford: Inter-Disciplinary Press, 2004), p. 183.

(37) P. Finn & K. Richburg, «Madrid Probe turns to Islamic Cell in Morocco,» *The Washington Post*, 20/03/2004, & C. Smith, «A Long Fuse Links Tangier to Bombings in Madrid,» *The New York Times*, 28/03/2004.

(38) McDermott, *Perfect Soldiers*.

(39) P. Finn, «Hamburg's Cauldron of Terror,» *The Washington Post*, 11/09/2002.

حريصًا على أن يحصل أولاده على التعليم الأفضل، فأرسل محمد للالتحاق بالجامعة في ألمانيا. كان عطا شابًا محافظًا ومنعزلًا، وأصبح الشخصية الرئيسة في تنفيذ هجمات واشنطن ونيويورك. اختاره أسامة بن لادن وخالد شيخ محمد لقيادة هذه الهجمات، فكان طيار الرحلة 11 لشركة الطيران الأميركية، ووجّه الطائرة لتصطدم بالبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي(40).

كان الشيخ أبو طلال القاسمي عضوًا قياديًا في الجماعة الإسلامية المسلحة. سُجن مرات لالتزامه بهذه الجماعة، قبل اغتيال الرئيس السادات وبعده، وفي أثناء سعي السلطات المصرية لتضييق الخناق على الإسلاميين في مصر. وبعدما أمضى بعض الوقت في أفغانستان وباكستان، حصل على لجوء سياسي في الدانمارك. ثم اعتقلته القوات الكرواتية بينما كان يحاول العبور إلى البوسنة للقتال هناك(41).

حركة انتقال الآباء

نلاحظ بوضوح أن أكثر المنخرطين في السلفية المقاتلة هم من المهاجرين، لكن ذلك لا يعني أن عدد غير المهاجرين قليل. يُسمى المقاتلون الذين وُلِدوا وترعرعوا في الغرب بالإرهابيين «المحليين». ومنهم من ينحدر من آباء غير مهاجرين، لكن آباء معظمهم مهاجرون. وتُظهر الفئة المنحدرة عن الهجرة أنّ حركة الانتقال لا تنتج دائمًا من ظاهرة عدم الانتماء إلى إقليم/ مكان (deterritorialisation). ويزداد تأثير حركة الانتقال عندما يعيشها آخرون لم ينتقلوا أو يهاجروا شخصيًا. فصاحب المتجر الكشميري في بكهام، ومدرس اللغة الكندي في بوسان، والمومس الكمبودية في دبي، لا يقْصرون هجرتهم على ذواتهم، بل يجلبون معهم أيضًا مفاعيل الانتقال أو الهجرة التي تؤثر في الآخرين: إما بالاتصال المباشر أو من طريق التحويلات المالية، وإما عبر نقل الأفكار وتبادلها. وهذا لا يخلو من نتائج أو عواقب.

---

(40) McDermott, *Perfect Soldiers*.

(41) Kohlmann, «The Afghan-Bosnian Mujahideen Network in Europe».

كان معظم الذين أسسوا مجموعة هوفستاد في هولندا شبانًا هولنديين ينحدرون من عائلات مغربية مهاجرة. آباؤهم وفدوا إلى هولندا في ستينيات القرن الماضي. محمد بويري واحد من هؤلاء[42]. ينطبق الوضع نفسه على سمير عزوز الذي وُلِد في أمستردام الغربية لوالدين مغربيَّيْن مهاجرين[43]. ويُمضي عزوز حاليًا عقوبة السجن بتهمة الإرهاب، وكان أعلن نيته شن الجهاد[44]. أما أحمد إسماعيل أخنيخ، فوُلِد في أمستردام في عام 1982 لوالدين مغربيين، وأصبح أيضًا عضوًا في مجموعة هوفستاد[45].

حسيب حسين، أصغر المشاركين في هجمات لندن في 7 تموز/ يوليو 2005، كان في الثامنة عشرة من عمره. وفد والداه، محمد ومانيزا، من باكستان إلى منطقة هولبك في ليدز في عام 1986، أي قبل ولادة حسيب بعشر سنوات[46]. كان ثلاثة من المشاركين في تلك الهجمات مهاجرين من الجيل الثاني. فمحمد صديق خان وُلِد في ليدز في عام 1974. أما لتيكا خان، وهو عامل سباكة، وماميدا بيغوم، فكلاهما من باكستان[47]، وزميلهم شهزاد تنوير وُلِد في يوركشاير لوالدين باكستانيين[48].

اختار البريطانيان ريتشارد ريد وأندرو روي اللذان ينحدران من والدين جمايكيين[49]، الجهادية أيضًا. في كانون الأول/ ديسمبر 2001 حاول ريد تفجير طائرة في أثناء رحلتها من باريس إلى ميامي، لكن عمليته لم تنجح. ودين روي بتهمة التخطيط لمهاجمة أهداف بريطانية غير محددة.

---

(42) Buruma, I. *Murder in Amesterdam: The Death of Theo Van Gogh and the Limits of Tolerance* (London: Atlantic Books, 2006), p. 20.

(43) A. Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold,» 2004, at: www.sociosite.org/ jihad_nl_en.php.

(44) Benschop, interview with author.

(45) Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(46) I. Herbert, «Hussain's Story: Family Struggle to Understand Why Their Gentle Boy Became a Bomber,» *The Independent*, 02/08/2005.

(47) S. Laville & D. Aslam, «Mentor to the Young and Vulnerable,» *The Guardian*, 14/07/2005.

(48) S. Raghavan, «Friends Describe Bomber's Political, Religious Evolution,» *Washington Post*, 29/07/2005.

(49) H. Muir, «British Muslim Convert Jailed for Terrorism Offences,» *The Guardian*, 24/09/2005.

أما سجيد محمد بادات، فوُلد في غلوستر. كان الولد الأول لمحمد وزبيدة بادات، وهما مهاجران من ملاوي، ضمن موجة مهاجرين آسيويين من شرق أفريقيا إلى بريطانيا في سبعينيات القرن الماضي[50]. كان على سجيد أن يفجر طائرة أخرى في هجوم منسق مع ريد، لكنه انسحب قبل الموعد المحدد. أما عمر الشيخ الذي ذُكِر سابقًا أنه مسجون في باكستان، فوُلِد في إنكلترا لوالدين باكستانيين[51].

وُلِد سعيد بهجي في عام 1975، لمهاجر مغربي في ألمانيا وأم ألمانيّة. التقى والداه في ألمانيا وتزوجا. وانتقلت عائلته إلى المغرب عندما كان في التاسعة من عمره، ثم عاد سعيد لاحقًا إلى ألمانيا للالتحاق بالجامعة. ولوحظ أنه كان عضوًا أساسًا في خلية هامبورغ التي قامت بهجمات عام 2001 في الولايات المتحدة[52].

كان بيتر شريف شابًا فرنسيًا انتمى والده إلى المذهب الكاثوليكي. ولد في جزر الأنتيل الفرنسية، ووُلدت أمه في تونس، ثم جاءت إلى فرنسا في الثامنة من عمرها. أما تشدده الذي حدث تحت إشراف فريد بن يتو، فوصفته صديقته ووالدته وصفًا مأساويًا[53]، ذلك أنه تسبب في صدمة كبرى لأقاربه، خصوصًا بعد أن كان يُظهر اهتمامًا قليلًا بالدين أو السياسة. انتقل إلى سورية، ثم إلى العراق، حيث اعتقلته القوات الأميركية التي قاتل ضدها هناك[54]. وإلى البلد نفسه (فرنسا) ينتمي ليونيل دومونت ذو الأصول الجزائرية، الذي قاتل في البوسنة، ثم أصبح عضوًا في عصابة مسلحة في فرنسا[55]. وكذلك زكريا موسوي كان يحمل الجنسية الفرنسية، غير أنه من أصول مغربية. ويُعتبر

---

(50) Honigsbaum & Dodd, «From Gloucester to Afghanistan».

(51) BBC, «Profile: Omar Saeed Sheikh,» *BBC News Website*, 12/07/2002.

(52) McDermott, *Perfect Soldiers*.

(53) P. Taylor, «Radicalising Europe's Young Muslims,» *BBC News Website*, 01/09/2006.

(54) B. Powell, «The Enemy Within,» *Time*, 23/10/2005.

(55) W. Wai & L. Charles, «Police Trace Movements of Convicted French Terrorist,» *The Malaysia Star*, 21/10/2004.

انتقاله إلى لندن ولادته الثانية، ويُعتقد أنه شارك في التخطيط لموجة ثانية من الهجمات في الولايات المتحدة، بإشراف خالد شيخ محمد. وهو يمضي اليوم عقوبة السجن مدى الحياة في سجن أميركي[56].

التدريب والارتباط والجهاد

تُعتبر الهجرة، المباشرة أو الأبوية، جانبًا شديد الأهمية في حركة الانتقال، وفي حياة السلفيين المقاتلين. لكنها ليست العامل الوحيد الذي يستحق الاهتمام؛ إذ سافر كثير من المقاتلين إلى أماكن كثيرة، حيث التقوا بأمثالهم من المقاتلين وتدربوا معهم وقاتلوا إلى جانبهم. وكما ورد في التقرير الرسمي للتحقيقات في شأن الهجمات على الولايات المتحدة، «ينبغي أن تكون واضحة الآن أهمية السفر وحركية الانتقال في التخطيط الذي تقوم به منظمة موزعة في أنحاء العالم كالقاعدة. وتتضمن حكاية المخطط التآمري إشارات إلى عشرات الرحلات الدولية»[57]. وتُظهر الهجمات الأخرى دينامية مماثلة، مع أشخاص يقطعون مسافات طويلة للقاء مقاتلين آخرين. هذه الرحلات أنشأت وعززت الانطباع عن شكل معين لمجتمع إسلامي عالمي. ولسوء الحظ، من المستحيل القيام بتحليل كمي لهذه الحركة، بعكس ما يمكن فعله مع حركة الهجرة؛ إذ لا تتوافر بيانات موثوقة عن عدد كاف من الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع هنا في ما يخص وجهة سفرهم وتوقيتها وسببها. أما ما يُمكن القيام به في هذه الحال، فهو تقديم براهين عن انتشار هذه الظاهرة.

كان فاتح كامل رجل أعمال ناجحًا وقائد خلية إرهابية في مونتريال. التحق سابقًا بمخيّم الفاروق للتدريب في أفغانستان، وهو من القواعد الأساسية

---

(56) A. Moussaoui, *Zacarias Moussaoui: The Making of a Terrorist*. trans. F. Bouquillat (London: Serpent's Tale, 2003).

(57) National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States, *The 9/ 11 Commission Report of the National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States* (New York: W.W. Norton, 2004), p. 168.

لبن لادن[58]. وسافر جمال بغال إلى أفغانستان أيضًا، وحصل على تدريب هناك. وبعد اعتقاله، اعترف بمخطط لتفجير السفارة الأميركية في باريس[59]. أما كمال بورغاس الذي تورط في التخطيط لمؤامرة القتل بمادة الريسين في إنكلترا، فحصل أيضًا على التدريب في أفغانستان[60]. وأكد أنطوني غارسيا التحاقه بمخيم تدريب على الحدود الأفغانية[61].

يُعتبر ريتشارد ريد وسجيد بادات من خريجي مخيمات التدريب الأفغانية. وكانا ينويان مهاجمة طائرات في رحلاتها فوق الأطلسي. فشلت محاولة ريد لتفجير طائرة تتوجه من باريس إلى ميامي، بعدما شاهده أحد الركاب يحاول إشعال فتيل قنبلة مدسوسة في حذائه. جرى تثبيت ريد على أرض الطائرة، وقام أحد الأطباء بحقنه بمسكن. وهو يمضي الآن عقوبة السجن المؤبد في الولايات المتحدة[62]. وعلى الرغم من انسحاب بادات من الهجوم المفترض، اعتقل لاحقًا وحوكم، وهو مسجون حاليًا[63]. وترك الأخوان ديفيد وجيروم كورتايلر بلدهما فرنسا وذهبا إلى لندن غير متدينين، بل كانا مدمني مخدرات. لكنهما آمنا بالإسلام لاحقًا، وعاشا في أوساط المقاتلين هناك، بما في ذلك مسجد فينسبري، وشقة زكريا موسوي في بريكستون. وانتهى بهما الأمر في معسكر تدريب في أفغانستان. وهما يمضيان عقوبة السجن الآن بسبب أعمال إرهابية[64]. ذهب ذيرن باروت إلى كشمير في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، وفي عام 1998 شغل منصبًا قياديًا في مخيم تدريبي في أفغانستان.

---

(58) J. Burke, «Hijacking Suspect «Was Bin Laden Bodyguard»,» *The Guardian*, 30/09/2001, & O'Neil & McGrory, *The Suicide Factory*, p. 208.

(59) Nesser, «Jihad in Europe,» p. 46.

(60) BBC, «Mystery Still Surrounds Killer».

من المرجح أن يكون هذا الأمر صحيحًا، لكن من الضروري التذكر بأنّ مغوربا هو الذي اعترف بالحصول على التدريب في أفغانستان، خلال التحقيق معه في الجزائر. ومن المعروف أن التعذيب وسيلة يُلجأ إليها في هذا البلد خلال التحقيقات.

(61) Vasagr, «Terror Trial Hears of Pakistan Visit».

(62) Elliott, «The Shoe Bomber World».

(63) Honigsbaum & Doos, « From Gloucester to Afghanistan».

(64) E. Vermaat, «Bin Laden's Terror Networks in Europe,» *The MacKenzie Institute*, 2005.

أخبر خالد الشيخ محمد المحققين أنه أرسل باروت إلى ماليزيا في عام 1998 أو في عام 1999. ويُعتقد أن بن لادن أمر في ذلك الوقت بإرسال باروت إلى الولايات المتحدة لاستكشاف أهداف اقتصادية ويهودية محتملة في نيويورك[65].

غادر أحمد رسام مونتريال إلى بيشاور، حيث التقى أبو زبيدة. وفي شهادته شرح رسام كيف اختاره أبو زبيدة، وأرسله في نيسان/ أبريل 1998 للحصول على تدريب في أفغانستان[66]. وسافر ثلاثة في الأقل من خلية هوفستاد، وهم جيسون والترز وأحمد إسماعيل أخنيخ وزكريا طيبي، إلى باكستان وأفغانستان للحصول على التدريب[67].

واحد من الأسباب المهمة لهذا السفر المستمر، هو اللقاء والتواصل والتعايش مع مقاتلين من أمثالهم حول العالم. وكان أندرو روي الذي دين بتخطيطه لمهاجمة أهداف غير محددة، مسافرًا عالميًا؛ إذ تقول التحقيقات إنه زار في سبع سنوات أفغانستان والشيشان وماليزيا وباكستان والمملكة العربية السعودية والمغرب[68]. وسافر اثنان من مفجري 7 تموز/ يوليو، بعد الهجمات بفترة قصيرة. سافر شهزاد تنوير وصديق خان إلى باكستان، لكن على نحو منفصل. وخالطا هناك الأوساط المقاتلة، ومنها تلك القريبة من القيادات العليا لتنظيم القاعدة[69].

التقى ليونل دومونت سرًا مقاتلين إسلاميين في عشرة بلدان على الأقل[70]، وذلك بعد إفلاته من عمليات توقيف عدة. وكان جمال بغال جزءًا من

---

(65) S. Mehta, «U.S. indicts 3 Including One NRI as Connections with al Qaeda,» *NRI Website*, 13/04/2005.

(66) Anonymous, «Trail of a Terrorist».

(67) Nesser, «Jihad in Europe,» p. 16.

(68) Muir, «British Muslim Convert Jailed» & Whitlock, «Trial of French Islamic Radical».

(69) P. Tumelty, «New Developments Following the London Bombings,» *Terrorism Monitor*, vol. 3, no. 23 (2005).

(70) Whitlock, «Trial of French Islamic Radical».

شبكة تنتشر في عدد من البلدان، منها بلجيكا وبريطانيا وكندا وفرنسا وألمانيا وهولندا[71]. وبحسب الاستخبارات الفرنسية، كان لفاتح كامل صلات متعددة بـ«منظمات إسلامية إرهابية منوعة حول العالم، خصوصًا في البوسنة وباكستان وألمانيا ولندن»[72]. فدفتره الخاص بأرقام الهاتف حوى أرقام هواتف مقاتلين أساسيين في أوروبا والبوسنة وأفغانستان[73].

عمل محمد زمار مترجمًا في المملكة العربية السعودية قبل عودته إلى ألمانيا. وفي هامبورغ عمل سائق شاحنة. وفي عام 1992 تخلى عن عمله هذا ليتفرغ للجهاد تفرغًا كاملًا. وبعدما تدرب في أفغانستان، سافر إلى بلدان كثيرة، منها سورية والأردن وتركيا والسويد، وكان يزور أفغانستان تكرارًا[74].

كان ليونيل دومونت زعيمًا لعصابة روبيه (Roubaix) (منطقة في فرنسا). أكمل خدمته العسكرية في جيبوتي، وآمن بالإسلام بعد عودته إلى فرنسا في عام 1993[75]. وشرح في محاكمته كيف كان يُسافر إلى بلدان كثيرة، مستعملًا جوازات سفر مزورة للقاء مقاتلين آخرين. وشملت سفراته إيطاليا وكرواتيا وسلوفينيا وهنغاريا. وفي عام 2002 انتقل إلى آسيا، وظل يتنقل بين ماليزيا واليابان وتايلند وإندونيسيا[76].

على الرغم من شيوع السفر الشخصي بين المقاتلين، فإن آخرين كانت تدفعهم إلى التنقل عوامل خارجية وجمعية، باعثها الشعور أو المفهوم الشائع في ما بينهم بوجود أمة مهدّدة هم جزء منها.

انتسب زكريا موسوي إلى الجامعة في مونبلييه. واستعمل مع آخرين الكافيتيريا مكانًا للقاء، بسبب سوء توزيع في أماكن الإقامة والالتقاء. وكانوا

(71) Nesser, «Jihad in Europe,» p. 46.

(72) Kohlmann, *Al Qaida's Jihad in Europe*, p. 183.

(73) Ibid.

(74) Finn, «Hamburg's Cauldron of Terror».

(75) D. Raizon, «Gang De Roubaix»: Retour en France de Lionel Dumont,» *RFI*, 21/05/2004.

(76) Whitlock, «Trial of French Islamic Radical».

شبّانًا أجانب من بلدان إسلامية، كالمغرب والجزائر ومالي والسنغال وسورية وفلسطين. وعن العلاقة والمحادثات التي كانت تجري في ما بينهم، يتحدث أخوه فيقول:

«كانوا يصرفون وقتهم في تبادل الحديث عن آخر الأخبار الدولية. ومع مرور الأيام، ما عاد زكريا يمضي كثيرًا من الوقت مع أشخاص فرنسيي المولد والنشأة. كان أصدقاؤه الجدد ينشرون سلوكًا متمردًا... ومن دون خوف من الوقوع في أي تناقض، يمكنني القول إنه اكتشف عبر التقارب مع هؤلاء الطلاب نسخة مشوهة من الإسلام. عاش بينهم في جو يتسم بالرغبة في الانتقام... أي صراع في مناطق المسلمين يتخذونه حجة للتمسك بالدعوة إلى القتال والحض عليه... ربما يدعمون قضايا عادلة مثلًا، لكن عبر التلقين والتطرف»[77].

لم يكن أحمد رسام متدينًا في صباه، لكن بعد مجيئه إلى مونتريال بدأ يتردد على مسجد السلام للقاء آخرين من خلفيات مماثلة. كان الجهاد والحاجة إلى الدفاع عن العالم المسلم محط مناقشة أكثر من سواهما من الموضوعات. وكان عبد الرؤوف حناشي، وهو من أعضاء هذه المجموعة، يشجب الغرب ويزعم أنه حصل على التدريب في مخيم خالدين في أفغانستان. جذب المسجد خليطًا من جنسيات بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ممن كانوا يعانون معاناة فردية أو جماعية العزلة أو التهميش[78]. وهُم في هذا يشبهون أعضاء خلية هامبورغ[79] أو خلية مدريد[80]. وكان مسجد فينسبري الذي كان يؤمّه أبو حمزة، الأنموذج الأمثل لجمع هذا التنوع. فمن أنحاء العالم كلها توافد المتطوعون إلى المسجد، ليؤسسوا نسخة عن الأمة غير المنتمية إلى مكان محدد والملتزمة بالإسلام والجهاد التي يطمح أفرادها ودعاتها إلى نشرها

---

(77) Moussaoui, *Zacarias Moussaoui: The Making of a Terrorist*, pp. 83-84.

(78) H. Bernton et al., «The Terrorist Within: The Story Behind One Man's Holy War against America,» *Seattle Times/ PBS*, 07/07/2002.

(79) McDermott, *Perfect Soldiers*.

(80) Jordan & Wesley, «The Madrid Attacks».

عالميًا[81]. وكما يقول أحد عملاء جهاز الاستخبارات البريطاني MI5، وكان يعمل متخفيًا في المسجد: «لم تكن هناك حاجة لديهم تدفعهم للذهاب إلى أفغانستان. فالمسجد كان شبيهًا بمخيم للقاعدة»[82]. وأدت مساجد أخرى، كالمعهد الثقافي الإسلامي في ميلانو والمسجد غير الرسمي في الدائرة التاسعة عشرة في باريس، دورًا مشابهًا.

كان القتال يزود المقاتلين بدليل واضح على وجود الأمة، وعلى كونها تتعرض للتهديد، وأنهم في خضم الدفاع الشرعي عنها، لصد ما تتعرض له من مخاطر وتهديدات. ليس مستغربًا أن يشن السلفيون المقاتلون الجهاد الذي يشغل بالهم ويستولي على تفكيرهم. لكن من الضروري جذب الانتباه إلى تأثير مهم جدًا للجهاد: إنه تأسيس هوية معينة وتأكيدها.

قاتل وديع الحاج في أفغانستان[83]، كما فعل فيروز عباسي الذي سافر إلى هناك عبر باكستان مع جيمس عجامة. واعتُقل هذا الأخير هناك، فسُلّم إلى القوات الأميركية، ونُقل إلى معتقل غوانتانامو[84]. أما الحاج، فاعتُقل لاحقًا ودين بعزمه على قتل مواطنين أميركيين[85]. وتخلى عبد الكريم المجاتي عن أسلوب حياته الغربي، لينضم في منتصف تسعينيات القرن الماضي إلى مقاتلين من أمثاله في البوسنة وأفغانستان[86]. ويُشتبه بأنه شارك في هجمات الدار البيضاء. وقاتل فاتح كامل في هذين البلدين أيضًا[87]. وكان عامر عزيزي من المشاركين في حربي البوسنة وأفغانستان[88].

كما هي الحال مع التدريب والتواصل، فمن الضروري تحويل الوافدين

---

(81) O'Neil & McGrory, *The Suicide Factory*, p. 77.

(82) Dodd, «Inside the Mosque».

(83) Roy, *Globalized Islam*.

(84) BBC, «From Student to Terror Suspect».

(85) O. Zill, «A Portrait of Wadih El Hage-Accused Terrorist,» *PBS Fronline*, 12/09/2001.

(86) C. Whitlock, «Odyssey of an Al. Qaeda Operative,» *The Washington Post*, 02/05/2005.

(87) Bernton et al., «The Terrorist Within».

(88) R. Levings, *Untitled Thesis*, Florida State University, 2006.

الجدد الغرباء حراسًا مدافعين عن الأمة. يقدم أحد الشبان، وهو طالب في برمنغهام، الوصف التالي للصراع في البوسنة:

«عندما تكون في البوسنة، يظن الآخرون (أن القذائف تتساقط حولك، فيما المسلحون يطلقون النار في كل مكان من حولك أيضًا). لكنهم لا يعلمون أننا نتناول الكباب هنا، ونحصل على المثلجات والحلوى. ولا يعلمون أنه يمكننا الاتصال بأي مكان في العالم، وإرسال الفاكس إلى أي مكان. ولا يعلمون أيضًا أن إقامتنا هنا إجازة لنا، خصوصًا عندما نلتقي ببعض أفضل الأشخاص الذين مروا في حياتنا. أشخاص من أنحاء العالم كلها، من البرازيل واليابان والصين والشرق الأوسط وأميركا الجنوبية والشمالية وكندا وأستراليا»[89].

ليست صحة مظاهر الفرح المزعومة الأمر المهم في هذا الوصف، بل المهم هو كيف جمع ذاك الصراع مجموعات متباينة من الناس، وأوجد لديهم شعورًا بأن البيئة التي يعيشون فيها تمثل أنموذجًا لمجتمع أوسع، وأمة يوحدها الإيمان والعدو المشترك. وهذا الشعور يساعد في جعل المخيم صورة مصغرة لمجتمع عالمي، ويعزز هذا المجتمع العالمي[90].

من عناصر الجهاد المثيرة للاهتمام، أن قليلين من المجاهدين يبادرون إلى الجهاد في بلدانهم الأصلية أو في بلدان آبائهم؛ فمفجرو مدريد لم يقاتلوا في المغرب، بل اختاروا التفجير والقتل في مدريد والعراق. ولم يسعَ أعضاء مجموعة هوفستاد لقتال في شمال أفريقيا، بل ذهبوا إلى باكستان[91] والشيشان (أو في الأقل

(89) Abu Ibrahim, وردت في:
Kohlmann, *The Afghan-Bosnian Mujahideen Network in Europe*.

(90) لهذا التضامن أصداء واضحة في منظمات، مثل الألوية العالمية التي شاركت في الحرب الأهلية الإسبانية. وللحصول على دراسة جيدة عن هذه الحرب وعن دور الألوية العالمية فيها، راجع:
H. Thomas, *The Spanish Civil War*, 4th ed. (London: Penguin Books, 2003).
وكثيرًا ما يتم تجاهل حقيقة أن الأجانب الذي قاتلوا إلى جانب اليسار الجمهوري كانوا أقل كثيرًا من أولئك الذين جاءوا لدعم جهد فرانكو. راجع:
C. Othen, *General Franco's International Brigades: Foreign Volunteers and Fascist Dictators in the Spanish Civil War* (London: Reportage Press, 2008).

(91) Richburg, «From Quiet Teen to Terrorist Suspect».

حاولوا الذهاب إلى هناك)[92] والبرتغال[93]. وقرر مصريون وسوريون ويمنيون يعيشون في ألمانيا، عدم مهاجمة أهداف مصرية وسورية ويمنية. لكن بعدما تناقشوا وأعلنوا حماستهم للقتال في مناطق ساخنة معينة، اختاروا نيويورك وواشنطن[94]. وكما يلاحظ روا، «لا يعني مبدأ ‹الوطن الأم› شيئًا لكثير من السلفيين المقاتلين الغربيين... فهم يفضلون الانضمام إلى أمة متخيّلة»[95]؛ فوطنهم هو عملية إسقاط صورة متخيّلة، مَدارها ومداها أنواع من التجارب التي تتغذى من حركة الانتقال والإعلام، ولا تحتاج إلى تجربة جغرافيّة محددة.

حركية الانتقال وإنتاج الإمكان

قدم كتّاب آخرون توضيحات مقنعة لإمكان تأثير حركة الانتقال في المخيال السياسي وطريقة هذا التأثير. فشرح أحد الكتّاب حياة العبيد في موريتانيا، ووصف أناسًا نُقلوا من القرى التي وُلِدوا فيها، ليعيشوا عبيدًا في العاصمة. لكن في المدينة يتحوّل المستحيل ممكنًا ومرئيًا: العبيد المحررون، والنساء غير المحجبات واللواتي يقدن السيارات. يقول بيلز: «في الريف والقرى يمكن تصنيف الجميع ضمن فئات مختلفة: السيد والعبد والتابع والتاجر. أما في المدينة فيختلط الغرباء. ربما يكونون عبيدًا وأسيادًا، وكذلك من الحراطين[96]، أو من العبيد الهاربين أو العبيد السابقين أو موريتانيين أفارقة أو سنغاليين أو غرباء آخرين أو حتى أولئك الناس الأكثر غرابة، أي الأوروبيين. هذا التواصل مع هذه الفئات المنوعة من الناس وعاداتها المختلفة، يقدم آفاقًا جديدة إلى العبيد. فلا يمكن اختصار الوضع العام في أن الناس في الشوارع

(92) D. Crawford & K. Johnson, «New Terror Threat in EU: Extremists with Passports,» *The Wall Street Journal*, 24/12/2004.

(93) R. Leiken, «Europe's Angry Muslims,» *Foreign Affairs*, vol. 84, no. 4 (2005).

(94) McDermott, *Perfect Soldiers*.

(95) Roy, *Globalized Islam*, p. 68.

(96) هم الأحرار السود البشرة. والكلمة أفريقية أو أمازيغية محرفة عن كلمة أحرطن وتعني الخلاسي أو الذي له خؤولة من السودان والعكس صحيح. ويقال في موريتانيا إن أصلها كلمة أحرار طارئين، أي الذين حصلوا على حريتهم حديثًا، وبعضهم يرى أن أصل الكلمة من الحراثين. (المحرر)

ليسوا أسيادًا أو عبيدًا، لأن الأدوار الثقافية كلها تتآكل في العاصمة، حيث يمكن مشاهدة نساء يقدن السيارات، وبعض النساء الموريتانيات اللاتي لا يغطين رؤوسهن. ولن يكون التغيير في حياة العبيد السابقين أو الموريتانيين الأفارقة ثوريًا. لكن العبد الذي خضع للعبودية الصارمة، يعتبر هذا التغيير كبيرًا. فهذا المثال يُظهر للعبيد الهاربين أن في الإمكان عيش الحياة بحرية»[97].

تُعتبر حركة الانتقال ومشاهدة انتقال الآخرين، عاملًا أساسًا في توسيع إمكانات إدراك الذات أو تصوّرها. فاختلاط المرء الذي كان يعتبر نفسه عبدًا في القرية، بآخرين من مهن وأصول وأنماط عيش مختلفة، يوهن بعض القيود التي تفرضها على المخيال قلّةُ الحركة والانتقال.

يلاحظ باحث آخر تأثير «الطريق» في حالة باديارانكي (Badyaranke) في جنوب السنغال، حيث تلا تمدد «الطرق» دخول جماعي في الإسلام. ويشرح أ. وبرايان كيف أدى تطوير النقل إلى تغيير في الفلسفة؛ إذ اعتُبرت القوى الدينية المحلية والأرواح ضعيفة أمام وصول «الطرق» من العالمَ الخارجي، وشعر الناس بأن تصوراتهم السابقة صارت تحت رحمة قوى خارجية[98]. فـ «الطريق» تربط وتوصل وترمز إلى حركة الانتقال، وبعد ذلك تبيّن النقص الكامن في التصورات والمفاهيم السائرة.

تنعكس قلة الانتقال على أشكال تصوّر الناس لأنفسهم وللمجتمعات التي يشكلون جزءًا منها. أما الانتقال المتزايد، فيؤدي إلى إمكانات متزايدة في تكون الهوية الشخصية. وفي حال الانتقال الواسع النطاق، تظهر نزعة لتخطي الحدود الوطنية «في المجتمع المُرسِل وفي المجتمع المتلقي، عبر توسيع الانتماء إلى خارج حدود الإقليم والموطن»[99]. وتقدم هذه العملية فرصًا لتطوير تصنيفات

---

(97) K. Bales, *Disposable People: New Slavery in the Global Economy* (Berkeley: University of California Press, 1999), p. 107.

(98) D. O'Brien, *Symbolic Confrontations* (London: Hurst & Co., 2003), p. 1.

(99) R. Baubock & J. Rundell (eds.), *Blurred Boundaries: Migration, Ethnicity, Citizenship* (London: Ashgate, 1998), p. 26.

انظر أيضًا:

Morley, *Home Territories: Media, Mobility and Identity*, p. 206.

وأيديولوجيات بديلة، حيث «لا يتقيد» بعضها «بأفكار عن الحدود المكانية والسيادة الإقليمية»[100]. ويمكن استبدال تصور محدد لإقليم، بآخر أيديولوجي غير مرتبط بإقليم: إنه المجتمع العالمي للمؤمنين، أي الأمة.

رؤية غير إقليمية - الأمة المقاتلة

تُعتبر الأمة المقاتلة الأساس الأيديولوجي للسلفيين المقاتلين في الغرب، خصوصًا في علاقتهم العدائية مع عدوهم المُفترض: «الغرب». وكما يكتب روا: «لا يقاتل المقاتلون من أجل قضية وطنية معينة. فهم جزء من الجهاد العالمي المعاصر: في البوسنة وأفغانستان والشيشان وكشمير، والآن العراق. والعدو عندهم هو الولايات المتحدة والغرب على وجه العموم. فهم لا يقاتلون لإنشاء دولة إسلامية في العراق أو فلسطين. ولا يهتمون بشبكات التضامن أو جمع التبرعات. ولا يتدخلون في الصراعات والمشكلات العملية الخاصة بالسكان المسلمين في أوروبا... ولم يذهب إرهابيو لندن الذين ينحدرون من أصول باكستانية، إلى كشمير أو وزيرستان لقتال العدو القومي»[101].

حركة الانتقال التي جرى تفصيلها، تسهّل عملية بناء هذه الرؤية غير الإقليمية[102]. وتقوّض عملية الانخلاع من المكان أهمية الفكرة القائلة إنّ الإقليم/ المكان هو المحدد للهوية. وهذا لا يعني أنّ الحركة/ الانتقال يقضي على هذه الفكرة. وربما يتبيّن في كثير من الحالات بأنها تُعزز الرأي القائل بضرورة وجود تطابق بين المكان الذي يقيم فيه الفرد (أين أنا)، وحقيقته الشخصية (من أنا). ومع ذلك تؤدي حركة الانتقال إلى تزايد إمكان تعديل مفهوم الهوية في عملية إنتاج الحياة السياسية. ومن الألغاز الرئيسة في السلفية المقاتلة، اعتبار الأفراد أنهم يرتبطون بآخرين متفرقين، ويعيشون حياة مختلفة

(100) W. Sun, *Leaving China: Media, Migration and Transnational Imagination* (Oxford: Rowman and Littlefield, 2002), p. 116.

(101) Roy, «Britain: Homegrown Terror».

(102) ينقل فرهاد خوسروخافار الادعاء نفسه في كتابه عن الانتحاريين Khosrhokhavar, *Suicide Bombers*, p. 185.

عنهم. وتُعتبر حالات الانتقال الكثيرة في حياتهم (مع مزيد من الانتقال في حياة الناس عمومًا) جزءًا مهمًا من الإجابة عن هذا اللغز. فانخلاعهم المكاني عزز إمكان اعتمادهم رؤية للعالم غير منتمية إلى مكان أو أرض/ إقليم. وساهم ذلك في تمكينهم من تخيّل أنفسهم جزءًا من جماعة عالمية تتجاوز سواها من الجماعات وتتخطاها. ومن الممكن أن يكون ذلك نتاج اختبار حركة انتقال بديلة. وتُعتبر حركة الانتقال الشخصي من العوامل المساهمة بقوة في عملية إعادة التخيّل هذه. والرؤية غير المنتمية إلى أي أرض أو إقليم، التي يعتمدها السلفيون المقاتلون، تعكس الرؤية التجريبية التي اختبرها كثيرون منهم؛ فهي رؤية في شأن مجتمع افتراضي منفصل بشدة عن تصوّرات الأرض/ الإقليم، ومثل هذا المجتمع هو أمة متخيَّلة. وكما كتب سيجمان، «لا يرتبط المجتمع الافتراضي بأي شعب. وهذا شرط يتوافق مع أمة السلفيين الأسطورية»[103]. ولا يهتم السلفيون المقاتلون الغربيون بتقسيم العالم بلدانًا أو انتماءات إقليمية؛ فعالمهم ينقسم «مسلمين وكفار»[104].

نظرًا إلى الإشارات الكثيرة إلى البلدان التي تثير حفيظة السلفيين المقاتلين، لا يبدو غريبًا القول إنّ اهتماماتهم ليست إقليمية؛ إذ لا تنحصر أهمية هذه البلدان في أراضيها الإقليمية. فالدفاع عن أفغانستان والعراق والبوسنة، ليس دفاعًا عنها كبلدان في ذاتها، بل هو دفاع عن الكيان الذي تشكل جزءًا منه. وما يهم هنا هو الأمة وضرورة الدفاع عنها. تبقى هناك أهمية لبعض جوانب الإقليم/ الأرض؛ فعلى سبيل المثال، تتميّز مكة والمدينة بأهمية لدى أولئك الذين يزعمون أنهم يدافعون عن الإسلام ضد أعدائه. ويدفع وجود القوات الأميركية في أنحاء عدة من الشرق الأوسط كثيرين إلى حمل السلاح ودعم القضية السلفية. ومع ذلك، لا يمكن قصر هدف السلفية المقاتلة على الدفاع عن البلدان المسلمة، فرؤية المقاتل للأمة لا تُعنى بأفغانستان (أو أي بلد آخر) ولا تهتم بمحنة المحرومين في البلد الذي استبدل أمراء الحرب بنظام طالبان.

---

(103) Sageman, *Understanding Terror Networks*, p. 161.

(104) Cesari, «Muslims in Europe and the Risk of Radicalism,» p. 101.

المهم هنا هو ملاءمة الصراعات مع الرأي القائل بتقسيم العالم مسلمين وقوى غربية. هذه هي السمة المميزة للهوية الجهادية المقاتلة، أي الصراع العالمي الذي يشكل المسلمون جزءًا منه. وهذا ما يُفسر لماذا تتحوّل أهداف المقاتلين وتتغيّر بسهولة.

يميّز السلفيون المقاتلون أنفسهم في هذا الأمر من معظم المسلمين، ومن غيرهم من الإسلاميين أيضًا. فالدعوات السطحية غير المدروسة لإعادة إنشاء الخلافة، وخلوّها من أي برنامج موضوعي، والمزاعم المتكررة حول الدفاع عن الأمة، تشكل قدَر المقاتلين والإسلاميين الراديكاليين. لا بل إنها قد تكون مناصب يحتلها من هم خارج العالم الإسلامي (والمقصود هنا هو المعنى التقليدي للوجود حيث يشكل المسلمون أغلبية، وليس تصورات السلفيين المقاتلين عن أي مكان يتواجد فيه المسلمون). هذه التطلعات تعتمدها فحسب «جماعات على أطراف الإسلام السياسي أو هوامشه، مثل حركة المهاجرين وحزب التحرير اللذين أسسهما مهاجرون في بريطانيا، ويقع مقرهما الرئيس في لندن، وهما يفتقران إلى قاعدة سياسية مهمة في البلدان الإسلامية»[105].

تُقدم مجموعة هوفستاد مثالًا جيدًا ملائمًا لهذا الرأي؛ إذ رأى أعضاؤها أنّ الهجمات التي شنوها في هولندا هي جهاد عالمي، وتتشابه مع الصراع الذي خاضه مقاتلون من أنحاء العالم ضد الظالمين في البوسنة وأفغانستان والعراق. وحتى أشد السلفيين المقاتلين أمميّة في العالم المسلم الذين يتميزون بوطنية أقل مما يزعمون أو يقترحون[106]، لا يميلون إلى اعتبار هولندا ساحة معركة أساسية في الجهاد العالمي. لكن هذا ما ادّعاه بالضبط أولئك الشبان والشابات من مجموعة هوفستاد. بالنسبة إليهم، ليس من سبب للذهاب إلى الشيشان وباكستان، فالمعركة عالمية ويجب القضاء على الشر في هولندا كما في العراق. وحثّ بعض أعضاء مجموعة هوفستاد

---

(105) M. Ayoob, «The Future of Political Islam: The Importance of External Variables,» *International Affairs*, vol. 81, no. 5 (2005), p. 954.

(106) هذا واضح عند:
F. Gerges, *The Far Enemy: Why Jihad Went Global* (Cambridge University Press, 2005).

رفاقهم المجاهدين في المجموعة على «الانضمام إلى القافلة»، كواجب لا مفر منه، مثلهم في ذلك مثل الأفغان بعد الغزو السوفياتي[107]. واعتمد المقاتلون الهولنديون هذه البدعة، خصوصًا مجموعة هوفستاد، بسبب تراجع دور الانتماء إلى مكان/ إقليم، وأهميته في تحديد الهوية. وليست مجموعة هوفستاد وحدها على هذه الحال.

في كتاب عن السلفية المقاتلة في بلجيكا بين عامي 1995 و2007، يتتبع غرينيارد تحوّل اهتمامها السياسي من اهتمام مُحدد جغرافيًا، كما هو الشأن في الجزائر إلى حد كبير، إلى اهتمام عالمي بشكل متزايد، لتشمل الأمة جميع البلدان، وليخرج الجهاد من الحدود الجغرافيّة[108]. يمكن إضفاء صفة السلفية المقاتلة على هجمات الـ GIA (المجموعة الإسلامية المسلحة) في فرنسا في عام 1995، لكنها كانت أيضًا امتدادًا للصراع بين الجزائر والقوة الاستعمارية السابقة التي استمرت في تأدية دور أساس في الحياة السياسية الجزائرية. مثلت الهجمات في فرنسا خطوة منطقية على طريق السعي للوصول إلى جزائر إسلامية، كما فعل الجيش الجمهوري الإيرلندي، بنقله المعركة إلى الأراضي البريطانية، في سعيه للوصول إلى إيرلندا مستقلة. يختلف هذا النوع من التشدد، مثلًا، عن التشدد الخاص بسليم بخاري أو فؤاد صبور أو عيروبي بندالي أو لامين ماروني. فعلى الرغم من أنهم جزائريون، فهؤلاء المقاتلون لم يهتموا بمتابعة معركة المجموعة الإسلامية المسلحة في فرنسا، بل أرادوا شن حرب إلهية في كل مكان. وسُجن الأربعة بسبب تخطيطهم لتفجير كاتدرائية ستراسبورغ. فقبل الهجوم المقرر بأسابيع، قاموا بتصوير سوق الميلاد الواقعة خارج الكاتدرائية. وساعد في إدانتهم ظهور بخاري على شريط فيديو، قائلًا:

---

(107) انظر:

R. Peters, «Dutch Extremist Islamism: Van Gogh's Murderer and His Ideas,» in: R. Coolsaet (ed.), *Jihadi Terrorism and the Radicalisation Challenge in Europe* (Aldershot: Ashgate, 2008), & Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(108) A. Gringard, «The Islamist Network in Belgium: Between Nationalism and Globalisation,» in: R. Coolsaet (ed.), *Jihadi Terrorism and the Radicalisation Challenge in Europe* (Aldershot: Ashgate, 2008).

«هؤلاء هم أعداء الله. سيحترقون في نار جهنم»[109]. لندن بدورها أوت مجموعة من القادة الإسلاميين، من ألوان وأطياف مختلفة، فاعتمدت برامج خاصة للسكان الآتين من بلادهم. في تسعينيات القرن الماضي انضم إلى هؤلاء القادة أفراد تتأثر تصوراتهم وأعمالهم بالحوادث العالمية، بدرجة أكبر من أي وقت مضى. فالمعركة بالنسبة إليهم لم تكن من أجل بلد معيّن، بل بين العالم المسلم والعالم غير المسلم، أي دار الإسلام ودار الحرب[110].

تدل هذه السيولة في مفهوم الأمة على أنها لا تدين بأهميتها كثيرًا لمفاهيم المكان/ الأرض/ الإقليم، بل للأشخاص (المسلمين الحقيقيين) الموجودين في هذا المكان أو على هذه الأرض/ الإقليم. وكما تبيّن من المثل الهولندي الذي ورد سابقًا، تتراجع مفاهيم المكان والأرض والإقليم لتعتبر المعركة عالمية، وليست بين العالم المسلم والعالم غير المسلم، بل بين المسلم (كما يُعرّفونه) وغير المسلم[111].

حركة الانتقال، الواضحة والممكنة أكثر من أي وقت مضى، يمكنها أن تنتج حالًا من الانفصال عن المكان لدى أولئك الذين يتنقلون، بل حتى لدى أولئك الذين يشاهدونها أو يشهدونها. هذا الشعور بعدم الانتماء ينشئ مرادفًا أو موازيًا أيديولوجيًا بمساعدة وسائط المعلومات الشاملة، خصوصًا بعدما

---

(109) J. Hooper & M. Wainwright, «British-Based Plotters Are Jailed for Market Bomb,» *The Guardian*, 11/03/2003.

(110) دار الإسلام ودار الحرب. لم ترد هاتان العبارتان في القرآن الكريم أو في الحديث.

(111) ليس المقصود هنا جعل الهويات غير المنتمية إلى إقليم محدد بالاستثناء الخاص. وأثبتت الهويات المرتبطة بإقليم/ أرض بأنها أكثر دوامًا في الآونة الأخيرة، لكنها تبقى شكلًا من بين أشكال عدة من الترتيبات السياسية والاجتماعية التي تتميز بتاريخ أطول وأقوى. وتحصل كل واحدة منها على دعم من أوضاع بديلة.

كما تبيّن سابقًا، تشتق الدولة القومية من نوع معين من التخيّل، وليس من تجربة مباشرة. وتُعتبر أوروبا، منشأ الدولة القومية، مثالًا جيّدًا على ذلك. ويُظهر الاطلاع على الخريطة السياسية لأوروبا في القرون الوسطى أنها «لم تكن مقسمة إلى سيادات حصرية، بل إلى إقطاعيات متداخلة ومتغيّرة»؛

G. Clark, *The Seventeenth Century* (New York: Oxford University Press, 1960), p. 28.

تُعتبر تمهيدًا لمزاعم الإسلاميين ومطالبهم اليوم (من بين أمور أخرى)، وبُنيت الهوية على اقتناع أيديولوجي بدلًا من التعايش في الإقليم الواحد.

أصبح التقارب الجغرافي غير ضروري للوصول إلى تقارب اجتماعي. الأمة الناشئة في خيال المقاتلين، واقتناعهم بأنهم يشكلون جزءًا أساسًا منها، هما من تجليات هذه الظاهرة. ونتيجة لحركة الانتقال هذه، جرى جزئيًا تطوير مفهوم خاص عن العالمية، وصارت الأعمال العالمية تؤثر في المحلية. وكلما تزايد تأثير الإعلام وحركة الانتقال في حياة الشبان المسلمين الغربيين، يتزايد احتمال أن يعيدوا تكوين أنفسهم كونهم مجاهدين يخوضون حربًا عالمية[112].

---

(112) «كان الاعتقاد في الوحدة الفعلية للمسيحية، على الرغم من الاختلاف في الشعور بها والتعبير عنها، شرطًا أساسًا للفكر السياسي والحركة السياسية في العصور الوسطى».

G. Mattingly, Renaissance Diplomacy (New York: Dover Publications, 1988), p. 16.

بسبب هذه الأمثلة عن الأمكنة التي لا تحدد الهوية، يقول مايتلاند: «من الجيّد أن نتذكر نظرياتنا الحديثة تتعارض مع القناعات العميقة التي كانت سائدة في العصور الوسطى... ومن الضروري أيضًا أنّ الناس في القرن الثالث عشر لم يعرفوا مفهوم السيادة، ولم يميزوا أو يفصلوا هذا المفهوم عن الواجبات الدينية والأخلاقية».

F. Maitland, *The Constitutional History of England* (Cambridge University Press, 1979), pp. 100-143.

يقول روغي: «تأتي السمة المميزة للنظام الحديث في الحكم من تحويله جماعة الرعايا مقاطعات للسيادة المشروعة، المقسمة إقليميًا والثابتة. وتبدو على هذا النحو أنها فريدة من نوعها»:

J. Ruggie, «Territoriality and Beyond: Problematizing Modernity in International Relations,» *International Organization* , vol. 47, no. 1 (1993), p. 151.

وفي حين أنه لا يوجد شيء طبيعي ودائم في الدولة القومية أو أي وحدة سياسية تعتمد على الأرض/الإقليم، فإن هذه الدولة تبقى الشكل الأكثر شيوعًا في الترتيب السياسي والاجتماعي اليوم. وعلى الرغم من أنّ رفض السلفيين المقاتلين هذا الشكل من الدول ليس غريبًا، فإنه يبقى غير اعتيادي. ولا يتعلق موضوع هذا الكتاب بطبيعية أو دوام الدولة، بل بالأوضاع التي تدعم استبدالها بالنسبة إلى السلفيين المقاتلين. فمن الضروري دراسة كيف جاء هذا التغيير ولماذا. وكما تُظهر دراسة الوحدات السياسية السابقة، لا تعتمد البدائل من الدولة القومية على المستويات الفريدة من حركة الانتقال التي نشهدها اليوم. لكن هذه الحركة أنتجت مع الاضطرابات التي تتبعها أهم الأوضاع المسهلة للترتيبات السياسية.

الفصل السادس

لماذا أنا؟ دور السرديات الأوسع والوسطاء

ترتبط الأفكار الكثيرة عن كيفية ظهور السلفية بالبنى الاجتماعية المتغيرة، وبالدور الخاص والقوي الذي يقوم به كل من الإعلام وحركة الانتقال. وعلى الرغم من أنّ جميع المسلمين في الغرب يواجهون القوى نفسها، تبقى أعداد أولئك الذين ينضمون إلى النضال والكفاح صغيرة جدًّا. فما الذي يفسر رفض الأغلبية الانضمام إلى الحركية النضالية التي يُبدي عدد قليل استعداده للعيش والموت من أجلها؟

في محاولة الإجابة عن هذا السؤال، أعتقد أن كثيرين يزعمون أنّ الاغتراب يؤدي دورًا أساسًا. لكن هذا يبقي الجواب قائمًا على اعتبار العقيدة السلفية المقاتلة مبنية على معتقدات يتبناها المسلمون غير المقاتلين. وعلى الرغم من أن السلفية المقاتلة تتطلب الابتكار من المقاتلين، وكذلك تمجيد العنف الذي ترفضه الأغلبية، لا يمكن أن يكون الأثير مصدر المعتقدات والهويات التي تقع في قلب السلفية المقاتلة هذه، بل تتطوّر انطلاقًا من المجتمعات المسلمة القائمة. هذا الرأي لا يُرحّب به دائمًا، لأسباب مفهومة (عادة لوم المجتمعات الإسلامية أو توبيخها من أولئك الذين يعرفون القليل عنها)، لكنه يبقى رأيًا ملائمًا. فالانطلاق أو الانبثاق من مجتمع أوسع، هو أمر شائع ومشترك بين جميع الفاعلين السياسيين، ويستوجب دراسة لتلك السرديات الأشمل والأوسع. أما صلة هذا الموضوع بالسلفية المقاتلة، فهي وجود مناخ ثقافي إسلامي يتقبل سرديات معينة. ويقوم السلفيون المقاتلون بتجديد هذه السرديات وملاءمتها لوضع خطة من الأعمال السياسية والدينية. أما الجهد الرامي إلى إبعاد الأغلبية العظمى من المسلمين عن أولئك الذين يقتلون من دون تمييز - وهو جهد مفهوم تمامًا - فينبغي ألّا يخفي الحقيقة القائلة «إن

الأطر المحفزة تنشأ من مواد ثقافية موجودة مسبقًا»[1]، وإن جميع الإرهابيين الأفراد، غير الحكومات، هم «أقليات صغيرة ضمن ثقافات سياسية فرعية، أو ثقافات مضادة أوسع»[2]. ينشأ اليساريون المقاتلون من الحركات النقابية وأحزاب العمال، وناشطو حقوق الحيوان من دعاة الرفق بالحيوان ودعاة حماية البيئة. وليست السلفية المقاتلة استثناء؛ فهي تتبع القاعدة السياسية نفسها.

يمكن فهم الكثير من حوادث العنف السياسي، بما فيها السلفية المقاتلة، عبر مراجعة الحوادث التي يُزعم أنها أدت إليها، «انطلاقًا من أن أسبابها حاضرة في الخطابات التفسيرية التي تعلنها جماعات خطابية تقول إن العنف السياسي لا يُبنى على نفسه فحسب، بل إنه يكتسب أيضًا شرعية ذاتية ودعمًا ذاتيًا في آن واحد»[3]. ولنأخذ كتابات تولوليان عن الإرهاب في البيئة الأرمنية مثلًا؛ فهو يقول إن القصص التي تروي تاريخًا مشتركًا مع الآخرين، تظل ضرورية وحاسمة في ما يتعلق بمسألة الهوية وفهم الذات. ثلاث من هذه القصص تُعتبر أساسية: الإبادة التي تعرّض لها الأرمن (وفي كثير من الأحيان أفراد محددون من الأسرة)؛ حكايات عن مآثر فارتان تحديدًا[4] وشهدائه؛ المقاتلون الأرمن الذين اغتالوا بين عامي 1921 و1923 أبرز المسؤولين عن الإبادة. ويعترف كثير من المؤرخين بأنّ القوات التركية قتلت حوالى مليون ونصف المليون من الأرمن. ومات كثيرون سواهم خلال محاولتهم منع هذه الإبادة، فيما قام آخرون بالقتل انتقامًا من حدوث الإبادة. هذه حقائق سياسية، لكن تولوليان يرى أن من الخطأ اعتبار ما يُسمى الإرهاب الأرمني ردة فعل مباشرة على

(1) J. McCarthy, «The Globalization of Social Movement Theory,» in: J. Smith, C. Chatfield & R. Pagnucco (eds.), *Transnational Social Movements and Global Politics: Solidarity Beyond the Sate* (New York: Syracuse University Press, 1997), p. 245.

(2) D. Della Porta, «Introduction: On Individual Motivations in Underground Political Organizations,» in: D. Della Porta (ed.), *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations* (Greenwich: JAI Press, 1992), p. 12.

(3) D. Apter, «Political Violence in Analytical Perspective,» in: D. Apter (ed.), *The Legitimization of Violence* (New York: United Nations Research Institute for Social Development, 1987), p. 11.

(4) في النصف الأول من القرن الخامس، قاتل فارتان ماميغونيان ضد القوات الفارسية التي حاولت إجبار الأرمن على التحوّل من المسيحية إلى المزدكية.

هذه الحقائق التي جُمعت ونُسجت مع أُخرى لخلق سردية عن معنى أن تكون أرمنيًا. تقدم هذه القصص بعد صوغها، «إطارًا لسلسلة سرديات أرمنية أكثر تحديدًا عن البطولة والتضحية الأرمنيتين»[5]. وبناءً على خلفية محيط اجتماعي معيّن، يقوم أعضاء أو أفراد بإضافة معلومات «من سرديات تقليدية، وأساطير وخرافات، يستعين بها المجتمع لتشكيل نفسه ككيان زمني»[6]، وهذا يشمل أولئك الذين حملوا السلاح.

تتحدث ديلّا بورتا في كتابها عن عنف اليسار السياسي في إيطاليا، على المنوال نفسه، عن ضرورة وضع الأيديولوجيا في سياق تاريخي، وضرورة فهم جذورها أو أصلها. وتصف بورتا كيف «نمت الجماعات المسلحة في المنظمات السياسية الشرعية التي اعتنقت أيديولوجيات تبرر العنف»[7]، فتقول:

«يبدو أن الأيديولوجيا قامت بدور أساس في دفع مناضلي بعض المنظمات إلى الإرهاب. غير أنها لم تحدد العمل المسلح خيارًا. ولم يكن المحتوى العام لهذه الأيديولوجيات كتحديد العدو، والرؤية المسبقة للمجتمع في المستقبل، وهلم جرًّا، خاصًّا أو مقتصرًا على المجموعات التي نشأت منها المنظمات الإرهابية. بل على العكس، كانت هذه الأفكار منتشرة في الثقافة اليسارية»[8].

على النحو نفسه لم تظهر السلفية المقاتلة من العدم؛ فهي فرع أيديولوجي منبثق من ثقافات مسلمة أوسع، ولا يُمكن فهمها من دون فهم تلك الثقافات، أو من دون فهم السياق الذي يضع المقاتلون أنفسهم فيه. ينطبق هذا مثلًا على المتمردين في العراق، أولئك الذين يبنون على السرديات الثقافية الشائعة بين

---

(5) K. Tololyan, «Cultural Narrative and the Motivation of the Terrorist,» in: D. Rapaport (ed.), *Inside the Terrorist Organization* (London: Frank Cass, 2001), p. 224.

(6) Ibid, p. 218.

(7) D. Della Porta, «Left Wing Terrorism in Italy,» in: M. Crenshaw (ed.), *Terrorism in Context* (College Park: Pennsylvania State University Press, 1995), p. 122.

(8) D. Della Porta, *Social Movements, Political Violence, and the State: A comparative Analysis of Italy and Germany* (Cambridge University Press, 1995), p. 122.

سكان المناطق التي يسعون إلى الحصول على الدعم منها. وكما يقول حافظ، «لا يعتمد المتمردون العراقيون على الأيديولوجيا فحسب، للحصول على دعم العمليات الاستشهادية، بل يحاولون أيضًا تخطي الانقسامات الأيديولوجية والسياسية، فيستعينون بموضوعات سياسية وعاطفية لها حضورها في ثقافات العرب والمسلمين وتقاليدهم في العراق وحول العالم. وتعتمد روايات المتمردين على ثلاث مسائل: الإذلال والعجز بسبب التواطؤ والخلاص بالإيمان والتضحية. وكثيرًا ما تُقدم هذه المسائل منفصلة، لكنها تُقدم أحيانًا بتسلسل يُراد منه الإشارة إلى أزمة، أو شرح سببي للأزمة، وحلها للتخفيف من معاناة المسلمين»[9].

هذه هي السرديات التي يعتمد عليها المتمردون في العراق. ويستعين السلفيون المقاتلون في الغرب بروايات مختلفة قليلًا.

ثمة تعاطف كبير بين أفراد المجتمعات المسلمة في الغرب مع المزاعم الدينية والسياسية التي يقدمها المقاتلون، وليس مع أساليبهم على وجه العموم. فالمسلمون في الغرب عمومًا، يشاركون المقاتلين الاعتقاد أنّ الغرب يتعامل مع الإسلام والمسلمين تعاملًا غير عادل في أحسن الأحوال، ويشاركونهم أيضًا الإعجاب بشخصيات مهمة في تاريخ دينهم. ورؤية الأغلبية هذه، لا تنطوي بالتأكيد على علاقة صراع حازمة. لكن معظم المسلمين يعتقد أنّ الغرب يعتمد النفاق في شؤون السياسة الخارجية، والعدوانية غير المبررة نحو البلدان التي تضم أغلبية مسلمة. والمنخرطون في الحراك النضالي يعملون على هذه السرديات عملًا محددًا، فيعدلونها ويطورونها. ولا يُقصد هنا مساواة الإسلام بالإرهاب، بل الاعتراف بأن أولئك الذين ينخرطون في الحراك النضالي، يأتون من مجتمعات تنتشر فيها خطابات معينة. ويشدد سيزاري على النقطة نفسها، فيقول: «على الرغم من أنّ آراء المتطرفين تُعتبر عن أقلية بين المسلمين، لكن جاذبية خطابات الكراهية تُعتبر مرآة لبعض المواقف والأيديولوجيات الخاصة

---

(9) M. Hafez, «*Martyrdom Mythology in Iraq: How Jihadists Frame Suicide Terrorism* in Videos and Biographies,» *Terrorism and Political Violence*, vol. 19 (2007), p. 99.

بالمسلمين في الغرب»[10]. ويتمتع جانبان من جوانب البيئة الإسلامية بأهمية خاصة هنا: المظالم السياسية والخطابات الدينية الخاصة وبعض الأفراد داخلها.

المظالم السياسية

يعارض كثير من الناس ما يراه سياسات خارجية وعسكرية غربية تزن بمكيالين من دون مبرر، خدمةً للمصالح الذاتية فحسب. ولا تنحصر هذه المعارضة في المسلمين وحدهم، والمظالم التي يتشاطرها كثير من المسلمين هي أكثر تحديدًا، وهي تتجسّد في الاعتقاد أنّ المسلمين والدول الإسلامية يتعرّضون لظلم بلدان غربية كثيرة وعدوانيتها. ربما تعترض قلة من المسلمين في الغرب (علاوة على المسلمين في أي مكان آخر، وكذلك بالطبع كثير من غير المسلمين) على توصيف كثير من المظالم التي يطرحها السلفيون المقاتلون. والخلاف ليس على التشخيص (على الرغم من العثور على خصوصيات مهمة عند تفحص السرديات المختلفة بالتفصيل)، بل على العلاج الموصوف. وكما يقول أحد المسلمين البريطانيين في مقابلة معه: «إذا سُئل أي مسلم معتدل عمّا إذا كان يريد خروج القوات الأميركية من أرض الإسلام، يكون جوابه مثل جواب أسامة بن لادن... وإذا سألت المسلمين المعتدلين ما إذا كان الرئيس المصري حسني مبارك دكتاتورًا أم لا، فسيكون جوابهم كجواب بن لادن. فالظُّلامة هي نفسها، لكننا نختلف في المنهجية»[11].

وفي وصف شقيق زكريا موسوي ردة فعل أولئك الذين يعيشون في فرنسا على أول غزو أميركي للعراق، يقترح قبول هذه السرديات: «في تلك الفترة لم تتمحور الموضوعات التي ناقشناها، أنا وزكريا، مع طلاب آخرين، حول حرب الخليج فحسب، بل تضمنت الوضع في فلسطين والحرب الأهلية الجزائرية، وهي حوادث حاسمة بالنسبة إلى المسلمين حول العالم. كنا نناقش على امتداد

---

(10) J. Cesari, *Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States* (London: Palgrave Macmillan, 2001), p. 109.

(11) وردت في:

C. Power, «The Lost Generation,» *Newsweek*, 07/08/2005.

ساعاتٍ مشروعية التدخل في العراق. وبالنسبة إلينا لا يحق لصدّام اجتياح بلد آخر، لكن هذا لا يعطي الحق لآخرين بذبح الشعب العراقي... شعرنا بالتقارب مع الشعب الذي يعاني، ليس لأنه يعاني فحسب، بل لأنه شعب مسلم»[12].

ويقول بوضوح في الكتاب نفسه: «كما في حرب الخليج والبوسنة والجزائر وفلسطين وأفغانستان والشيشان... كان المسلمون يتعرضون للاضطهاد في أنحاء العالم كلها. لذا شعرنا بالاشمئزاز. لم يكن زكريا وحيدًا في شعوره هذا. شعر جميع المسلمين الذين في عمرنا، وحتى أولئك الأصغر سنًّا، بالقلق. وعلى المستوى الشخصي أحسوا بالظلم الذي يتعرض له إخوانهم في الدين. ومع تقدمهم في العمر أصبح أولئك الشبان مفرطي الحساسية»[13].

لا شك في أنّ هناك كثيرًا من الاستثناءات، فالثقافة الإسلامية هي بالتأكيد ثقافة منتشرة ومنوعة. هناك أناس لا يشتركون في هذه السرديات الرئيسة، أو لا يقبلون بها. لكن الآراء المذكورة التي عبّر عنها المسلمون البريطانيون، تنتشر انتشارًا واسعًا، كما يظهر لاحقًا. فثمة سرديات إسلامية سائدة حول توحد المسلمين في المعاناة والاضطهاد. هذا ما تظهره ردة فعل «المسلمين العاديين على الإبادة الجماعية في البوسنة. ويظهره أيضًا تخطي الصراعات حدودها الجغرافية في كشمير والشيشان، لتحصل على الدعم من الرأي العام المسلم. وهناك كذلك تحول دعم الفلسطينيين جزءًا من الحس السليم لدى المسلمين من إندونيسيا إلى كندا»[14].

هذا الرأي ليس رأي بعض المسلمين المتحمسين فحسب. فهناك أدلة كثيرة تُظهر بأنه يمثل شريحة واسعة من المجتمعات المسلمة. فذكر تقرير

---

(12) A. Moussaoui, *Zacarias Moussaoui: The Making of a Terrorist*, trans. F. Bouquillat (London: Serpent's Tale, 2003), p. 77.

ملاحظة: في ذلك الوقت لم يكن الأخوان موسوي يُعتبران مسلمَيْن ملتزمَيْن.

(13) Ibid., p. 79.

(14) S. Sayyid, *A Fundamental Fear: Eurocentrism and the Emergence of Islamism*, 2nd ed. (London: Ziad Books, 2003), p. xx.

لمركز تحليل الإرهاب المشترك (JTAC)، قُدم إلى رئيس الوزراء توني بلير قبل تفجيرات تموز/يوليو 2005 بوقت قصير، ثم نُشِر في الصحافة بعد ذلك، أن هناك «خيبة أمل لدى المسلمين البريطانيين من 'المعايير المزدوجة' في السياسة الخارجية للحكومات الغربية»، خصوصًا «من الانحياز الغربي إلى إسرائيل في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي». علاوة على ذلك، «يرى كثير من المسلمين البريطانيين أن 'الحرب على الإرهاب' في العراق وأفغانستان وأمكنة أخرى تشكل 'عدوانًا على الإسلام'»[15]. وفي تصويت للـ ICM /Guardian، سُئِل 500 مسلم بريطاني السؤال التالي: «قال الرئيس بوش ورئيس الوزراء بلير إنّ الحرب على الإرهاب ليست حربًا على الإسلام، فهل توافق على هذا الأمر؟ فلم يوافق ثمانون في المئة»[16].

في الانتخابات التشريعية البريطانية التي جرت في عام 2005، فاز جورج غالاواي في دائرة بيثنل غرين أند بو (Bethnal Green and Bow)، وهزم النائب العمالي في ذلك الوقت في دائرة مؤيدة بقوة لحزب العمال. اختار حزب غالاواي، حزب الاحترام (The Respect Party)، هذه المقاطعة للترشح فيها بسبب احتوائها مجتمعًا مسلمًا كبيرًا، ولأنّ نائبها العمالي أيّد الحرب على العراق. وسيطرت على بيان حزب غالاواي وتصريحاته مسألة السياسة الخارجية البريطانية حيال البلدان المسلمة[17]. ولو لم ينطوِ خطاب المسلمين على شعورهم بأن السياسة الخارجية الغربية تظلم المسلمين، لكانت فشلت خيارات غالاواي السياسية. فهو كان يعلم أن معظم المسلمين يعتبر الحرب على العراق دليلًا على العدوانية البريطانية تجاه البلدان المسلمة[18].

---

(15) R. Norton-Taylor, V. Dodd & H. Muir, «Ministers Warned of Iraq Link to UK Terror,» *The Guardian*, 20/07/2005.

(16) M. Bunting, «Young Muslim and British,» *The Guardian*, 30/11/2004.

(17) انظر:

J. Burns, «Muslim Voters See Their Influence Increase,» *The Financial Times*, 06/05/2005, A. Gillan & H. Muir, «Galloway Victory Blow for Labour,» *The Guardian*, 06/05/2005, & The Respect Party, Peace, Justice, Equality: The Respect Manifesto for the May 2005 Election (2005).

(18) BBC, «Galloway's East End Street Fight,» *BBC News Website*, 06/05/2005, & Gillan & Muir, «Galloway Victory Blow for Labour».

بعد تفجيرات لندن في عام 2005 بوقت قصير، أكد متحدث باسم الرابطة الإسلامية في بريطانيا (MAB) أن هذه الهجمات غير مسوّغة، لكن المظالم التي حفّزت عليها حقيقية جدًا: «اعتذر جاك سترو عن دور بريطانيا في مذبحة سريبرينيتشا. ونحن نرحب بهذا التطوّر، لكن يجب أن تمتد هذه الاعتذارات إلى أدوار بريطانيا الواضحة في المظالم اللاحقة بالعالم المسلم، من المشكلات التي تركها الاستعمار في كشمير إلى تحقيق وعد بلفور في فلسطين»[19].

تجدر الإشارة إلى أن العراق لا يشكل الحافز الوحيد للمقاتلين. فهناك يوغسلافيا والهند/باكستان وفلسطين، ودولٌ أخرى (أي المظالم التي تلحق بالمسلمين). ويقول كمال الهلباوي، وهو من مؤسسي MAB والمجلس الإسلامي في بريطانيا (MCB)، في إحدى المقابلات: «كما قال عمدة لندن كين ليفينغستون، كانت حوادث أفغانستان والعراق وفلسطين سببًا في التشدد ينبغي عدم تجاهله»[20].

تعزز هذا الادعاء بالحجج التي قدمها ممثلو التيارات السياسية والاجتماعية المسلمة؛ ففي أعقاب الاعتقالات التي جرت بسبب مخطط مزعوم لتفجير طائرات متجهة إلى أميركا الشمالية، اتّهم فهد الأنصاري، عضو لجنة حقوق الإنسان الإسلامية، رئيس الوزراء توني بلير باعتماد «حالة نكران مستمرة» لدور

---

(19) O. Saeed, «Back to You, Mr. Blair,» *The Guardian*, 23/07/2005.

تتشابه هذه الآراء مع رأي عمدة لندن، كين ليفينغستون: «شهدنا ثمانين عامًا من التدخل الغربي في الدول ذات الأغلبية المسلمة، بسبب حاجة الغرب إلى النفط... فدعمنا حكومات مرفوضة شعبيًا، وأطحنا أخرى لم تتفق معنا... لو أعطينا العرب ما وعدناهم به في نهاية الحرب العالمية الأولى، أي الحرية وحكومات سيادية، وانسحبنا من الشؤون العربية، واكتفينا بشراء نفطهم بدلًا من السيطرة عليه، لما كنا شهدنا ما نشهده اليوم»:

BBC, «Mayor Blames Middle East Policy,» *BBC News Website*, 25/07/2005.

بالنسبة إلى العمدة في ذلك الوقت، تعود الهجمات على لندن، التي قام بها ثلاثة بريطانيين من أصول باكستانية، وآخر من أصل جامايكي، إلى التدخل البريطاني غير المبرر في الشؤون العربية.

(20) M. Abedin, «How to deal with Britain's Muslim Extremists? An Interview with Kamal Helbawy,» *Terrorism Monitor*, vol. 3, no.7 (2005).

السياسة الخارجية البريطانية في تشدد المسلمين البريطانيين. وأصرّ أنصاري على أنّ على بلير «إدراك العلاقة بين 7 تموز/يوليو والسياسة الخارجية البريطانية»[21]. وأشار نافذ أحمد إلى أن «ثلاثة من النواب المسلمين الأربعة، وثلاثة من أعضاء مجلس اللوردات المسلمين الأربعة، و83 منظمة إسلامية في بريطانيا، بما فيها المجلس الإسلامي والجمعية الإسلامية، بعثوا رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء... يلومون فيها السياسة الخارجية للحكومة»[22].

لأسباب مفهومة، يقوم عدد قليل من الشخصيات الإسلامية العامة بتوضيح فكرة العداء الغربي الدائم للإسلام. فهم لا يرغبون في أن يظهروا وكأنهم يبررون الإرهاب الذي يُعارضونه. لكن إدانتهم الإرهاب يصحبها إصرارهم على أن السياسة الخارجية تفسّر غضب المقاتلين، وتفسّر الأسباب الكامنة وراء أي صراع، لتشمل العراق والبوسنة وأفغانستان وفلسطين وكشمير، والحروب الأخرى التي يكون الغرب والمسلمون الأطراف الرئيسة فيها. وينتقد الصحافي والمعلّق ديفيد أرونوفيتش هذه السردية، معتبرًا «أن أيديولوجية المظالم وسيكولوجيتها عند المسلمين مسؤولتان عن هجمات لندن 2005، وعن عملية التخيّل ‹بأنهم› مسيئون ‹إليك›، كما هما مسؤولتان عن فهم كل حادث على هذا الأساس»[23].

تدعم الاستطلاعات الخاصة بآراء المسلمين الفكرة القائلة إن معاناة المسلمين في العالم سببها العداء الغربي. وكما كتب عناية بونغلاوالا، الأمين العام المساعد للـ MCB، «أظهرت الاستطلاعات المتتالية اقتناع أغلبية المسلمين في العالم بعداء السياسة الخارجية الأميركية والبريطانية لهم، وبلا مبالاة الغرب بإراقة دماء المسلمين»[24]. ولسوء الحظ، لم يجرِ أي مسح للتأكد

(21) J. Sherman, «Community Leaders Are Braced for a Backlash,» *The Times*, 11/08/2006.

(22) N. Ahmed, «Engaging the Enemy Within,» *The Independent*, 13/08/2006.

(23) D. Aaronovitvh, «Nursing a Grievance, Blinded by Narcissism- Such Ordinary Killers,» *The Times*, 19/07/2005.

(24) I. Bunglawala, «It's Undeniable: British Foreign Policy is Endangering All of Us,» *The Times*, 12/08/2006. See also: R. Sylvester & R. Thomson, «Dr. Bari: Government Stoking Muslim Tension,» *The Telegraph*, 19/04/2008. =

من الآراء الحقيقية للمسلمين الغربيين حول العلاقة بين السياسة الخارجية الغربية والمسلمين. لكن هناك دراسات في مجالات تمس هذا الموضوع توضح مثل هذا النوع من الادعاءات وتدعمه؛ فمثلًا، أظهر استطلاع جرى بين المسلمين البريطانيين معارضةً كاسحة للأعمال الإرهابية، كتلك التي حدثت في تموز/يوليو 2005، لكن هناك نسبة أعلى كثيرًا من التعاطف مع الدوافع الكامنة وراء مثل هذه الأعمال. هذا ما دفع السير إقبال سكراني، الأمين العام للـMCB، وصديق خان، النائب عن دائرة توتنغ في لندن، إلى اعتبار أنّ المسلمين البريطانيين يشعرون بألم كبير من السياسة البريطانية الخارجية[25]. وأظهر استطلاع آخر أن أغلبية المسلمين (60 في المئة) في بريطانيا وفرنسا وألمانيا تعتبر أنّ العلاقات ضعيفة بين المسلمين حول العالم والبلدان الغربية. نصف الذين ذهبوا هذا المذهب تقريبًا (49 في المئة)، لام الغرب على هذا الواقع، ولامت أقلية كبرى منهم (25 في المئة) الغرب والمسلمين معًا على هذا الواقع[26]. هذا يعني أنّ أغلبية كبرى من المسلمين الغربيين تحمّل الغرب المسؤولية الكلية أو الجزئية عن المشكلات الكثيرة بين المسلمين والغرب. وكانت نسبة تأييد الولايات المتحدة، وهي مقياس غير دقيق حول سياستها الخارجية، أقل بشكل طفيف بين المسلمين في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا، مما كانت عليه في مصر وتركيا وإندونيسيا وباكستان. وعبّرت أغلبية المسلمين (59 في المئة) من الذين استطلع رأيهم في هذه البلدان الأوروبية الأربعة، عن رأي سلبي حول السياسة الأميركية عمومًا. وتضمنت استطلاعات أخرى تعاطفًا كبيرًا مع الفلسطينيين، ومواقف داعمة لحماس (بما في ذلك الاعتقاد أن لديهم القدرة على تخفيف معاناة الفلسطينيين)، ومستوى واضحًا من الدعم لجهد إيران في تطوير ترسانتها النووية[27].

= ويجب الإشارة هنا إلى أن نائبًا بارزًا، هو خالد محمود، عبّر عن معارضته. انظر:
T. Harper, «Preach in English, Muslim Peer Tells Imams,» *The Telegraph*, 23/07/2007.

(25) P. Hennessy, «Survey's Finding of Growing Anger in the Islamic Community Are Described as «Alarming» by Leading Muslim Labour MP,» *The Telegraph*, 19/02/2006.

(26) Pew Research Center, «The Great Divide: How Westerners and Muslims View Each Other,» 2006.

(27) Pew Research Center, «Muslims in Europe: Economic Worries Top Concerns About Religious and Cultural Identity,» 2006.

إذا كانت نتائج المسح أو الاستطلاعات لا تشكل دليلًا قاطعًا على انتشار سردية إسلامية كبرى عن عداء الغرب للمسلمين، فإنها تُشير إلى أن هذه هي الحال. وهناك سبب لتضمُّن الاستطلاع سؤالًا عن هاتين الجهتين (حماس وإيران)، وليس عن رأي مسلمي حركة فتح والمملكة العربية السعودية، مثلًا وهو أنه عُرِف عن حماس وإيران بقيادة أحمدي نجاد معارضتهما القوية للأجندة الغربية. وعند مزجها بالآراء الخاصة بالسياسة الخارجية الأميركية والشعب الأميركي، تشير نتائج البحث بدقة إلى الخطاب الذي تحدث عنه هذا الكتاب. فهناك معارضة واضحة للإرهاب[28] وشعور قوي بالعداء الغربي. وإذا أراد أولئك الذين شملهم الاستطلاع القيام بأعمال أو تصرفات يحرّمها المجتمع الأوسع، فهذا لا يعني أنهم لا يشاركون هذا المجتمع الأوسع عناصر كثيرة تنطوي على النظرة أو الرؤية نفسها.

الخطاب الديني والأبطال فيه

يُعتبر تبجيل الأبطال والشهداء خصوصًا، العنصر الثاني والمهم في الثقافة الاجتماعية التي ينحدر منها السلفيون المقاتلون، ويتكيفون معها. وكما هي الحال مع المظالم السياسية، تشعر أغلبية المسلمين في الغرب بعاطفة كبيرة تجاه هؤلاء الأبطال الذين يقوم السلفيون المقاتلون بتحويل أو تعديل العِبر التي يقدمونها عنهم. ويضيفون أيضًا شخصيات معاصرة تشبه رسالتها ومثالها رسالتهم ومثالهم.

تقوم منظمات أخرى بالأمر نفسه؛ ففي المنظمات اليسارية الإيطالية خلال ستينيات القرن الماضي، كان «يعزز الولاء للمنظمة بالإشارة إلى أبطال مشتركين»[29]. وهذه هي حال الجمهوريين الإيرلنديين، والدور المركزي الذي

(28) انظر:
Hennessy, «Survey's Finding of Growing Anger in the Islamic Community Are Described as «Alarming» by Leading Muslim Labour MP,» & Pew Research Center, «The Great Divide: How Westerners and Muslims View Each Other».

(29) Della Porta, «Left Wing Terrorism in Italy,» p. 147.

خُصص لبوبي ساندز والمضربين عن الطعام الآخرين[30] (لتُظهر صورهم المعممة أكثر من تشابه طفيف مع الصور المعروفة للمسيح) و«الشهداء» المبجلين في فلسطين. أما في سريلانكا، فكان الناس يزينون مقابر شهداء منظمة النمر الأسود بالورود والزيت، وهذه تقاليد خاصة بالمعابد الدينية عادة[31].

يعتبر معظم الناس في المجتمعات المسلمة في الغرب أن الشخصيات الدينية البارزة، ومنها الشهداء، رجال مكان وزمان معيّنين. هذه الشخصيات وهؤلاء الشهداء يستحقون التقدير والاحترام، لكن الجهد المبذول لتقليدهم ومحاكاتهم يؤدي إلى التقليل من أهميتهم. وعند فئة صغيرة، تساهم هذه الشخصيات بـ«سردية إسقاطية»[32]؛ فقصصها ليست قصصًا عن الشجاعة في الماضي فحسب، بل هي دليل سلوك مستقبلي أيضًا. لذا تنتصب هذه الشخصيات أنموذجًا للشهيد المنتقم الذي يواجه الظالمين، بغية تقليده ومحاكاته بوصفه مثالًا ضروريًا في الزمن الراهن، وكما كان دائمًا.

كي تكون مسلمًا عليك أن تقوم بالجهاد بالطريقة نفسها، وبناءً على الأسباب التي اعتمدها الشهداء في الماضي، وهذا ما يقدمه إلينا مثال الواعظ المناضل أبو حمزة[33].

من مجتمع هذه السردية تنبثق السلفية المقاتلة التي تقوم بتعديل جوانب من السردية لتلائم إنشاء خطاب يسوّغ التشدد ويطالب به. يجب قول المزيد عن هذا الموضوع لشرح أسباب هذه التغييرات، وكيفية إقناع المقاتلين بالتشدد. يقع الجواب الخاص بهذا التساؤل في أشكال تفاعل الناس مع هذه السرديات،

---

(30) انظر:
B. Rolston, «The War of the Walls: Political Murals in Northern Ireland,» *Museum*, vol. 56, no. 3 (2004), & J. Abshire, «Northern Ireland's Politics in Paint,» *Peace Review*, vol. 15, no. 2 (2003).

(31) انظر:
R. Pape, *Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism* (New York: Random House, 2005), p. 149.

(32) Tololyan, «Cultural Narrative,» p. 218.

(33) S. O'Neill & D. McGrory, *The Suicide Factory: Abu Hamza and the Finsbury Park Mosque* (London: Harper Perennial, 2006), p. 85.

وفي الرغبة في أداء دور معيّن في المجتمع الذي يشكل الفرد جزءًا منه، وفي التصرف وفقًا لذلك. فعند السلفية المقاتلة، هذا هو الجهد المطلوب كي يُصبح المرء مسلمًا حقيقيًا.

المسلمون الحقيقيون

يعدّل السلفيون المقاتلون جزءًا من السرديات الإسلامية الأوسع والأشمل لإنتاج سردية كبرى خاصة بهم حول العداء الغربي المتواصل للمسلمين، والحاجة إلى شن جهاد عالمي. أما أعمالهم اللاحقة، فتُعتبر جهدًا لوضع أنفسهم ضمن هذه السردية الكبرى الخاصة. هناك مثال يوضح هذا الأمر؛ فبعد ثلاثة أيام من هجمات مدريد، تلقت محطة التلفزة الإسبانية تيلي مدريد (Telemadrid)، بلاغًا ساعد في العثور على شريط فيديو قرب أكبر جامع في إسبانيا. ظهر في الشريط رجل يقرأ بيانًا، ويؤكد أن الهجمات كانت «ردًّا على الجرائم التي قمتم بها في العالم، خصوصًا في العراق وأفغانستان»، وسيأتي المزيد من الهجمات «إن شاء الله». ويضيف، «إذا لم تتوقفوا عن أعمالكم الظالمة، سيُراق المزيد والمزيد من الدماء، وستكون هذه الهجمات صغيرة جدًّا مقارنةً بما قد يحدث من هجمات إرهابية أخرى»[34]. حتى هذه النقطة كان ذلك التصريح متوقعًا. لكن المثير في هذا الموضوع أنّ المتكلم كان يوسف بلحاج، وهو مغربي، تكنى بأبي دجانة الأفغاني. كان أبو دُجانة سماك بن خرشة من صحابة النبي محمد في القرن السابع. وتميّز بسمعة المحارب الشجاع جدًّا في المعارك والغزوات. وعند اشتداد الأمور عليه كان يعتصب بعصبة حمراء، يسميها الأنصار «عصبة الموت». اعتمد هذا المغربي الذي يعيش في إسبانيا اسم مقاتل أسطوري في تاريخ الإسلام، وجنسية الذين يدعي كثير من المسلمين الغربيين القتال ضدهم، حيث رأى نفسه في هذا الدور. وكان أبو دُجانة الأنصاري الاسم

(34) P. Nesser, «Jihadism in Western Europe after the Invasion of Iraq: Tracing Motivational Influences from the Iraq War on Jihadist Terrorism in Western Europe,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 29 (2006), p. 330.

الحركي لقائد لواء البراء بن مالك التابع للقاعدة في العراق، وهي فرقة من فرق العمليات الانتحارية والتفجير[35].

في عالم السلفيين المقاتلين، كي تكون مسلمًا حقيقيًا وبطلًا من أبطال الجماعة المتخيَّلة، عليك محاكاة قراءات محددة عن الأبطال التاريخيين والحاليين في الإسلام، خلال قيامهم بأعمالهم الجهادية. وكان رجل الدين الراديكالي أبو حمزة مدركًا هذا الأمر. ففي أحد الاجتماعات، جمع عددًا من الشبّان ووعدهم بمجيء ضيف مميّز. فانتظر هؤلاء الشبان بصبر، بينما كان إمامهم يشتكي ويتذمر بأنّ إصابته الجسدية تمنعه من المشاركة في جهاد عنيف. وبعد قليل جاء الضيف.

هرع أعضاء الوفد المرافق لأبي حمزة لمعانقة الرجل صاحب اللحية الكثة، الذي رحب بهم بدوره بحرارة، ثم انحنى لتقبيل وجنتي معلمه. وقام أبو حمزة بتقديم الضيف باسمه الأول، وهو محمد. وشرح الشيخ كيف أثبت محمد أنه مسلم حقيقي من خلال السفر إلى كشمير للتدرب على السلاح، والقيام بالأعمال كلها التي أوصى بها القرآن الشبّان. ثم أخذ محمد الخطوة الإضافية فاشترك في معركة مع إخوانه المسلمين... وفي الساعتين التاليتين شرح الشاب الذي كان في بداية العشرينيات، تجاربه القتالية، وكان يدعم قصصه الحربية بآيات من القرآن[36].

---

(35) Hafez, «Martyrdom Mythology in Iraq,» p. 98.

لا تُعتبر عملية اعتماد اسم حركي لشخصيات رئيسة في المنظمة أمرًا غير عادي. فمثلًا، كان بلال العمراني، وهو عضو في مجموعة هوفستاد، يُعرف باسم أبو قتادة، في إشارة إلى رجل الدين الفلسطيني المناضل الذي كان يعيش في ذلك الوقت في لندن. انظر:

A. Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold,» 2004, at: www.sociosite.org/ jihad_nl_en.php.

وكما يُظهر هذا المثال، في بعض الأحيان يكون التبجيل لشخصيات معروفة في الأوساط المقاتلة. ولا يكون الأبطال المُحتذى بهم معروفين على نطاق واسع، ويُنظر إليهم من خلال عدسة تفسيرية بديلة. ويُعتبر أن جميع هذه الشخصيات، من النبي محمد حتى الشخصيات السلفية المعاصرة، تُقدم المثال نفسه، دفاعًا بطوليًا عن الأمة في وجه العدوان الخارجي.

(36) O'Neill & McGrory, The Suicide Factory, p. 77.

يؤكد أبو حمزة لمستمعيه أنّ هذا هو الأنموذج الصحيح للسلوك الإسلامي؛ فالسلوك الصحيح ليس التقوى ولا الزكاة ولا التأمل بعظمة الله، بل الجهاد ضد أعداء الإسلام، بأسلوب الأبطال التاريخيين الذين اتبع خطاهم محمد الماثل بينهم.

اعترف جمال بغال، وهو فرنسي من أصل جزائري، بمشاركته في مخطط لتفجير السفارة الأميركية في باريس. حاول كثيرًا إقناع الآخرين بأهمية انتهاج مسار المقاتلين. وكان يحب سرد قصة «شهيد» في أفغانستان، يُدعى خالد شهيد. أُصيب خالد في معركة في عام 1996، ورفض تنفيذ تعليمات قائده من طالبان، فبقي في موقعه حاملًا قنابل يدوية، ولم ينسحب مع مجموعته، ليفجر نفسه لاحقًا عندما حاول مقاتلون من تحالف الشمال اعتقاله[37]. على هذا النحو دخل خالد في سرديات السلفية المقاتلة كونه شخصيةً تستحق المحاكاة، ومثالًا للشجاعة والإيمان والصلاح.

قبل هجمات لندن، كتب محمد صديق خان وصيته، ولم تُكشف هذه الوثيقة للجمهور. وتقول القصة الرسمية إن الوصية تركز على ضرورة الشهادة دليلًا على الالتزام الديني، وتتضمن الإهانات المعتادة المعادية للسامية، وتركّز بشدة على الوصية المنشورة لشاب بريطاني قُتِل في القصف الأميركي لتورا بورا في أفغانستان في عام 2001. وبحسب التقرير، مثّل هذا الرجل قدوة لخان، بعدما أظهر استشهاده طريقة حياته[38]. وقال عم أحد المتآمرين معه، وهو شهزاد تنوير، لصحافي باكستاني: إن «أسامة بن لادن كان القدوة والمثال لشهزاد، وكان يُناقش قصة بن لادن مع أولاد عمه ورفاقه في القرية»[39]. وتضمنت لائحة أبطال الإسلامي إد حسين: مولانا المودودي وتقي الدين النبهاني (مؤسس حزب التحرير) وحسن البنا (مؤسس الإخوان

(37) Ibid., p. 87.

(38) Home Office, *Report of the Official Account of the Bombings in London on 7th July 2005* (2006).

(39) D. McGrory & Z. Hussain, «Cousin Listened to Boasts About Suicide Mission,» *The Times*, 22/07/2005.

المسلمين) وسيد قطب. وهؤلاء كانوا رجالًا على استعداد للتضحية بحياتهم من أجل القضية. وبغض النظر عما إذا كان حسين يبالغ في زعمه أن التبجيل والمحاكاة هما «أساس الإسلامية»[40] أم لا، فإنهما يبقيان يشكلان جانبًا مهمًّا من السلفية المقاتلة. أما الرسالة المزعومة التي تقدمها تلك الشخصيات، فهي أنّ «الإسلام الحقيقي يجب أن يكون في حال صراع دائم مع الكفر وجحود الكفار وزندقتهم»[41]. لا ينتج العنف السياسي الجهادي، إذًا، من عزلة شخص معيّن أو اغترابه، بل إنه مظهر من مظاهر رغبة الشخص في إعطاء حياته مركزية أيقونية في عين المجتمع، وهو أمة المؤمنين في هذه الحال[42].

حتى لو قدمت التقارير السابقة عناصر مهمة لفهم أفضل للسلفية المقاتلة، فإنها تبقى غير كاملة. فأولئك الذين يشاركون في الحركية النضالية يعتمدون خطابًا يتضمن نظرة عالمية، ومكانًا للمرء في هذه النظرة، ودافعًا للعنف. ومن الضروري النظر إلى بعض وسائل نشر هذا الخطاب، إذ تقوم الإنترنت بدور أساس هنا. لكن هناك نوعين من الفئات الأخرى التي تقوم بأدوار وسيطة مهمة بين الفرد غير المقاتل والمقاتل الذي يصيره. ونقصد هنا المتعهدين العرقيين - القوميين (ethnonationalists) في شكل دعاة راديكاليين ومجموعات صغيرة من المقاتلين[43]. وسنذكر هنا قائمة غير شاملة للنوعين، يتجاوز مداها أهميتهما. فما يمكن تقديمه هو وصف بعض الأمثلة التي توضح الأدوار الوسيطة القوية. ولا نقصد هنا تقديم قائمة بأهم رجال الدين السلفيين المقاتلين، أو الخلايا المقاتلة، بل نقصد التركيز على أهمية هؤلاء في حياة المقاتلين، وقدرتهم على تقديم سردية كبرى مقنعة للجمهور. ويبدأ هذا الأمر، كما هي الحال في أمور أخرى، مع أبي حمزة المصري.

---

(40) Hussain, *The Islamists*, p. 160.

(41) Ibid., p. 48.

(42) Tololyan, «Cultural Narrative», p. 227.

(43) يعود التركيز عليها إلى نظرية الحركة الاجتماعية (Social Movement Theory) وتركيزها على أهمية المجموعتين والصياغة. انظر:
D. Snow et al., «Frame Alignment Processes, Micromobilization, and Movement Particpation,» *American Sociological Review*, vol. 51 (1986).

وُلِدَ أبو حمزة المصري، واسمه مصطفى كمال مصطفى، في مصر. جاء إلى إنكلترا في عام 1979، فتزوج امرأة إنكليزية، وأصبح مواطنًا إنكليزيًا في عام 1986. ويمضي حاليًا حكمًا بالسجن لسبع سنوات، كما تطالب الولايات المتحدة باسترداده من بريطانيا لمحاكمته على أرضها[44]. وكان قد ارتكب جرائمه حين كان إمامًا لمسجد فينسبري بارك في شمال لندن، بعدما أصبح هذا المسجد تحت إدارته أهم مؤسسة للسلفية المقاتلة في أوروبا.

يشهد المقاتلون الذين يشكلون مجموعة خرِّيجي مسجد فينسبري بارك على شهرته بين الجهاديين الذين يضمّون ريتشارد ريد وزكريا موسوي وكمال بورغاس (دين بالتآمر للتسبب في الإزعاج العام عبر مخطط لصناعة الريسين) وفيروز عباسي (أرسله أبو حمزة إلى مخيمات تدريب في أفغانستان)، وأبو ضحى (يُعرف «بالطبيب»، وساعد في إنشاء مخيم خالدين، وتورط في مخطط لتفجير مطار لوس أنجلوس) ورباح قادري (رئس شبكة «أبو ضحى» بعد اعتقال هذا الأخير) وجمال بغال ونزار طرابلسي[45].

كانت خطب أبي حمزة تُثير المستمعين، حتى إن كثيرًا منها لايزال قيد التداول. ولعل السلطات البريطانية تجاهلت خطبه التي تخلط إنكليزية الشارع بالآيات القرآنية والدعوات لشن الجهاد العنيف، على اعتبار أنها خطب منمقة. لكنها كانت مؤثرة جدًا في جذب الشبان المسلمين إلى القضية السلفية. ويذكر واضعو كتاب عن أبي حمزة ومسجد فينسبري بارك، قصة طالب ذهب إلى المسجد من باب الفضول، فجذبته سمعة الإمام التي تخطت شمال لندن. وبعد ساعة خرج الطالب من المسجد مقتنعًا تمامًا بصحة نهج أبي حمزة وشرعيته، فتغيرت نظرته: «قيل لي إننا سنستمع إلى محارب قديم في الحرب الأفغانية، يتميّز بالشجاعة والتواضع، ولا يهمه المال، وكان متكلمًا رائعًا. وتبيّن أن هذا

---

(44) O'Neill & McGrory, *The Suicide Factory.*

(45) N. Dean & N. Allen, «Finsbury Park Mosque's Terrorist Roll Call,» *The Indepenedent*, 07/02/2006.

الأمر صحيح. فلو كنتَ حديث العهد بالإسلام كما كنت أنا، سيقودك أبو حمزة إلى أشياء أخرى. فهو يُطلق الشرارة الأولى»[46].

تميزت خطبه باختلافات بسيطة. كان يشن هجومًا شفويًا على اليهود، ويقدم أدلة قرآنية تدعم دعوته إلى حمل السلاح، ويعتمد في خطبه على وجود معركة مصيرية بين الخير والشر، بين المسلم وغير المسلم. كان يعتبر أنّ أولئك الذين يأتون ليستمعوا إليه في المسجد، والذين يستمعون أو يشاهدون بث خطبه، جزء من هذه المعركة. وكان يقول لجمهوره من المراهقين إنهم، على الرغم من إقامتهم في برادفورد أو برنلي أو برمنغهام، يحتلون المواقع الأمامية في مواجهة الكفار الذين يعوّقون هدفهم في فرض الشريعة. فهم مقاتلون، كأولئك المقاتلين في الشيشان وأفغانستان، وفي الأماكن الساخنة الأخرى على خريطة الإرهاب[47].

لم تكن رسالته الدعوية تدعو إلى المزيد من الصلاة، أو إلى الانخراط في النشاط السياسي السلمي أو العمل الإنساني، أو في جمع التبرعات للآخرين، شأنه في ذلك شأن معظم الناشطين السياسيين المسلمين. في الواقع، كان يقول إذا خُيّرنا بين إنقاذ حياة أناس مقبلين على الموت جوعًا أو شن الجهاد، فعلينا اعتماد الخيار الثاني. وتأتي خطبة ألقاها في مسجد فينسبري بارك على خلفية الانتفاضة الفلسطينية الثانية في عام 2000، مثالًا على هذا النوع من الخطب.

كان يحتشد في الطبقات الثلاث المخصصة للصلاة أكثر من ألف رجل. أما في الطبقة السفلى فكان يتجمع عدد من النساء للاستماع إلى أبي حمزة عبر مكبرات الصوت، فيما هو يقف في الطبقة الأعلى على منبر خشبي متوجهًا نحو مكة المكرمة. وكانت الانتفاضة، مع صورها القوية (أطفال يرمون الحجارة على الجنود المسلحين والدبابات) أداة قوية لإثارة الجمهور. لكنها لم تكن وحدها، فالكفاح الفلسطيني كان معركة من معارك عدة تواجه الأمة

---

(46) ورد في: O'Neill & McGrory, p. 33.

(47) Ibid., p. 49.

حول العالم. والكفار يضطهدون ضحاياهم المسلمين في كشمير والشيشان. والحكام المرتدون يضطهدون المسلمين في مصر واليمن والمملكة العربية السعودية وغيرها. وليس من حل إلا الجهاد[48].

أما ما أعان أبو حمزة كثيرًا في مهمته، فهو معرفة الناس أنّه لم يحضّ فحسب على الجهاد، بل خاضه بنفسه في الماضي. فهذا الرجل عاش الجهاد وتنفسه. كان يلبس معطفًا وضيعًا شبه عسكري، ويضع عمامة سوداء على رأسه شبيهة بتلك التي كان يضعها عناصر طالبان، ويتنقل مع مجموعة من الحراس والمرافقين، وبيديه المبتورتين يثبت لجمهوره نيته القتال في سبيل الله. كان يحرص على عدم إعلان قصة ثابتة عن إصابته، ما جعل جمهوره يقتنع بأنه قاتل وتحمّل كثيرًا في سبيل الله، فحولته أعماله هذه إلى مسلم حقيقي. وفي ذلك يقول أحد أتباعه: «لم أسمع قط أبا حمزة يتكلم على ذاك النهار (النهار الذي أُصيب فيه). لم يتكلم في الموضوع قط. وحذا حذوه كثير من المحاربين القدامى الآخرين. فهم لا يحبذون التكلم على البطولات والشجاعة الشخصية. لكن ما حدث في ذلك اليوم هو ما جعله الرجل الذي صار، وهو السبب في أنه محبوب جدًّا ومُبجّل»[49].

كان أبو حمزة شخصية عامة. وعلى الرغم من حذره بعض الشيء في ما يخص توقيت خطبه التحريضية، فإن كثيرًا من تسجيلاتها ونصوصها متوافر. فهي تُظهر مركزية رسالته حول تعرض الإسلام للتهديد من كفار معادين بالفطرة، وكيف يقع على عاتق كل مسلم حمل السلاح للدفاع عن الإسلام. وفي إحدى الخطب دعا إلى «القيام بأي شيء لدعم الانتفاضة (الفلسطينية). وإذا كان القتل ضروريًا فاقتلوا، أما إذا كان هناك ضرورة لدفع المال فادفعوا، أو لنصب الكمائن فانصبوها، أو للتسميم فسمموا. فبإمكانكم مساعدة إخوانكم والإسلام بأي طريقة تُريدون وفي أي مكان. فهم جميعهم كُفار [الغرب]، ويتصرفون كونهم جسمًا واحدًا، وعلينا مواجهتهم كجسم واحد»[50].

---

(48) Ibid., pp. 55-56.

(49) ورد في:

O'Neill & McGrory, *The Suicide Factory*, p. 27.

(50) Ibid., pp. 56-57.

أُطلق هذا النداء في خطبة جمعة، ونُشِرَ رسميًا على الإنترنت. ومن الملاحظ أنه لا يتضمن الدعوة إلى الجهاد كردة فعل على العداء الغربي فحسب، بل يستحضر أيضًا شخصيات جهادية أساسية، ويدعو إلى السير على خطاها. وفي مواعظه يحضّ على محاكاة معاصرة لأولئك الأبطال التاريخيين الذين سقطوا شهداء دفاعًا عن الأمة: «تنتشر أيديولوجيا الاستشهاد اليوم في أمتنا [...] رأينا كيف فجّر الاستشهاديون أنفسهم في العراق، ورأينا العمليات الاستشهادية في الرياض ضد المباني الحكومية، حيث يتم تعذيب الناس، وتدنيس شرف المسلمين والمسلمات [...] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ[51] فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 76). قاتل أبو بكر المرتدين[52]، وجعلهم يعترفون في النهاية بأن مصير أمواتهم في جهنم، ومصير شهداء المؤمنين الذين قاتلوا بحسب الشريعة في الجنة. ونحن لا نملك اليوم بأس أبي بكر، لكن مبادئه لم تمت. وبغض النظر عما إذا كان لدينا بأس أم لا، فالمبادئ لا تموت... قال النبي محمد: ‹وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ›. وقال النبي: ‹مَنْ مَاتَ دُونَ دِينِه فهو شَهِيدٌ، ومَنْ مات دُونَ أَهْله، عِياله، عِرْضه فهو شهيدٌ، وَمَنْ مَات دُونَ ماله فهو شَهِيدٌ، ومن مات ظُلْمًا وعُدْوانًا فهو شهيد›. انظروا كيف عدّد الأنواع المختلفة للشهداء، ليمنع الذل عن أمة الإسلام»[53].

يُعتبر أبو حمزة مثالًا ناجحًا لنوع من الوعّاظ المقاتلين الذين كان لهم دور ناجح في نشر الحركية النضالية في الغرب، وفي نشر رسالة عن حتمية الجهاد العالمي وأهميته عند جميع المسلمين. وفي كثير من الحالات، شكّل مثالًا لمن اعتمدوا التشدد في الغرب، لتوجيههم وتشجيعهم على سلوك هذا المسار.

---

(51) الطاغوت هو مُصطلح إسلامي، ويعني وفقًا للتفسير الإسلامي التقليدي، الوثن، أو إبليس أو القوى الشيطانية للشر. ويستعمل الإسلاميون المعاصرون هذا التعبير للإشارة إلى الحكام المسلمين الذين يعتبرونهم منافقين، وبالتالي مرتدين.

(52) أول خليفة للنبي محمد.

(53) A. Hamza, «Transcript of a Friday Sermon,» *MEMRI Website*, 23/04/2004.

ويُعتبر عبد الله الفيصل من هؤلاء؛ فهو آمن بالإسلام، ووُلِدَ لعائلة منتمية إلى جيش الخلاص في جامايكا، واعتبر أبا حمزة معلمه. جال الفيصل في أنحاء بريطانيا لإنشاء حلقات دينية، كتلك التي أدارها صديق خان وآخرون في بيستون. وبالفعل قام بثلاث رحلات لزيارة أولئك الذين نفذوا هجمات لندن في عام 2005. ويُقال إنّ خان طرح في إحدى الزيارات كثيرًا من الأسئلة على هذا الرجل الذي يعتبر نفسه داعية عصاميًا[54]. ومن المعروف أن فيصل مارس نفوذًا كبيرًا على أحد المهاجمين الآخرين، وهو مواطنه الجامايكي الذي دخل بدوره في الإسلام، جيرمان ليندساي[55]. واحتفظ ليندساي وخان بمجموعة كبيرة من محاضرات فيصل المسجلة والتي بيعت في أنحاء البلاد[56].

يُعتبر محمد فزازي شخصية أخرى من الشخصيات التي تمكنت من نشر الرسالة السلفيّة المقاتلة. هو رجل دين مغربي يمضي حاليًا حكمًا بالسجن لثلاثين عامًا، بسبب دوره في هجمات الدار البيضاء. كان يُحاضر في الجهاد العنيف والمتواصل في كل فرصة. وأثبت أنه مؤثر بشكل خاص في جمال زوغام، العضو الأساس في خلية مدريد، الذي كان يرتبط بأبي دادا، قائد خلية للقاعدة في العاصمة الإسبانية.

زار زوغام المغرب كثيرًا، وكان يحضر محاضرات فزازي خلال هذه الزيارات[57]؛ إذ امتد نفوذ فزازي إلى خارج إسبانيا. كان يلتقي أعضاء خلية هامبورغ دوريًا عندما كان يُحاضر في مسجد القدس الواقع في المدينة. وتشير التقارير إلى أنه وجّه جل اهتمامه إلى مجموعة واحدة، لأنه تأثر بمستوى إخلاصها لرسالته، وهو إخلاص فاق ما هو شائع في أمكنة أُخرى[58]. كثير من عناصر هذه الخلية شارك لاحقًا في الهجوم على الولايات المتحدة في عام 2001. وكان من أتباعه أيضًا المسلم البريطاني، المغربي المولد، عبد اللطيف

(54) O'Neill & McGrory, *The Suicide Factory*, p. 272.

(55) Home Office, *Report of the Official Account of the Bombings in London.*

(56) O'Neill & McGrory, p. 272.

(57) M. Townsend et al., «The Secret War,» *The Observer*, 21/03/2004.

(58) McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 87.

ميرون الذي دينَ لدوره في هجمات الدار البيضاء[59]. وعرف فزازي أبا قتادة، منافس أبي حمزة في التشدد في لندن (وفي منصب إمامة مسجد فينسبري بارك سابقًا)[60]. وزعم أشخاص مثل جمال بغال ونزار طرابلسي وكامل داوودي وزكريا موسوي أنهم تأثروا كثيرًا بأبي قتادة خلال مسيرتهم في التشدد[61]. ويُعتبر عبد الناصر بن بريكا الذي أقام في ملبورن، من الذين تأثروا بأبي قتادة، ويُقال إنه اتبعه بعدما سمعه يخطب في أستراليا. وبحسب أحد التقارير، «صرّح أحد المسؤولين المسلمين لصحيفة ذي أوستراليان (*The Australian*) بأن أبا قتادة كان مقاتلًا ومسيّسًا، ولم نسمع من قبل بمثل هذه الأمور. وكان تأثيره كبيرًا، ومن هنا تبدأ الحكاية. وهكذا دخلت أيديولوجية بن بريكا إلى أستراليا. فقبل زيارة أبي قتادة، كان معظم الراديكاليين أشخاصًا عاديين»[62].

كان رضوان العيسى المرشد الروحي لمجموعة هوفستاد. وهو سوري، فشل في الحصول على لجوء سياسي في ألمانيا، فذهب إلى هولندا، وهرب منها يوم مقتل فان غوغ[63]. وأطلع مريديه على كتابات شخصيات حركية نضالية، مثل سيد قطب، وعلى أفكار جديدة عليهم[64]. كان ينضح ثقةً بالنفس، ويمتلك تأثيرًا كبيرًا. وفاقت خبرته خبرة أولئك الذين أسسوا لاحقًا مجموعة هوفستاد.

يكمن قدْر كبير من جاذبيته في الانطباع الذي يتركه بأن لديه خبرة في القتال، وبأنه يشكل مع أولئك الذين تأثروا به جزءًا من الجهاد العالمي. وكان عند أتباعه أنموذجًا للمسلم الحقيقي، وممثلًا عالميًا للأمة، لأنه قاتل، كما هو مُفترض، في سبيل هذه القضية[65].

---

(59) A. Barnett & M. Bright, «Heathrow Worker Jailed For Links with Al-Qaeda,» *The Observer*, 21/03/2004.

(60) Townsend et al., «The Secret War».

(61) C. Amanpour, «Q&A with Muslim Cleric Abu Qatada,» *CNN Website*, 29/11/2001.

(62) C. Cooper, «Suspect Linked to Radical UK Cleric,» *The Times*, 13/11/2005.

(63) Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(64) Peters, Interview with Author, 24/09/2007.

(65) Benschop, Interview with Author, 24/09/2007.

من دون التفاعل مع دعاة راديكاليين، لا يتحوّل إلا قلة من السلفيين المقاتلين إلى الحركية النضالية. فمعظمهم تتميّز سيرهم بالسعي إلى الاتصال بمثل أولئك الدعاة الذين يمثلون قناة مهمة في مسار الحركية النضالية، من دون إمكان اعتبارهم بديلًا من الشروط الأخرى الواردة في الفصول اللاحقة. وفي الواقع يصدر الوعاظ المقاتلون عن القوى نفسها، وينحصر دورهم الذي يعتمد على وسائل الإعلام وحركة الانتقال، في تعزيز الهوية والإقناع بالواجب. أما المزوِّد أو المصدر الآخر للخطاب والسرديات الحركية النضالية، فهو المجموعة.

روح المجموعة

عادةً ما يتحوّل معظم الذين يختارون الحركية النضالية إلى السلفية المقاتلة في إطار مجموعة. فالمجموعات تقوم بدور مهمّ في ترويج الخطاب الذي حددناه وناقشناه أعلاه. وكما هي الحال مع الوعاظ في الحركية النضالية، لا تعمل المجموعات مستقلةً عن العوامل الأخرى. ففي إطار المجموعات تُحمَّل أشرطة فيديو من الإنترنت – نناقش أهميتها لاحقًا – وتُلخص محاضرات الوعاظ المناضلين الحركيين، ومسيرة المنظرين الحركيين. وتُعتبر المجموعات عاملًا مهمًا في تقبّل الخطاب الذي يشكل نواة السلفية المقاتلة. وكما هي الحال مع الوعاظ أيضًا، تتضح أهمية المجموعات من خلال الأمثلة: هامبورغ وبيستون.

هامبورغ

تردد كثير من أعضاء مجموعة هامبورغ، أولئك الذين هاجموا الولايات المتحدة في عام 2001، على مسجد القدس في المدينة؛ إذ كانت رسالة هذا المسجد الأصولية المتصلبة تجذب كثيرين من العرب وغيرهم في العالم، وتجعل المسجد قِبلتهم[66].

---

(66) استعمل طاقم فيلم ألماني في وقت سابق كاميرات مخفية لتسجيل خطبة واعظ يحض على كراهية الغرب. انظر:

The Reporters, Writers and Editors of Der Speigel Magazine, Inside 9-11: What Really Happened (New York: St Martin's Press, 2002), p. 186.

كان هناك انقسام في البيئة التي كانت تستمتع بالاستماع لخطب تتحدث عن «شراسة الجهاد ضد الكفار، الذين أمرنا ديننا بذبحهم»(67)، ودعانا إلى مهاجمة «اليهود وإسرائيل والكفار»(68). وهذا ما أحدث انشقاقًا في صفوف المصلّين، فأخذ المتطرفون يجلسون منفصلين في الجزء الخلفي من المبنى. وعن هذه المجموعة انبثقت النواة الأساس لخلية هامبورغ، وفيها محمد عطا ومروان الشحي وزياد الجراح ورمزي بن الشيبة وزكريا الصبار(69).

كما هي حال المجموعات الأخرى من السلفيين المقاتلين الواردة هنا، كانت المجموعة التي هاجمت الولايات المتحدة متغيّرة وغير مستقرة(70)؛ فالأفراد انضموا إليها لأسباب مختلفة، وغادرها كثيرون بسبب راديكالية بعض أعضائها. واستمر الذين ظلوا في المجموعة يصلون في مسجد القدس وغيره من المساجد، وأسسوا مقرًّا لهم في شقة في شارع مارينستراس - 54، صارت تُعرف بـ «دار الأنصار»(71). ومثل مجموعة القدس، وُصف المستأجرون في مارينتراس بأنهم غير ثابتين تقريبًا. وطوال سنتين اعتبر أكثر من 12 رجلًا الشقة مقرَّ إقامتهم. وكانوا ينتقلون للسكن فيها ويغادرونها وفقًا لحاجاتهم وميولهم(72).

بمرور الوقت تعززت هذه الخلية من ضمن المجموعة التي استعملت الشقة في مارينستراس - 54 كقاعدة. وكان مقاتلون آخرون يأتون لتناول

---

(67) Fazazi, cited in McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 5.

(68) Sheikh Azid Al Kirani, cited in Finn, «Hamburg's Cauldron of Terror».

(69) McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 4.

(70) وصف ماكدرموت (McDermott) للخلية بأنها «صغيرة ومتغيّرة وضئيلة»، ورد في: *Perfect Soldiers*، كان دقيقًا وينطبق على معظم المجموعات المقاتلة.

(71) Ibid., p. 63.

كان بن لادن قد أطلق التسمية نفسها تكريمًا لمنزل يقع خارج بيشاور، واستعمل لاستقبال المتطوعين الجدد في الحرب ضد السوفيات. انظر:

J. Miller, M. Stone & C. Mitchell, *The Cell: Inside the 9/ 11 Plot and Why the FBI and CIA Failed to Stop It* (New York: Hyperion, 2002), pp. 255-256.

(72) McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 64.

الطعام أو لإقامة قصيرة. ومع تراجع عدد الأصوات المعتدلة وغيابها، انضم أعضاء يشاركون محمد عطا وآخرين الآراء نفسها، فأصبح الجهاد موضوع اليوم، وكل يوم. اعتمد هؤلاء الرجال الفكرة الإسلامية القائلة: «المجتمع الإسلامي كالجسد، فإذا أُصيب جزء منه، سيعاني الجسد كله»[73]. أما الرسالة التي تكررت مرارًا وتكرارًا، فهي أن على هؤلاء الرجال، بوصفهم مسلمين حقيقيين، الدفاع عن دينهم وأبناء دينهم المستهدفين. «ففي أسبوع ما يقرر الأعضاء القتال في كوسوفو، وفي الأسبوع الذي يليه في الشيشان أو أفغانستان أو البوسنة. اتفق هؤلاء الرجال على أمر واحد هو القتال، من دون أن يعرفوا في أي حرب»[74]. لكن المنزل صار مركزًا لمجموعة مترابطة.

سادت روح من الأخوّة بين أعضاء المجموعة، «على الرغم من ضراوة خطابهم وتطرّفه. فتشاركوا في السكن والحسابات المصرفية والسيارات. والتزموا مبادئ دينهم بصرامة. وكانوا يصلّون خمس مرات في اليوم، ويتبعون أنظمة غذائية صارمة، ويتناقشون حتى حول الطول الصحيح للحاهم. ويتحدثون باستمرار عن الضرر الذي أنزله بهم اليهود. وللتسلية كانوا يشاهدون أفلامًا عن ساحات المعارك، وينشدون الأغاني عن الشهادة[75].

بيستون

جاء الرجال الذين هاجموا نظام النقل في لندن من أوساط الحركية النضالية المحلية. وعندما اصطدمت الطائرات ببرجي التجارة العالمي، هللت مجموعتهم، وفي اليوم التالي أقاموا حفلة مبتهجين في المناسبة[76]. كان أعضاء هذه المجموعة الراديكالية يلتقون ويتجمعون في عدد من

---

(73) Ibid., pp. 66-67.

هو في الحقيقة حديث منقول عن الرسول، ويقول: مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى. (المحرر)

(74) Ibid., p. 65.

(75) Sageman, *Understanding Terror Networks*, p. 105.

(76) Gilbertson, «When I heard Where The Bombers Were From I Felt Sick».

الأمكنة. لم يجدوا مسجدًا يرحب بآرائهم، فبيستون، البلدة التي جاء منها ثلاثة من المهاجمين، كانت تخلو من مسجد راديكالي، أو من مسجد يشبه مسجد القدس أو فينسبري بارك (على الرغم من أنّ خان وتنوير كانا يأتيان إليه لسماع أبي حمزة) أو المركز الثقافي الإسلامي في ميلانو. ومُنعوا من دخول المساجد المحلية، بسبب اختلاف وجهات نظرهم مع التعاليم السائدة فيها[77]. كانوا يلتقون في مكتبة إقرأ التي جذبت الانتباه بشدة عقب هجمات لندن، والتي أظهرت التحقيقات أنه كان يباع فيها إضافة إلى مجموعة كبيرة من المؤلفات، أشرطة فيديو تُظهر الأهوال التي تعرض لها المجتمع المسلم العالمي على يد القوى الغربية، خصوصًا أشرطة عن الشيشان والبوسنة. وفرت هذه المكتبة مكانًا لاجتماع كثير من الأفراد الذين تحولوا إلى الراديكالية، وكانت أيضًا مكانًا لإلقاء المحاضرات، وإدارة حلقات النقاش. يصف جيلبرستون، موظف تكنولوجيا المعلومات في المكتبة، النقاش الذي كان يجري في المكتبة بقوله:

«كان مارتن (عبد الله) ماكديد[78] المتكلم الرئيس، ويكثر من الصراخ والهذيان. وكجندي سابق في البحرية، كانت لديه معرفة بالأمور العسكرية. وهناك اثنان ممن قاموا بهجمات السابع من تموز/ يوليو، وهما صديق خان وشهزاد تنوير، كانا عاديين جدًّا. لكن محور معظم الكلام في ما بينهم، ومع (إخوانهم)، كان عن الجهاد والمؤامرة اليهودية وزيف الهولوكوست و(الشيطان الأكبر)، أميركا، وتحالف بريطانيا مع الولايات المتحدة الشيطانية. وقد استفزتهم عبارة بوش (الحملة الصليبية)، وأطلقت خطبهم عن (الجهاد)، وكنا نستعملها في العروض التي كنا نقدمها»[79].

---

(77) انظر:

N. Britten & P. Stokes, «Police Extended Raids to an Islamic Bookshop,» *The Telegraph*, 16/07/2005, & P. Tumelty, «New Developments Following the London Bombings,» *Terrorism Monitor*, vol. 3, no. 23 (2005).

(78) جندي سابق في القوات الخاصة البريطانية، وهو الذي آمن بالإسلام.

(79) Gilbertson, «When I Heard Where The Bombers Were From I Felt Sick».

تُعتبر المجموعة المسماة طاقم الملّا (Mullah's Crew) أساسًا في قصة منفذي هجمات لندن. اهتمت هذه المجموعة بتنظيف منطقتها وإعادة المسلمين المحليين إلى «السراط المستقيم». كانت راديكاليتهم مقبولة نوعًا ما في المنطقة بسبب نجاحهم في خفض عدد الجرائم ومنع استعمال المخدرات بين المسلمين الشبان. وكان أعضاء المجموعة يلتقون باستمرار ويتمرنون في نادٍ رياضي (أصبح يُعرف بنادي القاعدة الرياضي) ويشاهدون الأفلام وينظمون المحاضرات والمناقشات عن معاناة المسلمين في العالم. ودربت هذه المجموعة الشبّان للقيام بمهمات تتضمن الجهاد في أفغانستان والعراق[80].

كان يمكن اختيار مجموعات أخرى في مدريد وروما وباريس وأمستردام ولندن وبروكسل، لإظهار مساهمة المجموعات الصغيرة في تطوير خطاب معيّن والعمل وفقًا لذلك؛ فهذه المجموعات السرية تقدم مسارًا خصبًا لنشر السردية الكبرى الخاصة بالسلفية المقاتلة، وأولئك الذين يشتركون في خلايا إرهابية في الغرب يفصلون أنفسهم، موقتًا في الأقل، عن الدائرة الأوسع. إنهم مجموعة منفصلة، وضعت نفسها في طليعة حركة، وتعتمد تفسيرات معيّنة. والعزلة المتزايدة تساعد في قبول الرسائل الراديكالية، خصوصًا مع الانفصال عن الأصوات المعتدلة والآراء المخالفة. هكذا اختار أولئك الرجال في هامبورغ «الذين ربطوا معاناتهم بالإسلام الأصولي، دخول حياة جديدة بدلًا من مسجد جديد أو مذهب جديد، واعتماد تصوّر عالمي جديد، هو في الحقيقة تصوّر لعالم جديد»[81].

داخل مجموعات كهذه تميل القضية الخاصة إلى أن تكون قضية «تستهلك جميع أفرادها»، وتتحوّل «نشاطًا شموليًا»[82]. يشرح أحد الناشطين في أقصى

---

(80) Ibid. انظر أيضًا:

I. Herbert & K. Sengputa, «The Jihadist Who Needed No Brainwashing to Blow up Aldgate Train,» *The Independent*, 10/09/2005.

(81) McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 66.

(82) D. Della Porta, «Political Socialization in Left-Wing Underground Organizations,» in: D. Della Porta (ed.), *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations* (Greenwich: JAI Press, 1992), p. 262.

السياسة اليسارية في ستينيات القرن الماضي: «لم نكن نقوم بأي شيء آخر، سوى أن نمضي من 14 إلى 16 ساعة في اليوم في العمل على منشور، وإنتاج معلومات للإعلام، وتنظيم اجتماعات ومناقشات لدعم إضراب عن الطعام»[83]. ويقول الناشط العدمي الروسي سرغي نشاييف إن «الإنسان الثوري هو شخص سيّئ الطالع، لا توجد لديه مصالح ولا علاقات ولا ارتباطات ولا ممتلكات، ولا حتى اسم. فيذهب كل ما لديه إلى مصلحة حصرية واحدة، وفكرة واحدة، وشغف واحد، أي الثورة»[84]. وفي بعض الحالات، خصوصًا عند أولئك الذين يلجأون إلى العنف، تُصبح المجموعة جزيرة متزايدة الانفصال عن المحيط. وتتطوّر صورة الخصم (الدولة، الغرب، اليهود ...إلخ.) القاسي والعدواني، وتتعزز، وتنتج من ذلك شرعنة اعتماد المجموعة العنف.

يُصبح التضامن بين أعضاء المجموعة مهمًا جدًّا في المجموعات السرية[85]. هذا ما دفع كثيرًا من المعلقين إلى اعتبار ديناميات الولاء والصداقة بين الأعضاء تفسيرًا أساسًا لتحوّل الأفراد إلى الحركية النضالية. اقترح سيجمان مثلًا فرضية «حفنة من الرجال». واستخدم هذا المصطلح لوصف مجموعة تراقبها السلطات في كندا، عبر أجهزة تنصت وضعتها في الشقة الخاصة بها. كانت السلطات تعتبر أعضاء هذه المجموعة مثيرين للشفقة أكثر منهم خطرين؛ فهم عاطلون عن العمل، وليس لديهم صديقات، ويعيشون على الإعانة الاجتماعية أو السرقة، ويقيمون في شقة تفوح منها رائحة السجائر[86]. ويعتبر

---

(83) Ibid., p. 265.

(84) وردت في:
L. Weinberg, «Political and Revolutionary Ideologies,» in: J. Forest (ed.), *The Making of a Terrorist: Recruitment, Training and Root Causes* (Westport: Praeger, 2006), p. 184.

(85) يسبب هذا الأمر نتائج غريبة؛ ففي الاجتماعات التي كانت تعقد في غرفة المعيشة، وينظمها البويري والعيسى، في هولندا، كان هناك شعور عال من التضامن. وقد تم صقل هذا الشعور وتشجيعه عمدًا. فقبل البدء بالدرس الأسبوعي، كان العيسى يجعل زوجته السورينامية تستخرج حليب ثديها، ليشربه الأعضاء الأساسيون في مجموعة هوفستاد التي كان قائدها يريد لهذه الخطوة الرمزية، إظهارهم بأنهم «كأولاده».
Benschop, «Chronicle of a Political Murder Foretold».

(86) Sageman, *Understanding Terror Networks*, p. 101.

سيجمان أنّ الروابط التي تنمو داخل هذه المجموعات هي الجانب الأهم في تفسير الحركية النضالية، فيقول إنّ «الحب الناشئ داخل المجموعة، في مقابل الكره الموجه إلى خارجها، هو التفسير الأفضل» لسلوك الإرهابيين المقيمين في هامبورغ[87]. ويتشابه هذا القول مع رأي كرنشاو القائل «إن الإرهاب ينتج من الديناميات الداخلية للمنظمة وليس من العمل الاستراتيجي»[88]. وعلى الرغم من عدم افتقارها إلى الذكاء، تُعتبر هذه النقاشات متطرفة. فالديناميات الداخلية مهمة، لكن ليس إلى درجة استبعاد كل شيء آخر. ومع ذلك أدت المجموعة دورًا مهمًا في تعزيز الولاء، والحرص على الآخر، وفي تدعيم وجهة نظر عالمية معينة. ففي حالة السلفيين المقاتلين، هناك واجب ديني للدفاع عن المسلمين المهدَّدين من الغرب غير المسلم.

على الرغم من كثرة البحوث المتعلقة بالمجموعات المتطرفة في أوروبا في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته، يبقى البحث الذي قامت به ديلّا بورتا مفيدًا في تناول الجهادية المعاصرة. تقول بورتا: «كلما تزايدت عزلة المجموعات، تصبح أيديولوجياتها أكثر تجريدًا وطقسية وانغلاقًا دون النقاش الواقعي»[89]. هذا وصف سديد، شرط عدم تحوله أمرًا حتميًا. فالروابط الداخلية بين أعضاء المجموعة تحل محل الروابط مع الآخرين خارجها. وعلى سبيل المثال، جمع التعارف زكريا الصبار وياسر بوغلال طوال أكثر من سنة. وعلى الرغم من تباين الميول الدينية بينهما، ظلا صديقين مقرَّبين أحدهما إلى الآخر. لكن صداقتهما انتهت بعد انضمام الصبار إلى السلفية المقاتلة، وامتناع بوغلال عن ذلك. فبالنسبة إلى الصبار، حلّ محمد عطا وآخرون مع أيديولوجياتهم مكان بوغلال[90]. هناك قصة مماثلة لأيسل سنغون. تدهورت علاقة أيسل التي كانت صديقة ثم زوجة زياد الجراح، الطيار الذي قاد الرحلة 93 لليونايتد

---

(87) Ibid., p. 156.

(88) M. Crenshaw, «Theories of Terrorism: Instrumental and Organizational Approaches,» *Journal of Strategic Studies*, vol. 10, no. 4 (1987), p. 19.

(89) Della Porta, «Introduction: On Individual Motivations,» p. 20.

(90) McDermott, *Perfect Soldiers*, p. 66.

إيرلاينز، بعدما نأى الجراح، المناضل المتشدد، بنفسه أكثر فأكثر عن شريكته، ليتقرّب من أولئك الذين شارك معهم في الهجوم. روى ماكدرموت[91] بشكل رائع هاتين القصتين: علاقة الزوجين الجراح، وعلاقة الجراح بخلية هامبورغ، وأعيد التذكير بالقصتين في أثناء محاكمة منير المتصدق[92]. ويمكن ذكر كثير من قصص الولاء للمجموعة والرسالة المركزية في هوية مجموعات في مدريد وبيستون ولندن وباريس وروما وبورتلاند ومونتريال وسواها من الأماكن والسياقات. وتصف بورتا هذه العملية في أثناء حدوثها لدى جيل سابق من الأوروبيين:

«في مجموعة من العلاقات المتبادلة المتصاعدة، يتزايد ارتباط الفرد بصداقات سياسية مع تزايد الوقت الذي يمضيه في النشاط السياسي. وفي الوقت نفسه، يزيد تعزيز روابط الصداقة من القيمة المرتبطة بالمشاركة السياسية، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الروابط الأخرى قدرتها على التأثير المضاد في عملية تكوين الشخصية [...] ويتضمن التزام المقاتلين انعزالًا عن العالم الخارجي، وهو أمر يعزز الولاء للمجموعة الجديدة. ويُصبح الأصدقاء السياسيون أهم الأقران الذين يمكنهم التأثير في أي خيار شخصي»[93].

في مثل هذه المجموعات تتطوّر الأيديولوجيا المتطرفة بسهولة، من دون أن تعوقها الفروق الدقيقة والتناقضات التي قد تضعها موضع التساؤل، لتصبح «قيمًا مميزة وقواعد ومعايير للسلوك»[94]. ورأينا ماهية هذا السلوك والقواعد في حالة السلفية المقاتلة.

يعتمد السلفيون المقاتلون نظرة كونية شاملة قِوامها تفرع ثنائي إلى كيانين

(91) Ibid.

(92) Sageman, *Understanding Terror Netwroks*, p. 156.

(93) D. Della Porta, «Recruitment Processes in Clandestine Political Organizations: Italian Left Wing Terrorism,» *International Social Movement Research*, vol. 1 (1988), p. 163.

(94) M. Crenshaw, «Decisions to Use Terrorism: Psychological Constraints on Instrumental Reasoning,» in: B. Klandermans & D. Della Porta (eds.), *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations* (Greenwich: JAI Press, 1992), p. 31.

متعارضين ومتعاديين. فهم مجبرون، كونهم مسلمين صالحين، على دخول الصراع للدفاع عن الأمة. تعتمد هذه النظرة جزئيًا على القدرة على الغرف من «المنظورات الاجتماعية المترسبة عميقًا»[95] في المجتمعات الإسلامية، وملاءمتها في الآن نفسه مع أداء العالم، وما يجب أن يفعله المسلمون ودورهم في هذا الأداء. هذه العناصر تتحوّل عبر كلمات المقاتلين وأفعالهم، وفي كثير من الأحيان بمساعدة الوعاظ المقاتلين والخلايا الصغيرة التي تؤكد مزاعم الأيديولوجيا الحركية النضالية. فيقوم هؤلاء بمساعدة السلفيين المقاتلين بإعادة تكوين تلك السرديات السائدة، وإعادة تصوّر أنفسهم على أنهم متحدون مع أبناء دينهم البعيدين في صراع عالمي. لكن حتى مع وجوب مراعاة قوة الإقناع لدى أبي حمزة وأمثاله، والآثار النفسية للانتماء إلى جماعات سرية صغيرة، تبقى هذه الأمور غير كافية لتفسير المفارقة المركزية الكامنة في هذه الظاهرة: كيف يمكن رجالًا ونساءً يعيشون حياة مندمجة في الغرب، أن يتصوروا أنفسهم متحدين مع أبناء دينهم البعيدين في معركة ضد جيرانهم؟ يكمل الدعاة الحركيون المناضلون وروح المجموعة، القوى المتحولة لعالم متعولم بشكل متزايد، بدلًا من الحلول مكانها. ويعطي المناضلون الحركيون أنفسهم دورًا في الصراع المزعوم من خلال مشاهدة/ «تجربة» ودمج حوادث بعيدة. ويبقى هذا الأمر صعب التحقيق لولا الإعلام وحركة الانتقال كشرطين من شروط الإمكان.

(95) M. Williams, «Words, Images, Enemies: Securitization and International Politics,» *International Studies Quarterly*, vol. 47, no. 4 (2003), p. 527.

خاتمة

يظهر سؤال مركزي في تحليل السلفية المقاتلة، كما تتجلى في الغرب: كيف يتصور أُناس متفرقون، ويعيشون وفق أساليب عيش مختلفة، أنهم متحدون في عالم يتشكل من قوتين متعارضتين: الإسلام والغرب؟ ركز هذا التحليل على الأوضاع الاجتماعية العالمية لاحتمالات تحوّل السلفية المقاتلة في الغرب إلى مشروع قابل للتطبيق عند كثيرين. من المرجح أن لا تكون هناك فروق كبيرة بين أولئك الذين يكتبون في مجال تفسير السلفية المقاتلة، لكن هذا الكتاب اختلف عن كثير من الكتابات الأخرى في طرحه بديلًا من المقاربات التي تركز على «الأسباب الجذرية الفردية»، وتطويره. استخدمنا في هذه المقاربة المختلفة فكرة المخيال السياسي في عصر الحداثة المعولمة، عبر شرح الشروط الممكنة التي تُسهل الأشكال المحددة لتلك الفكرة. ولا يُعتبر المخيال السياسي فكرة جديدة؛ إذ تميّز بأهمية كبيرة في السياسة، منذ كانت هناك حياة سياسية. لكن المخيال السياسي يستمر في اتخاذ أشكال مختلفة، بتأثره بشروط الإمكان. وتقدم دراسة هذه الأوضاع نظرة إلى المخيال الذي تُسهله، وإلى الحقائق السياسية التي يكوّنها هذا الوهم. ولا شك في أنّ المخيال السياسي يؤدي دورًا محوريًا في حياة السلفيين المقاتلين؛ فتحوّل شاب مُعتدل دينيًا وغير معني بالسياسة، إلى مجاهد يتحد مع آخرين في معركة دينية في العالم، يوصف بالأمر الدراماتيكي المثير. ومن الضروري أن تكون هناك ممارسة للمخيال السياسي لدى هؤلاء الناس الذين تربطهم بالمحيط المقاتل روابط عرضية. ولهذا السبب جرى التركيز على قصة الطيار «المتغرّب» زياد

الجراح (المقصود أنه عاش حياة غربية)، والذي جعلته حياته المعتدلة سياسيًا ودينيًا، يبدو منفصلًا عن القضايا الملهمة للسلفية المقاتلة أكثر من شركائه المتآمرين الذين جاءوا مقاتلين متحمسين من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات للاشتراك في هجمات عام 2001 ضد الولايات المتحدة. وحتى بعد نسيان أغلبية هؤلاء المقاتلين، ستستمر قصص كتلك الخاصة بالجراح تحيّر المراقبين وتُثير اهتمامهم.

في جميع الأحوال، تعتمد الهوية السياسية والعلاقات السياسية على ممارسة المخيال السياسي بدرجة ما. والمثير للفضول هنا، وما يجعل المقاربة المعتمدة في هذا الكتاب ملائمة جدًّا للموضوع، هو أن أولئك الذين اعتمدوا السلفية المقاتلة في الغرب، هم الذين احتاجوا إلى المخيال السياسي لأداء دور خاص وقوي.

تُعتبر سياسة الحنين إلى حقبة ماضية ضرورية للمنتمين إلى هذا النوع من الحركية النضالية. لكن هذه السياسة لا تعتمد على الذاكرة لاستعادة حياة سياسية كانت قائمة أو ممكنة الاستمرار، بل هي عملية يتخيلها المقاتلون، يبنونها ويلتزمون بها. وهي لا تعتمد على الذاكرة والتذكر فحسب، بل على دمج مختلف الحوادث المتفرقة في بناء علاقات سياسية جديدة أيضًا.

تؤسس الأوهام السياسية كلها على عوامل مادية تُشجعها وتحددها وترشدها. ومع أنه لا يُمكن اختزال المخيال السياسي بهذه العوامل الأساس، وهو ما يُسمى الوهم لسبب ما، فإنه يتشكل بوساطة تلك العوامل. هناك عدد غير محدد من هذه العوامل التي تعمل بدرجات متفاوتة، ووفق تركيبات مختلفة، وفي سياقات مختلفة. على هذا النحو يقدم المنظّرون اقتراحات بديلة من الديناميات التي يعتبرونها الأهم[1]. وفي حالة السلفية المقاتلة، هنالك شرطان للاحتمال أو للإمكان، ويتميزان بأهمية قصوى، وهما حركة الانتقال

---

(1) انظر، مثلًا:

A. Appadurai, *Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1996), p. 110, & J. Rosenau, *Turbulence in World Politics* (Princeton University Press, 1990).

والإعلام. تتفاعل هاتان القوتان تفاعلًا ديناميًا متغيّرًا، وتندمجان بأساليب غير متوقعة لإنتاج المخيال السياسي لدى المسلم الذي ينتمي إلى مجتمع عالمي مُهدَّد ومُستهدَف من الغرب، الأمر الذي يستوجب ردًّا عسكريًّا. تنتشر هذه الديناميات وغيرها انتشارًا غير متوقع في العالم، لتندمج مع غيرها من القوى بأساليب تقوّض السياسات الحالية، وتقدم احتمالات بديلة. ووسط الانسياب والتفاعل بين هاتين القوتين المركزيتين في هذه الدراسة، لا يمكن اعتبار افتراقهما مؤشرًا لعلاقتهما الحقيقية؛ فحركة الانتقال تؤثر في الإعلام الذي يؤثر بدوره في حركة الانتقال. هذا وتتفاعل الأنواع المختلفة لكل من الإعلام وحركة الانتقال في ما بينها، ويؤثر بعضها في بعضها الآخر. لكنها تتفاعل كلها أيضًا مع ديناميات مختلفة يفوق عددها القدرة على الدراسة. وقد تم عرض هاتين القوتين لتقديمهما بوضوح كسنَّيْن في شوكة واحدة.

للحصول على تشبيه أكثر واقعية، يُستحسن تقديمهما كتيارين يتدفقان بمستويات وأحجام وفي أعماق مختلفة، ويتصلان لإنشاء تيارات أُخرى ذات طبيعة مختلفة.

ربما يشعر كثيرون بالرعب من صور المعارك في الفلوجة، ويعترضون على الهجوم الذي حصل على أفغانستان في عام 2001، وقد يعتبر بعضهم أن هذه الحوادث جزءًا من العداء الغربي المنظّم للعالم الإسلامي. لكن تبقى هناك حاجة إلى خطوة إضافية لتكوُّنِ سلفي مقاتل. هذه الخطوة ضرورية كي يضع السلفي المقاتل نفسه في قلب المعركة، ولا يتصوّر أنه مجرد مراقب قلق للسياسة العالمية، بل هو قائم بدور مباشر في الصراع الكوني بين قوتين. وهذه الخطوة ضرورية أيضًا ليجد هذا المقاتل أن هناك حاجة إلى الرد العنيف. فعلى السلفيين المقاتلين أن يتصوروا أنفسهم مجاهدين. وما يسمح بهذا كله هو وسائط المعلومات الشاملة وحركة الانتقال.

إذا اكتفينا من التنظير بهذا القدر فحسب، فسيكون هناك شيء عشوائي بشكل مقلق، كما لو أنّ «مجموعة أفكار اجتماعية ومواد عقلية، تسمح للناس بإعادة تخيّل أنفسهم [...] وإعادة النظر في وجودهم الاجتماعي [...]

والتصرف انطلاقًا من نزعة عامة أثيرية»[2]. في هذه القصة ما هو أكثر من القوى الكونية المنتشرة التي تقدم نفسها إلى الناس لتحط عليهم. قيل الكثير، ويمكن قول المزيد عن سبب تأثر السلفية المقاتلة ببعض المكونات أكثر كثيرًا من تأثرها بغيرها (تبقى تلك المكونات التي تتأثر بها قليلة). يكمن الجواب جزئيًا في قدرتها على الاستفادة من المعتقدات ووجهات النظر الخاصة بالحياة السياسية والاجتماعية السائدة في كثير من المجتمعات المسلمة. فالمناخ السياسي العام الذي حوّل المسلمين اليوم إلى «مجتمعات مشتبه بها»[3]، دفع أيضًا كثيرًا من الأطراف المعنية إلى الاستجابة لكل ما يسبب التجانس، وإبراز الجوهر. ويمكن أن يشار، كما يفعل هذا الكتاب، إلى أن الثقافة المسلمة تسيء إلى هذه الحساسيات المفهومة، لكن يجب ألّا تُفهم على هذه الصورة.

تتنوّع المجتمعات المسلمة، مثلها في ذلك مثل المجتمعات الأخرى. لكن يُمكن إيجاد استثناءات لأي مزاعم تُقال عن هذه المجتمعات. فكما هي حال أي مجموعة، لا تحول الاختلافات من دون تحديد القواسم المشتركة العامة. وفي حالة المجتمعات المسلمة، هنالك وجهان للثقافات المتصلة بموضوعنا، لتتحول هذه المعتقدات الرسوبية وتتطور لخلق السلفية المقاتلة.

نقصد هنا فكرة سوء معاملة المسلمين وتبجيل شخصيات معينة. يشكل شعور معظم المسلمين بالظلم حيال سياسات خارجية غير عادلة، الفكرة الأولى. أما ما يشكل الفكرة الثانية، فهو جوهر القصص التاريخي الذي كان يعتبر مهمًا في زمان ومكان مختلفين. لكن ذلك القصص يتميّز بأهمية مجازية في زمننا الراهن.

تحاول السلفية المقاتلة الاستفادة من هذه الخرافات، وتبثّ فيها أهمية معاصرة وحديثة. وهكذا تتحوّل الفكرة القائلة إن المسلمين يدافعون عن أنفسهم، ويدافع بعضهم عن بعض، ويقفون في وجه العدوان، إلى معركة

(2) J. Ruggie, «Territoriality and Beyond: Problematizing Modernity in International Relations,» *International Organization* , vol. 47, no. 1 (1993), p. 151.

(3) P. Hillyard, *Suspect Community* (London: Pluto Press, 1993).

دائمة بين قوى الإيمان الصالح وقوى الكفر. وهكذا تتحوّل القصص الخاصة بالشخصيات التاريخية دروسًا مهمة حول كيفية تصرف المسلم اليوم. (فالمعارك التي خاضتها تلك الشخصيات ما زالت مستمرة من دون توقف في سياسات المقاتلين).

يؤدي الوعاظ المقاتلون والمجموعات المقاتلة دورًا مهمًّا في نشر الرسالة القائلة بأن المسلمين يتعرضون للتهديد، وأن من الضروري مواجهة هذا العنف. وكما لاحظنا، تواصل عدد كبير من المقاتلين مع وعاظ مقاتلين، مثل أبي حمزة ومحمد فزازي وأبي قتادة. أما أولئك الذين لم يتواصلوا مباشرةً مع هؤلاء الوعاظ، فاستمعوا بالتأكيد إلى عظاتهم ومحاضراتهم وشاهدوها. فهي تتوافر في شكل تسجيلات صوتية وأشرطة فيديو وعلى الإنترنت. ونجح هؤلاء الوعاظ نجاحًا كبيرًا في إقناع الأفراد بأن هناك حربًا تُشن على الإسلام، وبأنهم جزء ضروري في هذا الصراع. ومن النادر أن نلقى سلفيًا مقاتلًا لم ينبثق من مجموعة مقاتلة صغيرة، فهذه المجموعات تقدم مساعدة إضافية في عملية تطوير الوهم لدى المقاتلين وتعزيزه. وكما ورد في الفصل السادس، تجري في كثير من الأحيان مشاهدة هؤلاء الوعاظ وسماعهم ومناقشتهم داخل المجموعات الصغيرة التي تنتشر من لندن إلى لشبونة، ومن بروكسل إلى برلين. وفي هذه المجموعات الصغيرة والسرية تُناقش الأهوال المزعومة التي تُصيب المسلمين، وتؤكدها الصور المنشورة والأطروحات الدينية المقاتلة. وترسم المجموعة الخط الفاصل بين المسلم والآخر، وتعزل أعضاءها عن المجتمع الأوسع، لتُشجعهم على تبنّي الإرهاب[4]. هذه هي حال السلفية المقاتلة في الغرب. ولتطوير السلفيين المقاتلين في هذه المجموعات، يُعتمد على الإعلام وحركة الانتقال ومساعدة الوعاظ المقاتلين.

---

(4) هذه سمة من سمات هذه المجموعات، وهي لا تقتصر على مجموعات السلفية المقاتلة فحسب.

انظر، مثلًا:

D. Della Porta, «Political Socialization in Left-Wing Underground Organizations,» in: D. Della Porta (ed.), *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations* (Greenwich: JAI Press, 1992).

تميل الدراسات في شأن الإرهاب والسلفية المقاتلة، بوصفها مجموعة فرعية في هذه الدراسات، إلى التراجع إلى عالم من صنعها الخاص. وهذه عملية سرّعت الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في عام2001 . ويُعتبر هذا الانفصال المفروض على النفس مثيرًا للقلق، لأن هناك إمكانًا لكسب كثير من بعض التنظير الغني والمتطوّر، ومن الرؤى العميقة التي تقدمها السياسة العالمية (وكذلك من علم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ العالمي وعلوم الكمبيوتر والرياضيات ومن خلال نظرية التشابك ...إلخ)[5].

تعتمد عملية فهم السلفية المقاتلة، والإرهاب عمومًا، على القدرة على الوصول إلى هذا الموضوع، واستعمال البحوث التي تكشف الكثير عنه. ويطبّق هذا الكتاب بعض الرؤى المستمدة من علم الاجتماع العالمي، والدراسات الخاصة بالعولمة والسياسة العالمية. وقد تعتمد الكتب والكتابات الأخرى تفضيلات فكرية مختلفة[6]. ويبقى هذا الأمر موضع ترحيب إذ لم يشهد هذا المجال فائضًا من الرؤى النظرية القوية والمدعمة بأدلة تجريبية.

يبقى الاهتمام بالسلفية المقاتلة كبيرًا؛ إذ تضمنت أعداد متتالية من *New York Review of Books* مقالات نقدية عن كتب متعلقة بالسلفية المقاتلة مجموعها خمسة عشر كتابًا (حظي أحد هذه الكتب باهتمام مقالتين)[7]. وتُظهر المقالة التي وردت في المُقدمة من الـ *New York Times*[8]، أنه لا يزال هناك كثير من

---

(5) على سبيل المثال اللافت، انظر:

K. Cetina, «Complex Global Microstructures: The New Terrorist Societies,» *Theory, Culture and Society*, vol. 22, no. 5 (2005).

(6) كما ظهر في أحد المؤتمرات التي أقيمت مؤخرًا، حين قام دعاة المواقف النظرية المختلفة، بما فيها النظرية النقدية والليبرالية والواقعية والبنيوية، بدراسة ما يقوله كل من هذه المواقف والآراء عن الإرهاب. ومنذ ذلك الحين نشرت نُسخ منقحة في متديات:

«Bridge-building and Terrorism,» *International Relations*, vol. 23, no. 1.

(7) A. Rashid, «Jihadi Suicide Bombers: The New Wave,» *New York Review of Books*, 12/06/2008, & M. Ruthven, «The Rise of the Muslim Terrorists,» *New York Review of Books*, 29/05/2008.

(8) E. Sciolino & E. Shmitt «A Not Very Private Feud Over Terrorism,» *New York Times*, 08/06/2008.

الخلافات حول المناقشات الخاصة بمسائل مركزية مرتبطة بهذه الظاهرة. وهناك كثير من المواقف الأكاديمية حول هذا الموضوع، التي تُعتبر دفاعًا غير مُثبت عن موضوع غير معروف. ومن الضروري إيجاد بدائل قوية نظريًا ومدعمة بأدلة تجريبية، أكان من منظور التقدم المعرفي أم من منظور أولئك الذين تتأثر حياتهم سلبًا بالسلفية المقاتلة. فبعد ثلاث سنوات من هجمات عام 2001 على الولايات المتحدة، قال مؤلف الكتاب الأقوى حجةً عن هذه الهجمات في مقدمته: «يستمر القتل، ولا تبدو أي نهاية سعيدة في الأفق. كلما أسرعنا في فهم ما يحدث، كانت لدينا فرصة أفضل للتصدي له. ولن يتسنّى لنا ذلك قبل أن نفهم ما يحدث»[9]. حان الوقت كي نفهم.

---

(9) T. McDermott, *Perfect Soldiers. The 9/ 11 Hijackers: Who They Were, Why They Did It* (New York: Harper, 2005), p. xii.

المراجع

Books

Ahmed, N. *The London Bombings: An Inquiry*. London: Gerald Duckworth, 2006.

Alborw, M. *The Global Age: State and Society Beyond Modernity*. Cambridge: Blackwell, 1996.

Amin, A. (ed.). *Post-Fordism: A Reader*. London: Blackwell, 1994.

Anderson, B. *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London: Verso, 1991.

Ankerson, C. (ed.). *Understanding Global Terror*.

Anonymous. *Through Our Enemies' eyes: Osama BinLaden, Radical Islam and the Future of America*. Washington, DC: Brassey's Inc., 2003.

Anwar, M. *Young Muslims in Britain: Attitudes, Educational Needs and Policy Implications*. Islam in Europe, series 2. Leicester: The Islamic Foundation, 1994.

Appadurai, A. *Fear of Small Numbers: An Essay on the Geography of Anger*. Durham: Duke University Press, 2006.

_______ . *Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1996.

Apter, D. (ed.). *The Legitimization of Violence*. New York: United Nations Research Institute for Social Development, 1987.

Ardent, H. *The Origins of Totalitarianism*. New York: Schocken Books, 2004.

Armstrong, K. *Islam: A Short History*. New York: Modern Library, 2002.

Arquilla, J. & D. Ronfeldt. (eds.). *Networks and Netwars.* Santa Monica: RAND, 2001.

Azzam, A. *Join the Caravan.* London: Azzam Publications, 2001.

Bales, K. *Disposable People: New Slavery in the Global Economy.* Berkeley: University of California Press, 1999.

Barker, J. *The No-Nonsense Guide to Terrorism.* Oxford: New Internationalist, 2003.

Barak-Glanatz, I. & C. Huff (eds.). *The Mad, The Bad and the Different: Essays in Honour of Simon Dintz.* Lexington: Heath, 1981.

Baubock, R. & J. Rundell (eds.). *Blurred Boundaries: Migration, Ethnicity, Citizenship.* London:Ashgate, 1998.

Baxell, R. *British Volunteers in the Spanish Civil War: The British in the International Brigades, 1936-1939.* London: Routledge, 2004.

Beck, U. *What Is Globalization?.* Cambridge University Press, 1999.

Beckford, J., D. Joly & F. Khosrokhavar. *Muslims in Prison.* Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003.

Beinin, J. & J. Stork (eds.). *Political Islam.* Berkeley: University of California Press, 1996.

Benjamin, *W. Illuminations.* London: Pimlico, 1999.

Benschop, A . Interview with Author. 24/09/2007.

Berdal, M. & D. Malone (eds.). *Greed and Grievance: Economic Agendas in Civil Wars.* London: Lynne Rienner, 2000.

Bergen, P. *Holy War Inc.: Inside the Secret World of Osama Bin Laden.* London: Phoenix, 2001.

_______ . *The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of Al-Qaeda's Leader.* New York: Free Press, 2006.

Berman, M. *All That Is Solid Melts into Air.* New York: Penguin, 1988.

Bernard, A. *A Future for the Young: Options for Helping Middle Eastern Youths Escape the Trap of Radicalization.* Santa Monica: RAND, 2006.

Bierstker, T. & S. Eckert (eds.). *Countering the Financing of Terrorism.* New York: Routledge, 2008.

Bird, J. (ed.). *Mapping the Futures: Local Culture, Global Change.* London: Routledge, 1993.

Bjorgo, T. (ed.). *Root Causes of Terrorism: Myths, Reality and Ways Forward.* London: Routledge, 2005.

Bloom, M. *Dying to Win: The Allure of Suicide Terror.* New York: Columbia University Press, 2005.

Bodansky, Y. *Bin Laden: The Man Who Declared War on America.* Roseville: Prima Publishing, 1999.

Booth, K. *Theory of World Security.* Cambridge University Press, 2007.

Bunt, G. *Islam in the Digital Age:E-Jihad, Online Fatwas and Cyber Islamic Environments.* London: Pluto Press, 2003.

Burgat, F. Face to Face with Political Islam. London: I.B. Tauris, 2003.

Burke, J . *Al-Qaeda: Casting a Shadow of Terror.* London: I.B.Tauris, 2003.

_______ . *Al Qaeda: The True Story of Radical Islam.* London: Penguin, 2003.

Buruma, I . *Murder in Amesterdam: The Death of Theo Van Gogh and the Limits of Tolerance.* London: Atlantic Books, 2006.

Buzan, B., O. *Waever and J. de Wilde. Security: A New Framework for Analysis.* Boulder: Lynne Rienner, 1998.

Campbell, D. *Writing Security: United States Foreign Policy and Politics of Identity.* Manchester: University of Manchester Press, 1992.

Campbell, D. & M. Shapiro (eds.). *Revisioning Global Politics.* Minneapolis: University of Minnesota Press,1999.

Camus, A. *The Rebel.* trans. A. Bower. London: Penguin, 1971.

Carnoy, M. *State and Political Theory.* Princeton University Press, 1984.

Cassirer, E. The Individual and the Cosmos in Renaissance Philosophy. trans. Mario Domandi. Oxford: Basil Blackwell, 1963.

Castells, M. *The Power of Identity.* Oxford: Blackwell, 1997.

Castle, S. & M. Miller. *The Age of Migration.* 3rd ed. Basingstroke: Palgrave, 2003.

Cesari, J. *Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States.* London: Palgrave Macmillan, 2001.

Chaeh, P. & B. Robbins (eds.). *Cosmopolitics: Thinking and Feeling Beyond the Nation.* Minneapolis : University of Minnesota, 1998.

Clark, G. *The Seventeenth Century.* New York: Oxford University Press, 1960.

Clark, I. *The Post-Cold War Order: The Spoils of Peace.* Oxford: Oxford University Press, 2001.

Clark, J. (ed.). *Globalizing Civic Engagement.* London: Earthscan, 2003.

Clarke, R. *All Enemies: Inside America's War on Terror.* New York: Free Press, 2004.

Cook, K. & M. Levi (eds.). *The Limits of Rationality.* University of Chicago Press, 1990.

Coolsaet, R. (ed.). *Jihadi Terrorism and the Radicalisation Challenge in Europe.* Aldershot: Ashgate, 2008.

Crenshaw, M. (ed.). *Terrorism in Context.* College Park: Pennsylvania State University Press, 1995.

Danner, M. *Torture and Truth: America, Abu Ghraib, and the War on Terror.* New York: New York Review of Books, 2004.

Davis, F. *Yearning for Yesterday: A Sociology of Nostalgia.* New York: The Free Press, 1979.

Deibert, R. *Parchment, Printing, and Hypermedia: Communication in World Order Transformation.* New York: Columbia University Press, 1997.

Della Porta, D. *Social Movements, Political Violence, and the State: A comparative Analysis of Italy and Germany.* Cambridge University Press, 1995.

_______ . (ed.). *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations.* Greenwich: JAI Press, 1992.

Della Porta, D. & S. Tarrow (eds.). *Transnational Protest and Global Activism.* Lantram: Rowinam and Littlehead, 2005.

Derian, J. Der. *Virtuous War: Mapping the Military-Industrial-Media-Entertainment Network.* Boulder: Westview Press, 2001.

Durkhiem, E. *Suicide: A Study in Sociology.* trans. J. Spaulding. London: Routledge and Kegan Paul, 1957.

Eickelman, D. & J. Piscatori. *Muslims Politics*. Chichester: Princeton University Press, 1996.

_______ . (eds.). *Muslim Travelers: Pilgrimage, Migration, and the Religious Imagination*. London: Routledge, 1990.

Elden, S. *Mapping Present: Heidegger, Foucault, and the Project of Spatial History*. London: Continuum, 2001.

Eriksson, J. & G. Giacomello (eds.). *International Relations and Security in the Digital Age*. London: Routledge, 2007.

Esposito, J. *The Islamic: Threat Myth or Reality?*. Oxford University Press,1999.

_______ . (ed.). *Political Islam: Revolution, Radicalism or Reform*. Boulder: Lynne Rienner, 1997.

_______ . *The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World*. Oxford University Press, 1995.

_______ . *Unholy War: Terror in the Name of Islam*. Oxford University Press.2002.

Euben, R. *Enemy in the Mirror: Islamic Fundamentalism and the Limits of Modern Rationalism*. Princeton University Press, 1999.

Everett. A. & J. Caldwell. (eds.). *New Media: Theories and Practices of Digitexuality*. London: Routledge, 2005.

Febvre, H. Le. *The Production of Space*. trans. D. Nicholson-Smith. Oxford: Basil Blackwell, 1991.

Forrest, J. (ed.). *The Making of a Terrorist: Recruitment, Training and Root Causes*. Westport: Praeger, 2006.

Foweraker, J. *Theorizing Social Movements*. London: Pluto Press, 1995.

Friedman, J. & S. Randeria (eds.). *Worlds on the Move: Globalization, Migration and Cultural Security*. London: I.B. Tauris, 2004.

Fuery, P. & K. Fuery. *Visual Cultures and Critical Theory*. London: Arnold, 2003.

Fukuyama, F. *The End of History and the Last Man*. London: Penguin, 1993.

Gartenstein-Ross, D. *My Year inside Radical Islam: A Memoir*. New York: Tarcher, 2008.

Geertz, C. *The Interpretation of Cultures*. New York: Basic Books, 1968.

_______ . *Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia.* University of Chicago Press, 1968.

George, A. (ed.). *Western State Terrorism.* Cambridge: Polity Press, 1991.

Gerges, F. *The Far Enemy: Why Jihad Went Global.* Cambridge University Press, 2005.

Germain, R. & M. Kenny (eds.). *The Idea of Global Civil Society: Ethics and Politics in a Globalizing Era.* London: Routledge, 2004.

Giddens, A. *Capitalism and Modern Social Theory: An Analysis of the Writing of Marx, Durkheim and Max Weber.* Cambridge University Press, 1971.

_______ . *The Consequences of Modernity.* Cambridge: Polity, 1991.

_______ . *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age.* Cambridge: Polity Press, 1991.

Gitlin, T. *Media Unlimited: How the Torrent of Images and Sounds Overwhelms Our Lives.* New York: Metropolitan Books, 2001.

Goffman, E. *Power and Discontent.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 1974.

Guess, R. & Q. Skinner (eds.). *Cambridge Texts in the History of Political Thought.* Cambridge University Press, 2004.

Gunaratna, R. *Inside Al Qaeda: Global Network of Terror.* London: Hurst, 2002.

Gunning, J. «Terrorist Networks in Europe.» *Muslims in Europe Post 9/11.* Oxford: St Antony's College, 2003.

Hafez, M. *Why Muslims Rebel: Repression and Ressistance in the Islamic World.* Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2003.

Halbwachs, M. *On Collective Memory.* trans. L. Coser. Paris: Presses Universitaires de France, 1992.

Hall, J. *Coercion and Consent: Studies on the Modern State.* Cambridge: Polity Press, 1994.

Hall, M. *Poor People's Social Movement Organizations: the Goal Is to Win.* London: Praeger Publishers, 1995.

Hall, S., D. Held & T. McGrew (eds.). *Modernity and Its Futures.* Cambridge: Polity Press, 1992.

Halliday, F. *Islam and the Myth of Confrontation: Religion and Politics in the Middle East*. London: I.B. Tauris, 1996.

_______ . *Middle East in International Relations: Power, Politics and Ideology*. Cambridge University Press, 2005.

Hannerz, U. *Transnational Connections: Culture, People, Places*. London: Routledge, 1996.

Hansen, L. *Security as Practice: Discourse Analysis and the Bosnian War*. London: Routledge, 2006.

Harvey, D. *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into The Origins of Cultural Change*. London: Blackwell, 1991.

Hill, C. *The Changing Politics of Foreign Policy*. Houndmills: Palgrave, 2003.

Hills, C. & M. Helmers (eds.). *Defining Visual Rhetorics*. Mahwah: Lawrence Erlbaum Associates, 2004.

Hillyard, P. *Suspect Community*. London: Pluto Press, 1993.

Hoffman, B. *Inside Terrorism*. London: Indigo, 1999.

Hoge, J. & G. Rose (eds.). *How Did This Happen? Terrorism and the New War*. Oxford: Public Affairs, 2001.

Hoogvelt, A. (ed.). *Globalization and the Postcolonial World: The New Political Economy of Development*. Basingstoke: Palgrave. 2001.

Horgan, J. *The Psychology of Terrorism*. London: Routledge, 2005.

Huntington, S. *The Clash of Civilization and the Remaking of World Order*. London: Simon & Scutster Ltd., 1997.

Husain, E. *The Islamist*. London: Penguin, 2007.

Ignatieff, M. *Virtual War: Kosovo and Beyond*. London: Chatto and Windus, 2000.

Innis, H. *The Bias of Communication*. University of Toronto Press, 1999.

Jackson, R. *Sovereignty: Evolution of an Idea*. Cambridge: Polity, 2007.

Jay, M. *Downcast Eyes: The Denigration of Vision in Twentieth-Century French Thought*. London: University of California Press, 1997.

Johnson, F. (ed.). *Alienation: Concept, Term and Meaning.* New York: Seminar Press, 1973.

Johnston, H. & D. Klandermans (eds.). *Social Movements and Culture.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995.

Joustra, T. *Jihadis and the Internet.* The Hague: National Coordination for Counterterrorism, 2007.

Juergensmeyer, M. (ed.) *Terror in the Mind of God.* Berkeley: University of California Press, 2000.

Kant, I. *Critique of Pure Reason.* London: Phoenix, 1993.

Keniston, K. *The Uncommitted: Alienated Youth in American Society.* New York: Harcourt, Brace and World, 1965.

Kennedy-Pipe, C. *The Origins of the Present Troubles in Northern Ireland.* Harlow: Addison Wesley Longman, 1997.

Kepel, G. *Allah in the West: Islamic Mivements in America and Europe.* Oxford: Polity, 1997.

_______ . *Jihad: The Trail of Political Islam.* London: I. B. Tauris, 2002.

_______ . *The Roots of Radical Islam.* trans. J. Rothschild. London: Saqi, 2005.

_______ . *The War for Muslim Minds: Islam and the West.* London: Belknap Press, 2004.

Khosrokhavar, F. *Suicide Bombers: Allah's New Martyrs.* trans. D. Macey. London: Pluto Press, 2005.

King, A. (ed.). *Culture, Globalization and the World-System: Contemporary Conditions for the Representation of Identity.* Minneapolis: University of Minnesota Press, (1997).

Klandermans, B. & D. Della Porta (eds.). *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations.* Greenwich: JAI Press, 1992.

Klandermans, B., H. Kriesi & S. Tarrow (eds.). *From Structure to Action: Comparing Social Movement Research across Cultures.* Greenwich: JAI Press, 1996.

_______ . *International Social Movements: From Structure to Action: Comparing Social Movements Research across Cultures.* Greenwich: JAI Press, 1988.

Kohlmann, E. *Al Qaeda's Jihad in Europe: The Afghan-Bosnian Network.* New York: Berg, 2004.

Kramer, M. (ed.). *The Islamism Debate.* Tel Aviv: The Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies (1997).

Kriesberg, L. *Research in Social Movements, Conflict, and Change.* Greenwich: JAI Press, 1984.

Landa, M. De. *A New philosophy of Society.* London: Continuum, 2006.

Laqueur, W. *The Age of Terrorism.* London: Weidenfeld & Nicolson, 1987.

_______ . *The New Terrorism: Fanaticism and the Arms of Mass Destruction.* Oxford: Oxford University Press, 1999.

Lash, S. & J. Urry. *Economies of Signs and Spaces.* London: Sage, 1994.

Laslett, P. & W. Runciman (eds.). *Philosophy, Politics and Society.* Oxford: Basil Blackwell, 1967.

Lebor, A. *A heart Turned East: Among the Muslims of Europe and America.* London: Little, Brown & Company, 1997.

Lerner, D. *The Passing of Traditional Society.* London: Collier-Macmillan, 1958.

Lewis, B. *The Shaping of the Modern Middle East.* Oxford University Press, 1994.

Lewis, P. *Islamic Britain: Religion, Politics and Identity among British Muslims: Bradford in the 1990s.* London: I.B. Tauris, 1994.

Lia, B. *Architect of Global Jihad: The Life of Al-Qaida Strategist Abu Mu'ab al-Suri.* New York: Columbia University Press, 2008.

_______ . *Globalization and the Future of Terrorism: Patterns and Predictions.* New York: Routledge, 2006.

_______ . «Why Terrorism Occurs – a Survey of Theories and Hypotheses on the Causes of Terrorism.» *FFI/RAPPORT* (2000).

Lull, J. *Media, Communication, Culture: A Global Approach.* Cambridge: Polity Press, 2000.

Lynch, J. & G. Wheeler (eds.). *Cultures of Violence.* Oxford: Inter-Disciplinary Press, 2004.

Lyotrad, J. F. *The Post-Modern Conditions: A Report on Knowledge*. Minneapolis: University of Minnesota Press. 1984.

Maitland, F. *The Constitutional History of England*. Cambridge University Press, 1979.

Mandaville, P. *Transnational Muslim Politics: Reimagining the Umma*. London: Routledge, 2001.

Marcson, S. (ed.). *Automation, Alienation, and Anomie*. London: Harper and Row, 1970.

Marty, M. & R. Appleby (eds.). *Accounting for Fundamentalism: The Dynamic Character of Movements*. Chicago: University of Chicago Press, 1994.

_______ . *Fundamentalism Comprehended*. Chicago University Press, 1995.

Mattingly, G. *Renaissance Diplomacy*. New York: Dover Publications, 1988.

McAdam, D., J. McCarthy & M. Zald. (eds.). *Comparative perspectives on Social Movements: Political Opportunities, Mobilising Structures, and Cultural Framings*. Cambridge University Press, 1996.

McClintock, A., A. Mufti & E. Shohat (eds.). *Dangerous Liaisons: Gender, Nation and Postcolonial Perspectives*. Minnealpolis: University of Minnesota Press, 2007.

McDermott, T. *Perfect Soldiers. The 9/ 11 Hijackers: Who They Were, Why They Did It*. New York: Harper, 2005.

McLuhan, M. *Understanding Media*. London: Routledge, 2001.

McQuire, S. *Visions of Modernity: Representation, Memory, Time and Space in the Age of the Camera*. London: Sage, 1998.

McRoy, A. *From Rushdie to 7/7: The Radicalization of Islam in Britain*. London: Social Affairs Unit, 2006.

Merkel, K. (ed.). *Political Violence and Terror: Motifs and Motivations*. Cambridge University Press, 1986.

Merton, R. *Social Theory and Social Structure*. Glencoe: Free Press, 1957.

Meyrowitz. *No Sense of Place: The Impact of Electronic Media on Social Behavior*. Oxford University Press, 1986.

Miles, H. *Al-Jazeera: How Arab TV News Challenged the World.* London: Abacus, 2005.

Miller, J. M. Stone & C. Mitchell. *The Cell: Inside the 9/ 11 Plot and Why the FBI and CIA Failed to Stop It.* New York: Hyperion, 2002.

Milton- Edwards, B. & P. Hinchcliffe. *Conflicts in the Middle East since 1945.* 2nd ed. London: Routledge, 2002.

Mishal, S. & A. Sela. *The Palestinian Hamas.* New York: Columbia University Press, 2000.

Mitchell, R. *The society of the Muslim Brothers.* Oxford University Press, 1993.

Mitchell, W. *Picture Theory: Essays on Verbal and Visual Representation.* Chicago: Chicago University Press, 1994.

Mohghaddam, F. *From the Terrorists' Pint of View: What They Experience and Why they Come to Destroy.* Westport: Preager, 2006.

Moniquet, C. *The Radicalization of Muslim Youth in Europe: The Reality and the Scale of the Threat.* Hearing of the Committee on International Relations Subcommittee.

Morley, D. *Home Territories: Media, Mobility and Identity.* London: Routledge, 2000.

Morris, A. & C. Mueller (eds.). *Frontiers in Social Movement Theory.* New Haven: Yale University Press, 1992.

Moussalli, A. (ed.). *Islamic Fundamentalism: Myths and Realities.* London: Ithaca, 1998.

Moussaoui, A. *Zacarias Moussaoui: The Making of a Terrorist.* trans. F. Bouquillat. London: Serpent's Tale, 2003.

National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States. *The 9/ 11 Commission Report: The Full Final Report of the National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States.* New York: W.W. Norton, 2004.

Nisbet, R. *The Quest for Community.* New York: Oxford University Press, 1953.

Oberschall, A . *Social Conflict and Social Movements.* Upper Saddle River: Prentice-Hall, 1973.

O'Brien, D. *Symbolic Confrontations.* London: Hurst & Co., 2003.

O'Neill, S. & D. McGrory. *The Suicide Factory: Abu Hamza and the Finsbury Park Mosque*. London: Harper Perennial, 2006.

O'Sullivan, N. (ed.). *Terrorism, Ideology and Revolution*. Brighton: Wheatsheaf, 1986.

Othen, C. *General Franco's International Brigades: Foreign Volunteers and Fascist Dictators in the Spanish Civil War*. London: Reportage Press, 2008.

Owen, R. *State, Power and Politics in the Making of the Modern Middle East*. London: Routledge, 1992.

Pape, R. *Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism*. New York: Random House, 2005.

Pearlstein, R. *The Mind of the Political Terrorist*. Wilmington: Scholarly Resources, 1991.

Pedahzur, A. (ed.). *Root Causes of Terrorism: The Globalization of Martyrdom*. London: Routledge, 2006.

Peters. R . Interview with Author. 24/09/2007.

Petito, F. & P. Hatzopoulos (eds.). *Religion in International Relations from Exile*. Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003.

Priven, F. & R. Cloward. *Poor People's Movements: Why They Succeed, Hoe They Fail*. New York: Vintage Books, 1979.

Postman, N. *Amusing Ourselves to Death: Public Discourse in the Age of Show Business*. New York: Penguin, 1984.

Qutb, S. *Milestones*. Delhi: Islamic Book Service, 2006.

Ramadan, T. *Western Muslims and the Future of Islam*. Oxford University Press, 2005.

Ranstrop, M. (ed.). *Mapping Terrorism Research*. London: Routledge, 2005.

Rantanen, T. *The Media and Globalization*. London: Sage, 2005.

Rapaport, D. (ed.). *Inside the Terrorist Organization*. London: Frank Cass, 2001.

Rashid, A. *Jihad the Rise of Militant Islam in Central Asia*. New Haven: Yale University Press, 2003.

Reeve, S. *The New Jackals : Ramzi Yousef, Osama Bin Laden and the Future of Terrorism*. London: André Deutsch, 1999.

Reich, W. (ed.). *Origins of Terrorism: Psychologies, Ideologies, Theologies, State of Mind*. Cambridge University Press, 1990.

Reinares, F. (ed.). *European Democracies Facing Terrorism: Government Policies and Supranational Cooperation*. Aldershot: Ashgate, 2001.

The Reporters, Writers and Editors of Der Speigel Magazine, Inside 9-11: What Really Happened. New York: St Martin's Press, 2002.

Respect Party. *Peace Justice, Equality: The Respect Manifesto for the May 2005 Elections*, 2005.

Richardson, I. *What Terrorists Want: Understanding the Terrorist Threat*. London: John Murray, 2006.

Robertson, R. Globalization: *Social Theory and Global Culture*. London: Sage, 1992.

Robin, C. *Fear: The History of a Political Idea*. Oxford University Press. 2004.

Robinson, A. *Bin Laden: Behind the Mask of the Terrorist*. Edinburgh: Mainstream Publishing, 2001.

Rorty, R. *Objectivism, Relativism and Truth: Philosophical Papers*. 1. Princeton University Press, 1991.

Rosenau, J. *Distant Proximities: Dynamics Beyond Globalization*. Princeton University Press, 2003.

_______ . *Turbulence in World Politics*. Princeton University Press, 1990.

Roy, O. *The Failure of Political Islam*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1994.

_______ . *Globalized Islam: The Search for a New Ummah*. London: Hurst, 2004.

Rutherford, J. (ed.). *Identity: Community, Culture, Difference*. London: Lawrence and Wishart, 1990.

Sageman, M. *Leaderless Jihad: Terror Networks in Twenty-First Century*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2007.

_______ . *Understanding Terror Networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004.

Saikal, A. *Islam and the West*. Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003.

Statre, J.-P. *Notebooks for an Ethics*. University of Chicago, 1992.

Sayyid, S. *A Fundamental Fear: Eurocentrism and the Emergence of Islamism*. 2nd ed. London: Ziad Books, 2003.

Schacht, R. *Alienation*. London: Allen and Unwin, 1971.

Schmid, A. & A. Jongman. *Political Terrorism*. 2nd ed. Oxford: North-Holland Publishing Company, 1988.

Scholte, J . *Globalization: A Critical Introduction*. Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2005.

Schroeder, W. *Sartre and His Predecessors: The Self and the Other*. London: Routledge & Krgan Paul, 1984.

Schulze, R. *A Modern History of the Islamic World*. London: I.B. Tauris, 2002.

Schwartz, D. (ed.). *Political Alienation and Political Behavior*. Chicago: Aldine Publishing Company, 1973.

Sen, A. *Identity and Violence: The Illusion of Destiny*. London: Allen Lane, 2006.

Shapiro, M. *Violent Cartographies: Mapping Cultures of War*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1997.

Sidahmed, A. & A. Ehtshami (eds.). *Islamic Fundamentalism*. Boulder: Westview Press, 1996.

Sifaoui, M. *Inside Al Qaeda: How I Infiltrated the World's Deadliest Terrorist Organization*. New York: Thunder's Mouth Press.

Silke. A. (ed.). *Research on Terrorism: Trends, Achievements, Failures*. London: Frank Cass, 2004.

_______ . (ed.). *Terrorists, Victims, and Society: Psychological Perspectives on Terrorism and Its Consequences*. Chichester: Wiley, 2003.

Slater, R. & M. Stohl (eds.). *Current Perspectives on International Terrorism*. London: Macmillan, 1988.

Smith, J., C. Chatfield & R. Pagnucco (eds.). *Transnational Social Movements and Global Politics: Solidarity Beyond the Sate*. New York: Syracuse University Press, 1997.

Sontag, S. *Regarding the Pain of others*. New York: Farrar, Strauss and Giroux, 2003.

Sosa, E. (ed.). *Causation and Conditionals*. Oxford University Press, 1975.

Stark, R. & W. Bainbridge. *A Theory of Religion*. New Brunswick: Rutgers University Press, 1996.

Strathern, A. P. Stewart & N. Whitehead (eds.). *Terror and Violence: Imagination and the Unimaginable*. London: Pluto Press, 2006.

Sun, W. *Leaving China: Media, Migration and Transnational Imagination*. Oxford: Rowman and Littlefield, 2002.

Tarrow, S. *Power in Movement: Social Movements and Contention Politics*. Cambridge University Press, 1998.

Thomas, H. *The Spanish Civil War*. 4th ed. London: Penguin Books, 2003.

Tibi, B. *Political Islam, World Politics and Europe: Democratic Peace and Euro-Islam Versus Global Jihad*. New York: Routledge, 2008.

Tominson, J. *Globalisation and Culture*. Cambridge: Polity Press, 1999.

Urick, R. *Alienation: Individual or Social Problem?*. Englewood Cliffs: Prenitce Hall, 1970.

Verotec, S. & C. Peach (eds.). *Islam in Europe: The politics of Religion and Community*. London: MacMillan Press, 1997.

Vertovec, S. & A. Rogers (eds.). *Muslim European Youth: Reproducing Ethnicity, Religion, Culture*. Aldershot: Ashgate, 1998.

Victroff, J. (ed.). *Tangled Roots: Social and Psychological Factors in the Genesis of Terrorism*. Amsterdam: IOS Press/NATO, 2005.

Vidino, L . *Al Qaeda in Europe: The New Battleground of international Jihad*. New York: Prometheus Books, 2006.

Waltz, K. *Man, the State, and War*. New York: Columbia University Press, 2001.

Weimann, G. *Terror on the Internet: The New Arena, The New Challenges*. Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2006.

Weinberg, L. & P. Davis. *Introduction to Political Terrorism*. New York: McGraw-Hill, 1989.

Wiktorowicz. (ed.). *Islamic Activism: A Social Movement Theory Approach.* Bloomington: Indiana University Press, 2003.

Wilkinson, P. *Terrorism and the Liberal State.* London: Macmillan, 1977.

Wilkinson, P. & A. Stewart (eds.). *Contemporary Research on Terrorism.* Aberdeen University Press, 1987.

Williams, P. *Al Qaeda: Brotherhood of Terror.* New York: Alpha Books, 2002.

Wolin, S. *Politics and Vision: Continuity and Innovation in Western Political Thought.* Boston: Little, Brown and Co., 1960.

Wright, L. *The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/ 11.* London: Alfred A. Knopf, 2006.

X, M. The *Autobiography of Malcolm X (with the Assistance of Alex Haley).* London: Penguin, 2001.

Zald, M. & J. McCarthy (eds.). *Social Movements in an Organizational Society.* New Brunswick: Transaction Books, 1987.

Zulaika, J & W. Douglass. *Terror and Taboo: The Follies, Fables, and Faces of Terrorism.* London: Routledge, 1996.

Periodicals

Aaronovitch, D. «Nursing a Grievance, Blinded by Narcissism- Such Ordinary Killers.» *The Times.* 19/07/2005.

Abedin, M. «The Essence of Al-Qaeda: An Interview with Saad Al-Faqih.» *Spotlight on Terror.* 05/02/2004, pp. 1-15.

_______ . «Terrorism Cases in the UK: An Interview with Mudassasr Arani.» *Terrorism Monitor.* vol. 2. no. 11 (2004), pp. 1-10.

_______ . «How to deal with Britain's Muslim Extremists? An Interview with Kamal Helbawy.» *Terrorism Monitor.* vol. 3. no.7 (2005).

Abramsky, S. «Whose Al-Qaida Problem?» *Open Democracy.* 04/10/2005.

Abshire, J. «Northern Ireland's Politics in Paint.» *Peace Review.* vol. 15. no. 2 (2003), pp. 149-161.

Acey, M. «London Bomb Suspect Remanded in Custody.» *The Times.* 23/12/2005.

AFP. «Hosfstad Group Was Terrorist Organization Says Dutch Prosecutor.» *The Middle East Times*. 26/01/2006.

Ahmad, I. «Between Moderation and Radicalization: Transnational Interactions of Jamaat-e-Islami of India.» *The Global Network*. vol. 5. no. 3 (2005), pp. 279-299.

Ahmed, N. «Engaging the Enemy Within.» *The Independent*. 13/08/2006.

Ahrari, E. «Al-Qaeda and Cyberterrorism.» *The Asia Times*. 18/08/2004.

Akbar, A. & O. Duff. «London Bombings: ... But in Luton, the Summit Is Treated with Contempt.» *The Independent*. 20/07/2005.

Allard, T. «Hicks Trained with Al-Qaeda but Tried to Leave after 2001 Terrorist Attacks.» *The Sydney Mornings Herald*. 01/11/2005.

Alleyne, R. «How Streetwise Tearaway Became a Jihad Fanatic.» *The Telegraph*. 05/10/2002.

_______ . «Shoe Bomber Sentenced to 110 Years.» *The Telegraph*. 31/01/2003.

Alshech, E. «Cyberspace as a Combat Zone: The Phenomenon of Electronic Jihad.» *The Jerusalem Post*. 27/02/2007.

Alvarez, L. «New Muslim at 15, a Bombing Suspect at 19.» *The International Herald Tribune*. 19/07/2005.

Anonymous. «Chatting with Terrorists.» *DutchReport*. 28/01/2005.

_______ . «A Civil War on Terrorism.» *The Economist*. 25/11/2004.

_______ . «Dutch Imam Wants MP Geert Wilders to Die within Two Years.» *Zacht Ei*. 23/11/2004.

_______ . «Favorites» of the Madrid Bombers.» *Sofir*. 07/02/2007.

_______ . «Madrid Bombings Trail Begins.» *The Guardian*, 15/02/2007.

_______ . «Leden Hofstadnetwerk Reisden Naar Ek Portugal.» *De Telegraaf*. 11/11/2004.

_______ . «The Loving Boy and Murderous Terrorist.» *The Guardian*. 18/07/2005.

_______ . «Muslim Extremism in Europe: The Enemy Within.» *The Economist*, 14/07/2005.

_______ . ««Pizza Boy» Gets Three Years for Jihad Recruiting in Jail.» *Expatica*. 14/02/2006.

_______ . «Pizza Courier «Targeted» Amsterdam Sex Zone.» *Expatica*. 10/12/2004.

_______ . «Reid: The Petty Crook Who Turned to Terror.» *The Times*. 28/02/2005.

_______ . «Roll Call of Al-Qaeda's Most Wanted ... Dead or Alive.» *The Guardian*. 09/03/2003.

_______ . «Spanish Court Jails 18 Al-Qaeda Suspects.» *The Daily Star*. 27/09/2005.

_______ . «Terror Verdict for Soccer Pro.» *CBS News*. 30/09/2003.

_______ . «Unfamiliar Questions in the Arab Air.» *The Economist*. 24/11/2005.

Ansari. H. «The Islamic Militants in Egyptian Politics.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 16. pp. 123-144.

Ansari, M. «The Pakistan Connection.» *Newsline* (August 2005)

Anson, R. «The Journalist and the Terrorist.» *Vanity Fair*. (August 2002).

Anthony, A. «Amsterdamned, Part One.» *The Guardian*. 05/12/2004.

_______ . «Amsterdamned, Part Two.» *The Guardian*. 05/12/2004.

AP . «Dutch Court Jails Islamic Radical.» *The Seattle Post-Intelligencer*. 14/02/2006.

_______ . «Dutch Link Murder to Islamic Group.» *Columbia Daily Tribune*. 14/1/2004.

_______ . «Jury Told That Plot against London's Transit System Included Plans for Other Bombings.» *The International Herald Tribune*. 22/03/2007.

_______ . «Madrid Bombers Were Homegrown Radicals: Probe.» *CTV.ca*. 10/03/2006.

_______ . «Madrid Bombings Show No Al-Qaida Ties.» *The New York Times*. 09/03/2006.

_______ . «Mexico to Release Alleged Terrorist Arrested in Baja.» *The Taipei Times*. 24/06/2005.

_______ . «Netherlands Gives Details on Terror Suspects.» *The Taipei Times*. 15/11/2004.

_______ . «Police Identify Syrian-Born Spaniards as Madrid Bombing Ideologues.» *North Country Times*. 02/08/2005.

_______ . «Police «Warned Over July 7 Bombers».» *The Guardian*. 24/06/2006.

_______ . «Probe Reveals Islam's Extreme Edge.» *CBS News*. 22/11/2004.

_______ . «Al Qaeda, Madrid Bombs Not Linked: Spanish Probe.» *The Toronto Star*. 09/03/2006.

_______ . «Saudi Security Forces Battle With Al Qaeda Cell.» *CTV*. 05/09/2005.

_______ . «Suspect in Madrid Bombings Returns to Spain.» *The Times Picayune*. 25/09/2005.

_______ . «Two Suspects Arrested in Theo Van Gogh Slaying.» *CTV.ca*. 26/05/2005.

_______ . «Van Gogh Killer Begins Presenting Own Defense in New Terrorism Case.» *Asharq Alawsat*. 02/02/2006.

Appleton, J. «Suicidal Tendencies.» *Spiked*. 07/05/2003.

Appleyard, B. «From Riots to Model Pupils: Young British Muslims Face an Identity Crisis.» *Sunday Times*. 17/07/2005.

Argo, N. «The Making of a Human Bomb.» *The Australian*. 19/04/2006.

Ariza, I. «Virtual Jihad.» *Scientific American*. 26/12/2005.

Armstrong, K . «The Label of Catholic Terror Was Never Used About the IRA.» *The Guardian*. 11/07/2005.

Arquilla, J. & D. Ronfeldt. «Cyberwar Is Coming.» *Comparative Strategy*. vol. 12. no. 2 (1993).

Ash, T. «Understanding What Drives Suicide Missions Could Help Make Us Safer.» *The Guardian*. 18/05/2006.

Atran, S. «A Failure of Imagination (Intelligence, WMDs, and «Virtual Jihad»).» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 29 (2006), pp. 263-378.

Avilés, J. «The Jihadist Mutation.» Terrorism Monitor.» vol. 2. no. 6 (2004).

Axel, B. «The Diasporic Imaginary.» *Public Culture*. vol. 14. no. 2 (2002), pp. 411-428.

_______ . «Diasporic Sublime: Sikh Martyrs, Internet Mediations and the Question of the Unimaginable.» *Sikh Formations*. vol. 1. no. 1 (2005), pp. 127-154.

Ayoob, M. «The Future of Political Islam: The Importance of External Variables.» *International Affairs*. vol. 81. no. 5 (2005), pp. 951-961.

Baker, A. «A Search for Roots Goes Bad.» *Time Europe*. 24/07/2005.

Bakri, N. «Islamic Cleric Bakri Denies Any Links to Al-Qaeda.» *The Daily Star*. 12/08/2005.

Baldwin, T. «Muslim Leaders Fear Revenge Attacks by The Extreme Right.» *The Times*. 08/07/2005.

Bamber, D., C. Hastings & R. Syal. «London House Linked to US Plot.» *The Telegraph*. 30/09/2001.

Bamyeh, M. «Transnationalism.» *Current Sociology*. vol. 41. no. 3, pp. 1-95.

Barnett, A. & M. Bright. «Heathrow Worker Jailed For Links with Al-Qaeda.» *The Observer*. 21/03/2004.

Barnett, A., J. Burke & Z. Smith. «Terror Cells Regroup – and Now Their Target Is Europe.» *The Observer*. 11/01/2004.

Barnett, A. & M. Townsend. «Al-Qaeda «Link to 77» Found in Iraq.» *The Guardian*. 11/09/2005.

Bartels, E. «Dutch Islam»: Young People, Learning and Integration.» *Current Sociology*. vol 48. no. 4 (2000), pp. 59-73.

Barzegar, K. «Al-Qaeda Terrorism Navigates between Murder and Frustration.» *The Daily Star*. 25/08/2005.

Bates, S. «Faiths: Religious Leaders Unite to Condemn «Evil».» *The Guardian*. 11/07/2005.

Batty, D. «Profile: Hasib Mir Hussain.» *The Guardian*. 13/07/2005.

Baudoin, P. «Guilty, but a Scapegoat.» *Le Monde Diplomatique*. 02/02/2016.

Bayat, A. «Activism and Social Development in the Middle East.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 38. no. 1 (2002), pp. 1-28.

Benford, R. & D. Snow. «Farming Processes and Social Movements: An Overview and Assesment.» *Annual Review of Sociology*. vol. 26, pp. 611-639.

Bennet, R. «Inside the Mind of a Terrorist.» The Guardian. 22/08/2004.

Bennetto, J. «Revealed: MIS Ruled London Bombers Were Not a Threat.» *The Independent.* 17/12/2005.

Berejikian, J. «Revolutionary Collective Action and the Agent-Structure Problem.» American Political Science Review. vol. 86. no. 3 (1992), pp. 647-665.

Bergen, P. «Our Ally, Our Problem.» *The New York Times.* 8/07/2005.

Berman, P. «The Philosopher of Islamic Terror.» *The New York Times.* 23/03/2003.

Bernal, V. «Diaspora, Cyberspace and Political Imagination: The Eritrean Diaspora Online.» *Global Networks.* vol. 6. no. 2 (2006), pp. 161-179.

Bernton, H. et al. «The Terrorist Within: The Story Behind One Man's Holy War against America.» *The Seattle Times/* PBS. 07/07/2002.

Bin Laden, O. «Text: Osama Bin Laden.» The Washington Post. 7/10/2001.

Birch, N. «News Magazine in Secular Turkey Honors Al Qaeda.» The Washington Times. 22/08/2005.

Bird, S. et al. «The Benefit Bombers Who Repaid Help With Hatred.» *The Times.* 27/07/2005.

Blackstock, C. «Suicide Bomber's Last-Minute Calls to Accomplices.» *The Guardian.* 25/08/2005.

Bleiker, R. & E. Hutchison, «Fear No More: Emotions and World Politics.» *Review of International Studies.* vol. 34 (2008).

Bonner, R., S. Grey & D. van Natta. «British Inquiry Shifts Away from Foreign Aid for Plots.» *The New York Times.* 31/07/2005.

Booth, K. «The Human Faces of Terror: Reflections in Cracked Looking-Glass.» *Journal of Critical Studies on Terrorism.* vol. 1, no. 1 (2008), pp. 65-79.

Bowcott, O. «In Morocco's Gateway to Europe, Disbelief Greets Arrests over Madrid Bombings.» *The Guardian.* 19/03/2004.

Boyle, J. & M. Trevelyan. «Future – Al Qaeda Exploits «Blue-Eyed» Muslim Converts.» *Reuters*, 11/10/2005.

Bradley, J. «AL Qaeda and the House of Saud.» Washington Quarterly. vol. 28. no. 4 (2005), pp. 139-152.

Brenner, N. «Globalization as Reterritorialization: The Re-Scaling of Urban Government in the European Union.» Urban Studies. vol. 39. no. 3 (1999), pp. 431-451.

«Bridge-building and Terrorism.» *International Relations*. vol. 23. no. 1.

Bright. M. & F. Alam. «Making of a Martyr: From Pacifism to Jihad.» *The Observer*. 04/05/2003.

Bright. M., A. Barnett & M. Townsend. «Teaching Assistant «Led Terror Attacks».» *The Observer*. 17/07/2005.

Bright, M. et al. «The Secret War. Part 1.» *The Observer*. 30/09/2001.

_______ . «The Secret War. Part 2.» *The Observer*. 20/09/2001.

Brimley. S. & A. Kirby. «Al Qaeda's Virtual Sanctuary.» *The Toronto Star*. 23/08/2005.

Britten, N. & P. Stokes. «Police Extended Raids to an Islamic Bookshop.» *The Telegraph*. 16/07/2005.

Britten, J. «Rowe «Bore Al-Qaeda Hallmarks».» *BBC News Website*. 23/09/2005.

Broere, W. «Dutch Islamist Trial Hears of Gruesome Films.» *Reuters*. 05/12/2005.

Brooke, S. «The Quantitative Analysis of Terrorism and Immigration: An Initial Exploration.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 18. no. 4 (2006).

Brooks, D. «Fraction in Movement: The Impact of Inclusivity on the Anti-Globalization Movements.» *Social science Quarterly*. vol. 85. no. 3 (2004), pp. 559-577.

Bryjak, G. «More Dangerous Than Al-Qaeda.» *The National Catholic Reporter*. 29/07/2005.

Buechler, S. «Beyond Resource Mobilisation? Emerging Trends in Social Movement Theory.» Sociological Quarterly. vol. 34. no. 2 (1993), pp. 217-235.

Bunglawala. I. «It's Undeniable: British Foreign Policy is Endangering All of Us.» *The Times*. 12/08/2006.

Bunting, M. «Introspection Grips British Muslims.» *The Guardian*. 20/07/2005.

_______ . «Young Muslim and British.» *The Guardian*. 30/11/2004.

Burke, J. «Hijacking Suspect «Was Bin Laden Bodyguard».» *The Guardian*. 30/09/2001.

_______ . «Al-Qaeda Is Now an Idea, Not an Organization.» *The Guardian*. 05/08/2005.

_______ . «Return to Islamabad.» *The Guardian*. 21/04/2002.

_______ . «Secrets of Bomber's Death Tape.» *The Guardian*. 04/09/2005.

_______ . «Think Again: Al Qaeda.» *Foreign policy*. no. 142 (May/June 2004), pp. 18-19.

_______ . «What Exactly Does Al-Qaeda Want?.» *The Observer*. 21/03/2004.

_______ . «Who Did It – and What Was Their Motive?.» *The Observer*. 10/07/2005.

_______ . «You Have to Kill in The Name of Allah until You Are Killed.» *The Observer*. 27/01/2002.

Burke, J. et al. «The London Bombs: Three Cities, Four Killers.» *The Observer*. 07/07/2005.

Burleigh, J. «British-Born Muslim Guilty of Terrorism Charges.» *The Independent*. 24/09/2005.

Burns, J. «Muslim Voters See Their Influence Increase.» *The Financial Times*. 06/05/2005.

Buruma, I. «Extremism: The Loser's Revenge.» *The Guardian*. 25/02/2006.

Button, J. «The Nowhere Generation.» *Time*. 31/02/2005.

Calabresi, M. «Bin Laden's Boys?.» *Times*. 30/01/2000.

Caldwell, C. «Daughter of the Enlightenment.» *The New York Times*. 03/04/2005.

Campbell, D. & R. Norton-Taylor. «London Bomb Net Widens.» *The Guardian*. 16/07/2005.

Campbell, D., R, Norton-Taylor & C. Urquart. «The Targets: «They Say Why Attack a Tiger When There Are No Sheep?».» *The Guardian*. 08/07/2005.

Carey, A. G. Jones & P. Hirschkom. «2 Bomb Suspects African Immigrants.» *CNN Website*. 26/07/2005.

Carrell, S. & R. Whitacker. «Ricin: The Plot That Never Was.» *The Independent*. 20/04/2005.

Castle, S. «Mohamed Cartoons Provoke Bomb Threats against Danish Newspaper.» *The Independent*. 01/02/2006.

Cetina, K. «Complex Global Microstructures: The New Terrorist Societies.» *Theory, Culture and Society*. vol. 22. no. 5 (2005).

Chambon, F. «La Double Vie de Jamal Zougham.» *Le Monde*. 10/04/2004.

Charter, D. «MI5 «Was Looking for the Wrong Kind of Terrorist».» *The Times*. 13/11/2005.

Chivers, C. & D. Rohde. «Afghan Camps Turn Out Holy War Guerrillas and Terrorists.» The New York Times. 18/03/2002.

Clark, J. «Social Movement Theory and Patron-Clintelism: Islamic Social Institutions in the Middle Class in Egypt, Jordan and Yemen.» *Comparative Political Studies*. vol. 37. no. 8 (2004), pp. 941-968.

Clough, S. «British Muslim Planned Second Shoe Bombing.» *The Telegraph*. 01/03/2005.

Cobain, I. «The Boy Who Didn't Stand Out.» *The Guardian*. 14/07/2005.

_______ . «Police Call in Foreign Terror Experts.» *The Guardian*. 12/07/2005.

Cobain, I. & R. Cowan. «Investigation: Clues from Million-Piece Jigsaw Point to Experienced Terrorists.» *The Guardian*. 11/07/2005.

Cohen, N. «A Kind, Really Nice Boy.» *The Observer*. 04/05/2003.

Cohen, R. «Dutch Virtue of Tolerance under Strain.» *The International Herald Tribune*. 07/11/2005.

Coleman, M. «Shoe Bomber is Jailed for Life.» *The Scotsman*. 31/01/2003.

Coll, S. & S. Glasser. «Rifles and Laptops Al-Qaeda's New Armoury.» *The Sydney Morning Herald*. 13/08/2005.

Collier, P. & A. Hoeffler. «Greed and Grievance in Civil War.» *Oxford Economic Papers*. vol. 56. no. 4 (2001), pp. 563-595.

Comor, E. «The Role of Communication in Global Civil Society: Forces, Processes, Prospects.» *International Studies Quarterly*. vol. 45 (2001), pp. 389-408.

Cooper, C. «Suspect Linked to Radical UK Cleric.» *The Times*. 13/11/2005.

Cooper, H. «What is a Terrorist? A Psychological Perspective.» *Legal Medical Quarterly*. vol. 1 (1977), pp. 16-32.

Cordes, B. «When Terrorists Do the Talking: Reflections on Terrorist Litrerature.» *Journal of Strategic Studies*. vol. 10. no.4 (1987), pp. 150-171.

Corera, G. «Al-Qaeda's 007.» *The Times*. 16/01/2008.

Costello, P. «The Secret Life of Mohammed Bouyeri.» *Front Page Magazine*. 28/07/2005.

Cowen, R. «CCTV Seizures Raise Hopes of Quick Identification of Suspects.» *The Guardian*. 12/07/2005.

Cowan, R. et al. «Bus Bomb Clues May Hold Key to Terror Attack.» *The Guardian*. 11/07/2005.

Cowell, A. «Newsmaker Profile: Richard C. Reid.» *The New York Times*. 29/12/2001.

Cracknell, D. «How Can We Stop This Happening Again?» *The Sunday Times*. 31/07/2005.

Craig, O. «From Tearaway to Terrorist- the Story of Richard Reid.» *The Telegraph*. 31/12/2001.

_______. «The Path to Mass Murder.» *The Telegraph*. 17/07/2005.

Crampton. R. «It's Terrifying and Shocking, said Ali, then Strode Smartly Away.» *The Times*. 08/07/2005.

Crawford, D. & K. Johnson. «New Terror Threat in EU: Extremists with Passports.» *The Wall Street Journal*. 24/12/2004.

Crawford, N. «The Passion of World Politics: Propositions on Emotion and Emotional Relationships.» International *Security*. vol. 24. no. 1 (2000). pp. 116-156.

Crelinsten, R. «Analyzing Terrorism and Counter-Terrorism: A Communication Model.» *Terrorism and Political Violence*. vol.14. no. 2 (2002), pp. 77-122.

Crenshaw, M. «The Causes of Terrorism.» *Comparative Politics*. vol. 13. no. 4 (1981), pp. 379-399.

_______ . «Theories of Terrorism: Instrumental and Organizational Approaches.» *Journal of Strategic Studies*. vol. 10. no. 4 (1987), pp. 13-31.

Crumley, B. «Fighting Terrorism: Lessons From France.» *Time*. 24/09/2001.

Curtis. P. «They Don't Sit with a Sign Recruiting for Terrorists.» *The Guardian*. 19/07/2005.

Dalrymple, T. «I See Richard Reids in Jail Every Day.» *The Telegraph*. 12/12/2001.

Daly, J. «The Madrid Bombings: Spain as a «Jihad» Highway to Western Europe.» *Spotlight of Terror*. vol. 2. no. 4 (2004), pp. 1-3.

Dauber, C. «Image as Argument: The Impact of Mogadishu on U.S. Military Intervention.» *Armed Forces and Society*. vol. 27. no. 2 (2001).

Dauphinée, E. «The Politics of the Body in Pain: Reading the Ethics of Imagery.» *Security Dialogue*. vol. 38. no. 2 (2007), pp. 139-156.

Dean, D. «Alienation Its Meaning and Measurement.» *American Sociological Review*. vol. 26 (1961), pp. 753-758.

Dean, N. & N. Allen. «Finsbury Park Mosque's Terrorist Roll Call.» *The Indepenedent*. 07/02/2006.

Della Porta, D. «Recruitment Processes in Clandestine Political Organizations: Italian Left Wing Terrorism.» *International Social Movement Research*. vol. 1 (1988), pp. 155-169.

Diani, M. «Linking Mobilization Frames and Political Opportunities: Insights from Regional Populism in Italy.» *American Sociological Review*. vol. 61 (1996), pp. 1053-1069.

Dodd, V. «Former Grammar School Boy Gets 13 Years for Shoe Bomb Plot.» *The Guardian*. 23/02/2005.

_______ . «Inside the Mosque: An Academy for Holy War.» *The Guardian*. 08/02/2006.

_______ . «Two Thirds of Muslims Consider Leaving UK.» The Guardian. 26/07/2005.

Dodd, V., J. Vasagar & T. Branigan. «Polite and Caring Sons Who Turned to Terror.» *The Guardian*. 02/05/2003.

Dodds, K. «Geopolitics and the Visualization of the «War on Terror».» *Security Dialogue*. vol. 38. no. 2, pp. 157-178.

Donnelley, S. «You Say Yusuf, I Say Youssouf....» *Time*. 25/09/2004.

Doran, M. «The Pragmatic Fanaticism of Al Qaeda: An Anatomy of Extremism in Middle Eastern Politics.» *Political Science Quarterly*. vol. 117. no. 2 (2002). pp. 177-190.

Elegant, S. «A London Bomber's Asia Tour.» *Time*. 26/09/2005.

Elliot, A. «Where Boys Grow up to Be Jihadis.» *The New York Times*. 25/11/2007.

Elliott, M. «Hate Club.» *Time*. 12/11/2001.

_______. «Reeling in Al-Qaeda.» *Time*. 15/09/2002.

_______ . «The Shoe Bomber's World.» *Time World*. 25/02/2002.

Enzensberger, H. «The Radical Loser.» *Sign and Sight*. 01/12/2005.

Eriksen, T. «Nationalism and the Internet.» Nations and Nationalism. vol. 13. no. 1 (2006), pp. 1-17.

Erikson, K. «On Work and Alientaion.» *American Sociological Review*. vol. 51, pp. 1-8.

Erlanger, S. & C. Hedges. «Terror Cells Slip through Europe's Grasp.» *The New York Times*. 28/12/2001.

Escobar, P. «Tracking Al-Qaeda in Europe.» *Asia Times*. 13/07/2002.

Esposito, J. & J. Voll. «Islam and the West: Muslim Voices of Dialogue.» *Millennium*. vol. 29. no.3 (2000), pp. 613-639.

Evans, M. & D. McGrory. «Terrorists Trained in Western Methods Will Leave Few Clues. *The Times*. 12/07/2005.

Evans, M., D. McGrory & S. Tendler. «The Suicide Bomb Squad from Leeds.» *The Times*. 13/07/2005.

Evans, M., S. O'Neill & P. Webster. «The Terrorist Gang «Used Military Explosives».» *The Times*. 12/07/2005.

Evans, M., & S. Tendler. «Northern Ireland Expertise to Boost MI5 Team. *The Times*. 21/07/2005.

Featherstone. M. «Genealogies of the Global.» *Theory, Culture and Society*. vol. 23 (2006), pp. 387-419.

Featherstone, M. & C. Venn. «Problematizing Global Knowledge and the New Encyclopedia Project: An Introduction.» *Theory, Culture and Society*. vol. 23 (2006), pp. 1-20.

Fekette, L. «Anti-Muslim Racism and the European Security State.» *Race and Class*. vol. 46. no. 1 (2004), pp. 3-29.

Feuer, L. «What is Alienation? The Career of a Concept.» *New Politics*. vol. no. 30 (1962), pp. 116-134.

Fidler, S. «From Aleination to Annihilation.» *The Financial Times*. 06/07/2007.

Field, C. «The Time Bomb in France's Suburbs.» *The International Herald Tribune*. 15/07/2005.

Feilding, N. & D. Gadher. «London-Based Radical Salutes Bombs «Victory».» *The Guardian*. 17/07/2005.

Feilding, N. & G. Walsh. «Mastermind of Madrid Is Key Figure.» *The Guardian*. 10/07/2005.

Finn, P. «Hamburg's Cauldron of Terror,» *The Washington Post*. 11/09/2002.

Finn, P. & K. Richburg. «Madrid Probe turns to Islamic Cell in Morocco.» *The Washington Post*. 20/03/2004.

Flintoff, J. «God's Army.» *The Sunday Times*. 14/08/2005.

Ford, P. «Terrorism Web Emerges from Madrid Bombing.» *Christian Science Monitor*. 22/03/2004.

_______ . «Two Communities That Hardley Ever Mix.» *The Times*. 13/07/2005.

Ford, R. «Series of Blunders Let a Terrorist Walk Free.» *The Times*. 15/04/2005.

Foster, P. & N. Malick. «Bomber Idolised Bin Laden, Says Pakistan Family.» *The Telegraph*. 21/07/2005.

Fox, G. «Hamza «Brainwashed Our Boy» Claim Family.» *The Yorkshire Evening Post*. 09/02/2006.

Frankel, G. «From Civic Activist to Alleged Terrorist.» *The Washington Post*. 28/11/2004.

Freeman, S. «British Al-Qaeda Suspect Facing Extradition to US.» *The Times*. 08/08/2005.

Fresco, A. et al. «Who Are the «Bomb Plot» Suspects?» *The Times*. 15/07/2006.

Fresco, A., S. O'Neill & S. Tendler. «Jamaican-Born Bomber from the Suburbs of Middle England.» *The Times*. 12/07/2005.

Fuchs, D. «Spain Says Bombers Drank Water from Mecca and Sold Drugs.» *The New York Times*. 15/04/2004.

Fukuyama, F. «Europe vs. Radical Islam.» *The Washington Post*. 27/02/2006.

Gardham, D. «Muslim Was Planning Dirty Bomb Attack in UK.» *The Telegraph*. 14/10/2006.

Gardham D. & P. Johnston. «Terror Suspect Is a Convicted Mugger.» *The Telegraph*. 17/08/2005.

Gibson, H. «New Recruits.» *Time*. 13/02/2006.

Gibson, J, «Climbers See Tibetans Shot «Like Rats».» *The Sydney Morning Herald*. 11/10/2006.

Giddens, A . «Classical Social Theory and the Origins of Modern Sociology.» *American Journal of Sociology*. vol. 81. no. 4 (1976), pp. 703-729.

Gilbertson, M. «When I Heard Where the Bombers Were from I Felt Stick.» *The Guardian*. 24/06/2006.

Gillan. A., I. Cobain & H. Muir. «Jamaican Born Convert to Islam «Coordinated Fellow Bombers».» *The Guardian*. 06/05/2005.

Gillan, A. & H. Muir. «Galloway Victory Blow for Labour.» *The Guardian*. 06/05/2005.

Gledhill. R. «Jihadists» Use of Koran Is All Wrong, Say Imams.» *The Times*. 15/07/2005.

Goldberg, J. «I have Rights.» *The National Review*. 05/08/ 2005.

Goodchild, S. «The Attacks on London: The Chilling Truth Revealed by Bombers' Psychological Profiles; the Mindset of Terror.» *The Independent on Sunday*. 13/07/2005.

Graff, J. «Terror's Tracks.» *Time*. 11/04/2004.

Graff. P. & J. Boyle. «Special Report: An Islamic Militant's Odyssey.» *The Washington Post*. 20/05/2004.

Granitsas, A. «Europe's Next Immigration Crisis.» *Yale Global*. 11/04/2006.

Grier. P. «A Crescent over Europe?» Journal of the Air Force Association. vol. 88. no. 7 (2005). pp. 64-67.

Guazzone, L. (ed.). *The Islamists in Dilemma: The Political Role of Islamist Movements in the Contemporary Arab World*. London: Ithaca. 1996.

Gunaratna. R. «The Post Madrid Face of Al Qaeda.» *The Washington Quarterly*. vol. 27. no. 3 (2004). pp. 91-100.

Haahr, K. «Italy: Europe's emerging Platform for Islamic Extremism.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 4 (2005). pp. 1-3.

_______ . «Spain's Operation Suez Reveals Al- Qeada Support Rings in Europe.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 45 (2006). pp. 5-6.

Haahr-Escolano. K. «Assessing Spain's Al-Qaeda Netwrok.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 13 (2005). pp. 1-3.

Hafez. M. «Armed Islamist Movements and Political Violence in Algeria.» *Middle East Journal*. vol. 4 (2000), pp. 572-591.

_______ . «*Martyrdom Mythology in Iraq: How Jihadists Frame Suicide Terrorism* in Videos and Biographies.» *Terrorism and Political Violence*, vol.19 (2007), pp. 95-115.

Harding. L. & R. Cowan. «Pakistan Militants Linked to London Attacks.» *The Guardian*. 19/07/2005.

Hargreaves. A. «Satellite Viewing among Ethnic Minorities in France.» *European Journal of Communication*. vol. 12. no. 4 (1997). 459-477.

Harnden. T. «Israelis Are «Sickos». Say Gloating Bombers.» *The Telegraph*. 23/07/2004.

Harper. T. «Preach in English, Muslim Peer Tells Imams.» *The Telegraph*. 23/07/2007.

Harris, P., B. Wazir & J. Burke. «We Will Replace the Bible With Koran in Britan.» *The Observer*. 04/11/2001.

Harrower, M. «Were Hitler's Henchmen Mad?» *Psychology Today*. vol. 6 (1976), pp. 76-80.

Hasan, K. «How Al Qaeda Uses the Internet.» *The Pakistan Daily Times*. 08/12/2005.

Hatton, T. & J. Williamson. «Demographic and the Economic Pressure on Emigration out of the Africa.» *Scandinavian Journal of Economics*. vol. 105. no. 3 (2003), pp. 465-486.

Hazan, S. «The CV of a Bomber.» *Yorkshire Evening Post*. 11/03/2006.

Hegghammer, T. «Global Jihadism after the Iraq War.» Middle East Journal. vol. 60. no. 1 (2006), pp. 11-32.

Hencke, D. «Tube Bombs «Linked to Iraq Conflict».» *The Guardian*. 18/07/2005.

Hennessy, P. «Survey's Finding of Growing Anger in the Islamic Community Are Described as «Alarming» by Leading Muslim Labour MP.» *The Telegraph*. 19/02/2006.

Hennessy, P. & M. Kite. «Poll Reveals 40pc of Muslims Want Sharia Law in UK.» *The Telegraph*. 20/02/2006.

Henzel, C. «The Origins of Al Qaeda's Ideology: Implications for US Strategy.» *Parameters* (2005), pp. 69-80.

Herbert, I. «Absence of Youngest Killer Suggests He Was Just a Pawn.» *The Independent*. 21/09/2005.

_______ . «Hussain's Story: Family Struggle to Understand Why Their Gentle Boy Became a Bomber.» *The Independent*. 02/08/2005.

_______ . «Khaka» and «Sid», the Committed Jihadists Who Turned to Murder.» *The Independent*. 17/12/2005.

_______ . «London Bomber Used to Work for the Government.» *The Independent*. 11/03/2006.

Herbert, I. & K. Sengputa. «The Jihadist Who Needed No Brainwashing to Blow up Aldgate Train.» *The Independent*. 10/09/2005.

Ho, E. «Empire through Diasporic Eyes: A View from the Other Boat.» *Comparative Studies in Society and History*. vol. 46. no. 2 (2004), pp. 210-246.

Hoffman, B. «The Changing Face o Al Qaeda and the Global War on Terrorism. *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 27 (2004), pp. 549-560.

_______ . «The Myth of Grass-Roots Terrorism: Why Osama Bin Laden Still Matters.» *Foreign Affairs* (May/ June 2007).

_______ . «Al Qaeda, Trends in Terrorism and Future Potentialities: An Assessment.» vol. 26. pp. 429-442.

Hoffman, T. «A Canuck in Al-Qaeda.» *The Globe and Mail*. 17/09/2005.

Holt, T. «The political Uses of Alienation: W.E.B. Du Bois on Politics, Race, and Culture, 1903-1940.» *American Quarterly*. vol. 42. no. 2 (1990), pp. 301-323.

Honigsbaum, M. & V. Dodd. «From Gloucester to Afghanistan: The Making of a Shoe Bomber.» *The Guardian*. 05/03/2005.

Hooper, J. «Al-Qaida Cell in UK «Planned Attack».» *The Guardian*. 26/10/2001.

_______ . «Suspect Was a Roman Romeo in Love with US.» *The Guardian*. 02/08/2005.

Hooper, J. & M. Wainwright. «British-Based Plotters Are Jailed for Market Bomb.» *The Guardian*. 11/03/2003.

Horgan, J. & M. Taylor. «A Conceptual Framework for Addressing Psychological Process in the Development of the Terrorist.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 18. no. 4 (2005), pp. 585-601.

Horton, J. «The Dehumanization of Anomie and Alienation: A Problem in the Ideology of Sociology.» *The British Journal of Sociology*. vol. 15.no. 4 (1964), pp. 283-300.

Hosenball, M. «Once a Terrorist, Always a Terrorist?» *Newsweek*. 18/01/2006.

Hoskins, A. «Signs of Holocaust: Exhibiting Memory in a Mediated Age.» *Media, Culture and Society*. vol. 25 (2003), pp. 7-22.

_______ . «Television and the Collapse of Memory.» *Time and Society*. vol. 13. no. 1 (2004).

_______ . «Temporality, Proximity and Security: Terror in a Media-Drenched Age.» *International Relations*. vol. 20. no. 4 (2006).

Husain, F. & M. O'Brien. «Muslim Communities in Europe: Reconstruction and Transformation.» *Current Sociology*. vol. 48. no.4 (2000), pp. 1-13.

Hussain, M. «Islam, Media and Minorities in Denmark.» *Current Sociology*. vol. 48. no. 4 (2000), pp. 95-116.

Hussain, Z. ««University of Jihad» Teaches Students Hate and Bigotry.» *The Times*. 15/07/2005.

Hussain, Z., D. McGrory & S. O'Neill. «»The Bombers» Identity Had Surfaced in an Earlier MI5 Inquiry, but they were not thought to be a Serious security Threat.» *The Times*. 18/07/2005.

Ibrahim, S. «Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Note and Preliminary Findings.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 12 (1980), p. 423-453.

Innes, J. «Bomber Pleads Guilty to Protect Family.» *The Scotsman*. 03/10/2002.

Irwin, R. «Is This the Man Who Ispired Bin Laden?.» *The Guardian*. 01/11/2001.

Isikoff, M. & M. Hosenball. «Shut Out?» *Newsweek*. 17/03/2004.

Ismail, S. «The Paradox of Islamist Politics.» *Middle East Report*. vol. 221 (2001), pp. 34-39.

Israeli, R. «The Manual of Islamic Fundamentalist Terrorism.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 14. no. 4 (2002), pp. 23-40.

Israely, J. «The Second Time Around.» *Time*. 25/02/2002.

Jaber, H. «Middle-Class Bombers Find DIY «Martyr belt» Online.» *The Sunday Times*. 17/07/2005.

Jackson, R. «Constructing Enemies: «Islamic Terrorism» in Political and Academic Discourse.» *Government and Opposition*. vol. 42. no. 3 (2007), pp. 394-426.

Jameson, F. «Nostalgia for the Present.» *South Atlantic Quarterly*. vol. 88. no. 2 (1989), pp. 517-537.

_______ . «Postmodernism, or the Cultural Logic of Late Capitalism.» *New Left Review*. vol. 146 (1984), pp. 53-92.

Jameson, F. «Nostalgia for the Present.» *South Atlantic Quarterly*. vol. 88. no. 2 (1989).

Jeffery, S. «Yusuf Islam Acts over US «Slur».» *The Guardian*. 24/09/2004.

Jenkins, C. «Resource Mobilization Theory and the Study of Social Movements.» *Annual Review of Sociology*. vol. 9 (1983), pp. 527-553.

Jha, A. «Bomb Contents: The Simple but Lethal Device.» *The Guardian*. 16/07/2005.

Johnston, P. «Britain is «Safe Haven» for World Terrorism.» *The Telegraph*. 13/09/2001.

Jordán, J. & L. Boix. «Al-Qaeda and Western Islam.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 16. no. 1 (2004), pp. 1-17.

Jordán, J. M. Manas & N. Horsburgh. «Strengths and Weaknesses of Grassroot Jihadist Networks: The Madrid Bombings.» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 31 (2008), pp. 17-39.

Jordan, J. & M. Torres. «Internet y Actividades Terroristas: El Caso Del 11-M.» *El professional de la informatión*. vol. 16. no. 2 (2007).

Jordan, J. & R. Wesley. «The Madrid Attacks: Results of Investigations Two Years Later.» *Terrorism Monitor*. vol. 4. no. 5 (2006), pp. 1-4.

Juergensmeyer, M. «The Logic of Religious Violence.» *Journal of Strategic Studies*. vol. 10. no. 4 (1987), pp. 172-193.

Kabbani, R. «Dislocation and Neglect in Muslim Britain's Ghettos.» *The Guardian*. 17/06/2002.

Kalyvas, S. «Wanton and Senseless? The Logic of Massacres in Algeria.» *Rationality and Society*. vol. 11. no. 3 (1999), pp. 243-285.

Karigiannis, E. & C. McCauly. «Hizb Ut-Tahrir Al-Islami: Evaluating the Threat posed by a Radical Islamic Group that Remains Nonviolent.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 18 (2006), pp. 315-334.

Kennedy, D. & I. El Amrani. «Police Seek Egyptian Chemist Who Had Keys to Bomb-Maker» Flat.» *The Times*. 15/07/2005.

Kennedy-Pipe, C. «At a Crossroads - and Other Reasons to Be Cheerful: The Future of International Relations.» *International Relations*. vol. 21. no. 3 (2007), pp. 351-354.

_______ . «International History and International Relations Theory: A Dialogue Beyond the Cold War.» *International Affairs*. vol. 76. no. 4 (2000), pp. 741-754.

Kennedy-Pipe, C. & N. Rengger. «Apocalypse Now? Continuities or Disjunctions in World Politics after 9/11.» *International Affairs*. vol. 32. no. 3 (2006). pp. 539-552.

Kennedy-Pipe, C. & R. Vikers. ««Blowback» for Britain?: Blair, Bush and the War in Iraq.» *Review of International Studies*. vol. 33 (2007). pp. 205-221.

Kitschelt. H. «Political Opportunity Structures and Political Protest: Anti-Nuclear Movements in Four Democracies.» *British Journal of Political Science*. vol. 16 (1956). pp. 57-85.

Klaidman, D. «Federal Grand Jury Set to Indict Sheikh.» *Newsweek*. 13/03/2002.

Klausen, J. «Islam in Europe: Culture War on Religious Toleration?» *British Academy Review*. vol. 9 (2004). pp. 1-3.

Knight. S. «Inside the Mind of the Shoebomber.» *The Times*. 02/08/2005.

_______ . «Terror Suspect Had «High Explosive on His Socks».» *The Times*. 02/08/2005.

Kohlmann, E. «The Real Online Terrorist Threat.» *Foreign Affairs*, vol. 85. no. 5 (2006).

Kolar-Panov. D. «Video and the Diasporic Imagination of Selfhood: A Case Study of the Croatians in Australia.» *Cultural Studies*. vol. 10. no. 2 (1996). pp. 288-314.

Krueger, A. & J. Maleková. «Education, Poverty and Terrorism: Is There a Casual Connection?» *The Journal of Economic Perspectives*. vol. 17. no. 4 (2003), pp. 119-144.

Kurzman, C. «A Dynamic View of Resources: Evidence from the Iranian Revolution.» *Conflict and Change*. vol. 17 (1994). pp. 53-84.

_______ . «Structural Opportunity and Perceived Opportunity in social-Movement Theory: The Iranian Revolution in 1979.» *American Sociological Review*. vol. 16 (1996), pp. 153-170.

Lausten , C. & O. Waever, «In Defence of Religion: Sacred Referent Objects for Securitization.» *Millennium*. vol. 26. no. 3 (2000). pp. 703-739.

Laville. S. «Explosive Traces «Found in Suspect's Luggage».» *The Guardian*. 07/09/2009.

_______ . «Leaders Consider Terrorist Fatwa.» *The Guardian*. 2005.

Laville, S., A. Gillan & D. Aslam. «Father Figure» Inspired Young Bombers.» *The Guardian*. 15/07/2005.

Laville, S. & D. Aslam. «Mentor to the Young and Vulnerable.» *The Guardian*. 14/07/2005.

Laville, S. & I. Cobain. «From Cricket-Lover Who Enjoyed a Laugh to Terror Suspect.» *The Guardian*. 13/07/2005.

Lebow, R. «Reason, Emotion and Cooperation.» *International Politics*. vol. 42 (2005), pp. 283-313.

Lee, P. (ed.). *The Democratization of Communication*. Cardiff: University of Wales Press, 1995.

Leiken, R. «Europe's Angry Muslims.» *Foreign Affairs*. vol. 84. no. 4 (2005), pp. 1-6.

Leiken, R. & S. Brooke. «The Quantitative Analysis of Terrorism and Immigration: An Initial Exploration.» *Terrorism and Political Violence*. vol 18. no. 4 (2006), pp. 503-521.

Leppard, D. «MI5 Judged Bomber «No Threat».» *The Sydney Times*. 17/07/2005.

_______ . «US Warns of New Attacks on London.» *The Sunday Times*. 14/08/2005.

Leppard, D. & J. Calvert. «The Web of Terror.» *The Sunday Times*. 17/07/2005.

Leppard, D. & N. Fielding. «The Hate.» *The Sunday Times*. 10/07/2005.

Leppard, D. & R. Winnett. «Police Foil Gas Attack on Commons.» *The Times*. 21/08/2005.

Levirr, P., J. de Wind & S. Vertovec. «International Perspectives on Transnational Migration: An Introduction.» *International Migration Review*. vol. 37 (2003), pp. 565-575.

Lia, B . «Al-Qaeda Online: Understanding Jihadist Internet Infrastructure.» *Jane's Intelligence Review*. 12/2005.

Lia, B. & T. Hegghammer. «Jihadi Strategic Studies: The Alleged Al Qaida Policy Study Preceding The Madrid Bombings.» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 27. no. 5 (2004), pp. 355-375.

Linklater, A. «Emotions and World Politics.» *Aberystwyth Journal of World Affairs*. vol. 2 (2004), pp. 71-77.

Lintner, B. «Terrorism: Think Local.» *Far Eastern Economic Review*. 05/12/2002.

Livesey, B. «The Salafist Movement.» *PBS Website*. 25/01/2005.

Luyckx, S. «The EU and Islam: The Role of Religion in the Emerging European Polity.» *Cambridge Review of International Affairs*. vol. 13. no. 2 (2000), pp. 267- 282.

Lyall, S. «Extremists on the Rise in U.K., Spy Chief Says.» *The International Herald Tribune*. 05/11/2007.

_______ . «What Drove 2 Britons to Bomb a Club in Tel Aviv?» *The New York Times*. 12/05/2003.

Lyons, H. & H. Harbinson. «A Comparison of Political and Non-Political Murderers in Northern Ireland, 1974-84.» *Medecine, Science and the Law*. 26 (1986), pp. 193-198.

MacQueen, V. «Britain's Indigenous Terror.» *Front Page Magazine*. 05/05/2003.

Mohammad-Mahmoud, M. «Time to Talk to Al Qaeda?» *The Boston Globe*. 14/09/2005.

Malik, S. «My Brother the Bomber.» *Prospect*. 06/2007.

_________ . «The Suicide Bomber in His Own World.» *New Statesman*. 03/07/2006.

Mamdani, M. «Whither Political Islam?» *Foreign Affairs*. vol 84. no. 1 (2005), pp. 148-155.

Mandaville, P. «Reimgining Islam in Diaspora: The Politics of Mediated Community.» *Gazette*. vol. 63. no. 2-3 (2001), pp. 169-186.

Mascini, P. «Can the Violent Jihad Do without Sympathizers?» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 29 (2005), pp. 343-357.

Mause, L. De. «The Childhood Origins of Terrorism.» *Journal of Psychohistory* . 29 (2002), pp. 340-348.

Mazarr, M. «The Psychological Sources of Islamic Terrorism.» *Policy Review*. vol. 125 (2005).

McAdam, D. «Recruitment to High-Risk Activism: The Case of Freedom Summer.» *American Journal of Sociology*. vol. 92 (1986), pp. 64-90.

McAllister. B. «Al Qaeda and the Innovative Firm: Demythologizing the Network.» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 27 (2004). pp. 297-319.

McAllister, J. «Terror Next Door.» *Time Europe*. 31/07/2005.

McArthur. F. & O. Akkad. «Blog Offers Glimpse of Accused.» *The Globe and Mail*. 01/06/2006.

McCarthy, R. «Underworld Where Terror and Security Meet.» *The Guardian*. 10/07/2002.

McCurry. J. «Japan Terror Fears Hit Foreign Workers.» *The Observer*. 13/06/2004.

McGeary. J. «Who's the Enemy Now?» *The Time*. 29/03/2004.

McGinty, S. «15 Years for Foiled Al-Qaeda Terrorists.» *The Scostsman*. 24/09/2005.

McGreal, C., C. Urquhart & R. Norton-Taylor. «The British Suicide Bombers.» *The Guardian*. 01/05/2003.

McGrory D. «Anxious Mother Call Led Police to Her Bomber Son.» *The Times*. 13/07/2005.

_______ . «Architect of Mayhem Is Sure to Have Fled before the Blasts.» *The Times*. 11/07/2005.

_______ . «Europe's Police Asked to Step up the Hunt for Morocco-Born Scholar.» *The Times*. 7/07/2005.

_______ . «Last Telephone Calls Capture Rising Panic of 7/7 Bus Bomber.» *The Times*. 24/08/2005.

_______ . «Official Bungle May Let Al-Qaeda Suspect Go Free.» *The Times*. 18/11/2005.

_______ . «Suicide Video Bomber's Video Confession Blames Iraq War.» *The Times*. 02/09/2005.

McGrory, D. & M. Evans. «Hunt for the Master of Explosives.» *The Times*. 13/07/2005.

_______ . «Net Widens as Al-Qaeda Bomb Link is Confirmed.» *The Times*. 15/07/2005.

McGrory, D. & M. Evans & D. Kennedy. «Killer in the Classroom.» *The Times*. 14/07/2005.

McGrory D. & Z. Hussain. «Cousin Listened to Boasts About Suicide Mission.» *The Times*. 22/07/2005.

_______ . «Extent of Terrorism Network Suggests Intelligent Failure.» *The Times*. 16/07/2005.

_______ . ««Holy Warrior» Casts Light on Dark Links to Pakistan.» *The Times*. 18/07/2005.

McGrory, D. R. Jenkins & M. Theodoulou. «Al-Qaeda May Have More Film of London Bombers.» *The Times*. 03/09/2005.

McGrory, D. & M. Theodoulou. «Suicide Bomber's Video Confession Blames Iraq War.» *The Times*. 02/09/2005.

McGrory, D. et al. «Meeting of Murderous Minds on the Backstreet of Lahore.» *The Times*. 02/09/2007.

McKenna, T. «The Recruiters: Interview with Abu Hamza.» *The National*. 16/03/2004.

McLean, R. «Madrid Suspects Tied to E-Mail Ruse.» *The International Herald Tribune*. 28/05/2006.

McSweeney, B. «Identity and Security: Buzan and the Copenhagen School.» *Review of International Studies*. vol 22. no. 1 (1996), pp. 81-93.

McVeigh, K. «UK Al-Qaeda Accused «Set up Terrorist Camps in US».» *The Scotsman*. 09/08/2005.

Mekhennet, S. & A. Smale. «In Britain, a Blow to Muslims.» *The International Herald Tribune*. 11/08/2006.

Mercer, J . «Rationality and Psychology in International Politics.» *International Organization*. vol. 59 (2005), pp. 77-106.

Midgely, C. «A Suburb Wakes up to the Horror of Having Bombers in its Midst.» *The Times*. 13/07/2005.

Mili, H. «Al-Qaeda's Caucasian Foot Soldiers.» vol. 4. no. 21 (2006), pp. 1-4.

_______ . «Securing the Northern Front: Canada and the War on Terror.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 14 (2005), pp. 4-6.

_______ . «Securing the Northern Front: Canada and the War on Terror, Part 2.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 15 (2005), pp. 6-8.

Mitra, A. «Diasporic Web Sites: Ingroup and Outgroup Discourse.» *Critical Studies in Mass Communication*. vol. 14 (1997), pp. 158-181.

_______ . «Marginal Voices in Cyberspace.» *New Media and Society*. vol. 3. no. 1 (2001), pp. 29-48.

_______ . «Nations and then Internet: The Case of a National Newsgroup.» *Convergence*. vol. 2. no. 1 (1996), pp. 44-75.

Möllerr, F. «Photographic Interventions in Post-9/ 11 Security Policy.» *Security Dialogue*. vol. 38. no. 2 (2007), pp. 179-196.

Monroe, K. «Paradigm Shift: From Rational Choice of Perspective.» *International Political Science Review*. vol. 22. no. 2 (2001), pp. 151-172.

Moore, C. & M. Al-Shishani. «The Jihadist Movement after London: Diverse Backgrounds, Common Ideology.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 15 (2005), pp. 4-6.

Mountz, A. «Human Smuggling, the Transnational Imaginary, and Everyday Geographies of the Nation State.» *Antipode*. vol. 35. no. 3. (2003), pp. 622-644.

Muir, H. «British Muslim Convert Jailed for Terrorism Offences.» *The Guardian*. 24/09/2005.

Munson, Z. «Islamic Mobilization: Social Movement Theory and the Egyptian Muslim Brothehood.» *The Sociological Quarterly*. vol. 42. no. 4 (2001), pp. 487-510.

Munthe, T. «Terrorism: Not Who but Why?» *Open Democracy*. 20/07/2005.

Murphy, D. «Al Qaeda to West: It's About Policies.» *Christian Science Monitor*. 05/08/2005.

Musharbash, Y. «The Cyber-Cemetery of the Mujahedeen.» *Der Spiegel*. 28/10/2005.

_______ . «How Islamic Extremists Are Turning the Web into Terror.Com.» *Der Spiegel*. 07/02/2005.

_______. «Jihad 101 for Would-Be Terrorists.» *Der Spiegel*. 17/08/2006.

Nacos, B. «The Terrorist Calculus Behind 9-11: A Model for Future Terrorism?» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 26. no. 1 (2003), pp. 1-16.

Naficy, H. «Exile Discourse and Televisual Fetishization.» *Quarterly Review of Film and Video*. vol. 13. no. 1 (1991), pp. 288-314.

Naughton, P. «Bomb Suspect's Family Speak of Their Shock.» *The Times*. 26/07/2005.

Neal, A. & S. Retting. «Dimensions of Alienation among Manual Workers and Non-Manual Workers.» *American Sociological Review*. vol. 32. no. 1 (1963), pp. 599-608.

Nelson, F. «Will Anyone Rise to Take Al-Qaeda's Bair?» *Scotland on Sunday*. 24/07/2005.

Nesser, P. «How did Europe's Global Jihadis Obtain *Training for Their Militant Causes?*.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 20 (2008), pp. 234-256.

_______ . «Jihad in Europe- a Survey of the Motivations for Sunni Islamist Terrorism in Post-Millennium Europe.» *FFI/ RAPPORT*. 2004.

_______ . «Jihadism in Western Europe after the Invasion of Iraq: Tracing Motivational Influences from the Iraq War on Jihadist Terrorism in Western Europe.» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 29 (2006), pp. 323-343.

_______ . «The Slaying of the Dutch Filmmaker – Religiously Motivated Violence or Islamist Terrorism in the Name of Global Jihad?.» *FFF/RAPPORT*, 2005.

Neumann, P. «Europe's Jihadist Dilemma.» Survival. vol. 48. no. 2 (2006), pp. 71-84.

_______ . «A Crisis of Identity and the Appeal of Jihad.» *International Herald Tribune*. 5/07/2007.

Neurink, J. «Mujahideen of the Lowlands» on Trial in the Netherlands.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 24 (2005).

Neilsen, J. «Fluid Identities: Muslims and Western Europe's Nation States.» *Review of International Affairs*. vol. 13. no. 2 (2000), pp. 212-227.

Nikkhah, R. & T. Tahir. «He Cut All Contact with US, Says Bomber's Family.» *The Telegraph*. 17/07/2005.

Norell, M. «The Growing Threat of Islamic Militancy in Europe.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 8 (2005), pp. 8-9.

Norfolk. A. & R. Jenkins. «A Laughing Lad from the Chippie and His Wild Mate.» *The Times*. 13/07/2005.

Norton-Taylor, R. & D. Campbell. «Intelligence Officials Were Braced for an Offensive – But Loved Threat Levels.» *The Guardian*. 28/07/2005.

_______ . «Terror Cell «Capable of Further Attacks».» *The Guardian*. 12/07/2005.

Norton-Taylor, R., V. Dodd & H. Muir. «Ministers Warned of Iraq Link to UK Terror.» *The Guardian*. 20/07/2005.

Oberschall, A. «Explaining Terrorism: The Contribution of Collective Action Theory.» *Sociological Theory*. vol. 22. no. 1 (2004), pp. 26-37.

O'Hara, K. «Father Hits at Bomber «Murder Quiz» Claims.» *The Yorkshire Post*. 28/06/2006.

_______ . «Suicide Bomber «Was a Perfect Son».» *The Yorkshire Post*. 03/08/2005.

Oldham, J. «Teenage Thug to Suicide Bomber.» *The Scotsman*. 31/01/2003.

Oliver, P. & H. Johnston. «What a Good Idea: Frames and Ideologies in Social Movement Research.» Mobiliztion. vol. 5. no. 1 (2000), pp. 37-54.

O'Neill, B. «Abu Hamza: Imprisoned for Talking Rubbish.» *Spiked*. 09/02/2006.

_______ . «Meet Al-Qeada Archetype.» *Spiked*. 13/07/2004.

_______ . «Silence in (and out) of Court.» *The Times*. 12/05/2006.

_______ . «Terror in the Classroom.» *The Guardian*. 03/10/2006.

_______ . «The Truth About 7/7: It Was Meaningless.» *Spiked*. 16/05/2006.

O'Neill, S. «Bin Laden's London Man May Finally Be Sent to US after 7 Years». *The Times*. 31/08/2005.

_______ . «Islamist Cleric Declared War on Britain Six Months Ago.» *The Times*. 12/07/2005.

_______ . «London Imam Faces FBI Inquiry over A-Qaeda Training Camp.» *The Telegraph*. 25/07/2002.

_______ . «Was Ricin Plot the Last Act of Terror Cell.» *The Times*. 15/04/2005.

_______ . «Worldwide Trail of Bloodshed that Leads to Suburban London.» *The Telegraph*. 19/09/2001.

O'Neill, S. & D. McGrory. «Eight Attackers Linked by Their Ties to Radical London Moseque.» *The Times*. 27/07/2005.

O'Neill, S. et al. «Police Give Warnings That The Bombers May Strike Again.» *The Times*. 09/07/2005.

O'Neill, S. & T. Stewart. «Bus Bomber and the 81 Missing Minutes.» *The Times*. 15/07/2005.

O'Neill, S. & S. Tendler. «The Shoe Bomber from a Gloucester Grammar.» *The Times*. 15/07/2005.

O'Sullivan, J. «Terrorism Works – Except When It Doesn't.» *The National Post*. 15/12/2004.

Owen, P. «MP's Guest Bomber Visited Parliament.» *The Guardian*. 16/07/2005.

Pallister, D. «UK-Based Dissident Denies Link to Website That Carried Al-Qaida Claim.» *The Guardian*. 09/07/2005.

Palmer, R. «Al Qead Suspect Wins Right to Appeal in Canada.» *Reuters*. 25/08/2005.

Pape, R . «The Strategic Logic of Terrorism.» American Political Science Review. vol. 97. no. 3 (2003), pp. 343-361.

Pargeter, A. «The Islamist Movement in Morocco.» Terrorism Monitor. vol. 3. no. 10 (2005), pp. 6-8.

Parker, M. «British Intelligence Bares Link between Detainees, Al Qaeda.» *Arab News*. 26/08/2005.

Payne, J., J. Bettman & E. Johnson. «Behavioral Decision Research» A Constructive Processing Perspective.» *Annual Review of Psychology*. vol. 43 (1992), pp. 87-131.

PBS. «Interview with Abu Hamza Al Masri.» *Frontline*. 14/08/2005.

_______ . «Mohammed Atta's Last Will and Testament.» *Frontline*. 2001.

Pearce, K. «Police Negotiation: A New Role for the Community Psychiatrist.» *Canadian Psychiatric Association Journal*. vol. 22 (1977), pp. 171-174.

Pecasting, C. «The Secret Agents: Life inside an Al Qaeda Cell.» *Foreign Affairs*. vol. 83. no. 1 (2004), pp. 156-159.

Peters. R. «Among the Believers: Cracking the Toronto Terror Cell.» *CBC News Website*. 2006.

Pew Research Center. «The Great Divide: How Westerners and Muslims View Each Other.» 2006.

_______ . «Muslims in Europe: Economic Worries Top Concerns About Religious and Cultural Identity.» 2006.

Pingree, G. & L. Abend. «Judge Assesses Madrid Attacks.» *Christian Science Monitor*. 13/04/2006.

Platt, P. «Neighbors Describe Bomb Suspect as Devout Loner.» *The Times*. 26/07/2005.

Poole, P. «Terror from the North.» *Front Page Magazine*. 14/06/2006.

Portes, A., L. Guarnizo & P. Landolt. «The Study of Transnationalism: Pitfalls and Promises of an Emergent Research Field.» *Ethnic and Radical Studies*. vol. 22 (1987), pp. 217-237.

Post, J. «Rewarding Fire with Fire: Effects of Retaliation on Terrorist Group Dynamics.» *Terrorism*. vol. 10 (1987).

Powell, B. «The Enemy Within.» *Time*. 23/10/2005.

_______ . «Generation Jihad.» *Time*. 26/09/2005.

Power, C. «The Lost Generation.» *Newsweek*. 7/08/2005.

Purvis, T. & A. Hunt. «Discourse, Ideology, Discourse, Ideology, Discourse, Ideology...» *British Journal of Sociology*. vol. 44. no. 3 (1993), p. 473-499.

Quetteville, H. & T. Penny. Suspect «Part of Helicopter Bomb Plot».» *The Telegraph*. 27/09/2001.

Rachid. «Inside The Mind of a Terrorist.» *The Observer*. 09/03/2003.

Radu, M. «Radical Imams and Terrorists.» *Front Page Magazine*. 12/08/2005.

Raghavan, S. «Friends Describe Bomber's Political, Religious Evolution.» *The Washington Post*. 29/07/2005.

Rai, M. «100 Days of Denial.» *ZMAG*. 16/10/2005.

Raizon, D. «Gang De Roubaix»: Retour en France de Lionel Dumont.» *Radio France Internationale*. 21/05/2004.

Rajan, A. «Sudan Charges Briton with Inciting Hatred over « Mohamed » Teddy Bear.» *The Independent*. 29/11/2007.

Rapaport, D. The International World as Some Terrorists Have Seen It: A Look at a Century of Memories.» *Journal of Strategic Studies*. vol. 10. no.4 (1987), pp. 32-58.

Raphaeli, N. «Ayman Muhammed Rabi' Al Zawahari: The Making of an Arch-Terrorist.» Terrorism and Political Violence. vol. 14. no. 4 (2002), pp. 1-22.

Rasch, W. «Psychological Dimensions of Political Terrorism in the Federal Republic of Germany.» *International Journal of Law and Psychiatry*. vol. 2 (1979), pp. 79-85.

Rashid, A. «Jihadi Suicide Bombers: The New Wave.» *New York Review of Books*. 12/06/2008.

Razavy, M. «Sikh Movements in Canada.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 18 (2006), pp. 79-93.

Reiff, D. «Taking with the Jihadists.» *The Guardian*. 16/07/2005.

Richardson, I. «Terrorist Rivals: Beyond the State-Centric Model.» *Harvard International Review*. vol. 29. no.1 (2007), pp. 66-69.

Richburg, K. «From Quiet Teen to Terrorist Suspect.» *The Washington Post*. 05/12/2004.

Riley, M. «From Jail to Freedom, with an Air Ticket Thrown In.» *The Sydney Herald*. 28/09/2001.

Rodriguez, J. «The March 11th Terrorist Network: In Its Weakness Lies Its Strength.» *VIII Congreso Español de Sociológica*. Alicante.

Rogan, H. «Jihadism Online-a Study of How Al-Qaida and Radical Islamist Groups Use the Internet for Terrorist Purposes.» *FFI/ RAPPORT*. 2006.

_______ . «The London Bombings.com: An Analysis of Jihadist Website Discussion about the Attacks.» *FFI/ RAPPORT*. 2005.

_______ . «Al-Qaeda's Online Media Strategies: From Abu Reuter to Irhabi 007.» *FFI/RAPPORT*. 2007

Rolston, B. «The War of the Walls: Political Murals in Northern Ireland.» *Museum*. vol. 56. no. 3 (2004), pp. 38-45.

Roman, M. «Madrid Terror Suspect Says He Wanted to Give Spain a Lesson.» *The Battalion*. 08/07/2004.

Rosenhan, D. «On Being Sane in Insane Places.» *Science*. vol. 179 (1973), pp. 250-258.

Rotella, S. «European Women Join Ranks of Jihadis.» *The Los Angeles Times*. 10/01/2006.

_______ . «Europe's Boys of Jihad.» *The Los Angeles Times*. 02/04/2005.

_______ . «Iraq War Being Used to Recruit Disaffected Young Muslims.» *The Los Angeles Times*. 05/04/2005.

_______ . «Probe of Transit Attacks in Britain Is Slow, Difficult.» *The Los Angeles Times*. 05/03/2006.

Rothman, F. & P. Oliver «From Local to Global: The Brazilian Anti-Dam Movement in Southern Brazil, 1979-1992.» *Mobilization*. vol. 4 (1999), pp. 41-57.

Roy, O. «Britain: Homegrown Terror.» *Le Monde Diplomatique*. 05/08/2005.

_______ . «Born Again to Kill.» *Signandsight*. 04/08/2005.

_______ . «A Clash of Cultures or a Debate on Europe's Values?» *ISIM Review*. vol. 15 (Spring 2005), pp. 6-7.

_______ . «Europe's Response to Radical Islam.» *Current History*. vol. 104 (2005), pp. 360-364.

_______. «The Ideology of Terror.» *The International Herald Tribune*. 23/07/2005.

_______ . «Why Do They Have Us? Not Because of Iraq.» *The New York Times*. 22/7/2005.

Ruggie, J. «Territoriality and Beyond: Problematizing Modernity in International Relations.» *International Organization* . vol. 47. no. 1 (1993), pp. 139-174.

Ruthven, M. «The Rise of the Muslim Terrorists.» *New York Review of Books*. 29/05/2008.

Saeed, O. «Back to You, Mr. Blair.» *The Guardian*. 23/07/2005.

Said, Y. «Asking Why Will Dignify Criminals.» *The Guardian*. 10/07/2005.

Sapsted, D. & D. Gardham. «Lost Years of the «Nice Boy» Who Killed 25.» *The Telegraph*. 16/07/2005.

Sardar, Z. «Great Thinkers of Our Time – Maulana Sayyid Abul-Ala Maududi.» *New Statesmen*. 14/07/2003.

Savill, R., N. Bunyan & J. Steel. «Football-Loving Teenager who Turned to Extreamism.» *The Telegraph*. 01/03/2005.

Schelzig, E. & P. Finn. «Repentant Algerian Tells of Bomb Plot: Muslim Militant, «Horrified» by Sept. 11, Says His Target Was French Synagogue.» *The Washington Post*. 24/04/2002.

Scheuer, M. «Al Qaeda's Next Generation: Less Visible and More Lethal.» *Terrorism Monitor*. vol. 2. no. 18 (2005), pp. 5-7.

_______ . «Coalition Warfare: How Al-Qaeda Uses the World Islamic Front against Crusaders and Jews, Part 1.» *Terrorism Focus*. vol. 2. no. 7 (2005), pp. 17-19.

Scholte, J. «The Geography of Collective Identities in a Globalizing World.» *The Review of International Political Economy*. vol. 73. no. 3 (1996), pp. 565-608.

Schwartz, S. «The Real Roots of Islamic Extremism.» *The Dissident*. 22/05/2003.

Sciolino, E. & E. Shmitt. «A Not Very Private Feud Over Terrorism.» *The New York Times*. 08/06/2008.

Scroggins, D. «The Dutch-Muslim Culture War.» *The Nation*. 27/06/2005.

Sendagorta, F. «Jihad in Europe: The Wider Context.» *Survival*. vol. 47. no. 3 (2005), pp. 63-72.

Serinelli, P. «The Nowhere Generation.» *The Age*. 31/12/2005.

Shanon, E. & T. McGrick. «What is this Man Plotting?.» *Time*. 15/08/2004.

Shapiro, J. & B. Suzan. «The French Experience of Counter Terrorism.» *Survival*. vol. 45. no. 1 (2003), pp. 67-98.

Shapiro, M. «After Kant: Re-Thinking Hermeneutics and Aesthetics.» *The Good Society*. vol. 15. no. 1(2006), pp. 7-10.

Shapiro, S. «Conflict Media Strategies and the Politics of Counter Terrorism.» *Politics*. vol. 22. no. 2 (2002), pp. 76-85.

Shea, N. «This Is a Saudi Textbook (after the Intolerance Was Removed).» *The Washington Post*. 21/05/2006.

Sherman, J. «Community Leaders Are Braced for a Backlash.» *The Times*. 11/08/2006.

Shishani, M. Al. «Abu Mus'ab Al-Suri and the Third Generation of Salafi-Jihadists.» *Terrorism Monitors*. vol. 3. no. 16 (2005), pp. 1-4.

Shore, Z. «Can the West Win Muslim Hearts and Minds?.» *Orbis*. vol. 49. no. 3 (2005), pp. 475-490.

Shriver, L. «So You Won't Give in to Terrorism, Mr Blair? Really?.» *The Guardian*. 12/07/2005.

Siddique, H. ««Take Care of Mummy», July 7 Ringleader Told Daughter.» *The Guardian*. 24/04/2008.

Siegel, P. «French Authorities Dismantle Network of Fighters Bound for Iraq.» *Terrorism Focus*. vol. 4. no. 3 (2007), pp. 4-5.

Silke, A. «Cheshire-Cat Logic: The Recurring Theme of Terrorist Abnormality in Psychological Research.» *Psychology, Crime and Law*. vol. 4. no. 1 (1988).

_______. «Holy Warriors: Exploring the Psychological Processes of Jihadi Radicalization.» *European Journal of Criminology*. vol. 5. no. 1 (2008), p. 104.

Skirbis, S. «Making It Tradeable: Videotapes, Cultural Technologies and Diasporas.» *Cultural Studies*. vol. 12. no. 2 (1998), pp. 265-273.

Skirbis, S . «Nationalism in a Transnational Context: Croatian Diaspora, Intimacy and Nationalist Imagination.» *Sociological Review*. vol. 3 (2001), pp. 133-145.

Smith, C. «6 Once Held in Guantanamo Go on Trial in France.» *The International Herald Tribune*. 03/07/2006.

_______ . «Europe Fears Converts May Aid Extearmism.» *The New York Times*. 19/07/2004.

_______ . «Frenchman Is Sentenced for Aiding Terrorism Suspects.» *The New York Times*. 25/05/2004.

_______ . «French Weekly Cleared of Charges over Cartoons of Prophet Muhammed.» *The International Herald Tribune*. 22/03/2007.

_______ . «Islam in Jail: Europe's Neglect Breeds Angry Radicals.» *The New York Times*. 08/12/2004.

_______ . «A Long Fuse Links Tangier to Bombings in Madrid.» *The New York Times*. 28/03/2004.

______ . «U.S. Holds 3 French Nationals in Iraqi Camp.» *The International Herald Tribune*. 05/02/2005.

Smith, L. «Black Muslims: Coverts Cite African Roots.» *The Guardian*. 16/07/2005.

Smith, M. «Can You Imagine? Migration and the Globalization of Grassroots Politics. *Social Text*. vol. 39 (1994), pp. 15-33.

Snel, E. G. Engbersen & A. Leekes. «Transnational Involvement and Social Integration.» *Global Networks*. vol. 6. no. 3 (2006), pp. 285-308.

Snow, D. et al. «Frame Alignment Processes, Micromobilization, and Movement Participation.» *American Sociological Review*. vol. 51 (1986).

Snow, D., L. Zurcher & S. Ekland-Olson. «Social Networks and Social Movements.» *American Sociological Review*. vol. 45 (1980), pp. 787-801.

Sokefeld, M. «Mobilizing in Transnational Space: A Social Movement Approach to the Formation of Diaspora.» *Global Networks*. vol. 6. no. 3 (2006), pp. 265-284.

Soyal, Y. «Citizenship and Identity: Living in Diasporas in Post-War Europe?.» *Ethnic and Radical Studies*. vol. 23 (2000), pp. 1-15.

Spruyt, B. «»Can't We Discuss This?» Liberalism and the Challenge of Islam in the Netherlands.» *Orbis*. vol. 51. no. 2 (2007), pp. 313-329.

Spyer, P. «Fire without Smoke and Other Phantoms of Ambon's Violence: Media Effects, Agency and the Work of the Imagination.» *Indonesia*. vol. 24 (2002), pp. 21-36.

Stanford, P. «Preaching from the Converted.» *The Independent*. 16/05/2004.

Stanley, T. «Understanding the Origins of Wahhabisim and Salafism.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 14 (2005), pp. 8-10.

Steele, J. «Bombs «Not Due to Intelligence Failure».» *The Telegraph*. 14/04/2006.

Stewart, G. «Al-Qaeda, Victorian Style.» *The Times*. 05/08/2005.

Stock, J. «Inside the Mind of a Seductive Killer.» *The Times*. 12/08/2002.

Stockman, F. «Bomb Probe Eyes Pakistan Links Extremist May Have Influenced Reid.» *The Boston Globe*. 06/01/2002.

Stockman, F. & D. Slack. «For Jamaican Native, Life Path Led From Success to Extremism.» *The Boston Globe*. 22/07/2005.

Stokes, P. «The Teenager.» *The Telegraph*. 14/07/2005.

Struck, D. «In Canada, an Outcast Family Finds Support.» *The Washington Post*. 09/06/2005.

Stychin, C. «A Strange to Its Laws»: Sovereign Bodies, Global Sexualities, and Transnational Citizens.» *Journal of Law and Society*. vol. 27. no. 4 (2000), pp. 601-625.

Sunier, T. «US Officials Dispute Shahid Malik's Allegation of Wrongful Detention.» *The Times*. 03/11/2007.

Sylvester, R. & R. Thomson. «Dr Bari: Government Stoking Muslim Tension.» *The Telegraph*. 19/04/2008.

Taaranby, M. «The European Battleground.» *Terrorism Monitor*. vol. 2. no. 23 (2004), pp. 1-3.

Taher, A. «Tartan Taliban» Linked to Bombers.» *The Sunday Times*. 14/08/2005.

Taher, A. & D. Gadher. «Radical Cleric Wandered of a «Big Operation».» *The Guardian*. 10/07/2005.

Tambiah, S. «Presidential Address: Reflection on Communal Violence in South Asia.» *The Journal of Asian Studies*. vol. 49 (1990), pp. 741- 760.

Tasser, A. «Dying to Kill: Interviewing a British Jihadist.» *Prospect*. 08/2005.

Taylor, M. & J. Horgan. «The Psychological and Behavioural Bases of Islamic Fundamentalism.» *Terrorism and Political Violence*. vol. 13. no. 4 (2001), pp. 37-71.

Taylor, P. «A Jihad Warrior in London.» *The Guardian*. 09/02/2004.

_______ . «Time to Talk Al Qaeda?.» *BBC broadcast*. 03/09/2006.

Tendler, S. «Footage of Tube Shooting Has Gaps, Says IPCC.» *The Times*. 25/08/2005.

Tendler, S. & D. McGrory. «Police Hunting for First Clue to Begin Joining up the dots.» *The Times*. 08/07/2005.

Thommason, E. «Anti-Koran Film Launched on the Internet by Dutch MP.» *The Guardian*. 23/03/2008.

Toloyan, K. «Rethinking Diaspora(s): Stateless Power in the Transnational Movement.» *Diasporas*. vol. 5 (1996), pp. 3-36.

Touboul, D. «Francophone Internet Forums Shed Light on Concerns and Issues of Islamists.» *PRISM*. vol. 3. no. 6 (2005).

Townseed, M. «Leak Reveals Official Story of London Bombings.» *The Guardian*. 09/04/2006.

Townsend, M. et al. «The Secret War.» *The Observer*. 21/03/2004.

Travis, A. & A. Gillian. «Bomb Suspect «Became a Militant.» in Prison.» *The Guardian*. 28/07/2005.

Tremlett, G. «Cornered, They Blew Themselves up – but Others Are Still on the Run.» *The Guardian*. 05/04/2004.

_______ . «In Morocco's Gateway to Europe, Disbelief Greets Arrests over Madrid Bombings.» *The Guardian*. 19/03/2004.

Tremlett. G. & R. Norton-Taylor. «Spain Claims to Have Broken Up Terror Network.» *The Guardian*. 16/06/2005.

Tumelty, P. «An In-Depth Look at the London Bombers.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 14 (2005), pp. 1-4.

_______ . «New Developments Following the London Bombings.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 23 (2005).

_______ . «Reassessing the July 21 London Bombings.» *Terrorism Monitor*. vol. 3. no. 17 (2005), pp. 2-11.

Ulph, S. «A Guide to Jihad on the Web.» *Terrorism Focus*. vol. 2. no. 7 (2005).

_______ . «Jihadi Terms and Terminology.» *Terrorism Focus*. vol. 2. no. 7 (2005).

_______ . «Londonistan.» *Terrorism Monitor*. vol. 2. no. 4 (2004), pp. 1-4.

Ulrich, A. et al. «Rasical Islam's Rising War on Europe.» *Der Spiegel*. 12/07/2005.

Vasagar, J. «Accused Admits Buying Fertiliser for Bomb, but «Not to Use Here».» *The Guardian*. 27/09/2006.

_______ . «Terror Trial Hears of Pakistan Visit.» *The Guardian*. 26/09/2006.

Vasagar, J., V. Dodd & C. Urquart. «Bombers Posed as Peace Activists.» *The Guardian*. 02/05/2003.

Vermaat, E . «The Extremists' Art.» *Front Page Magazine*. 19/12/2005.

_______ . «The «Hofstagroup» Terror Trial.» *Front Page Magazine*, 10/01/2006.

_______ . «Jason Walters - From Muslim Convert to Jihadist.» *Militant Islam Monitor*. 20/12/2005.

_______ . «Lawyers for EU Jihad.» *Front Page Magazine*. 30/01/2006.

_______ . «Mohammed Bouyeri's Day in Court.» *Front Page Magazine*. 09/02/2006.

_______ . «The Radicalization of Young Moroccans and Turks in the Netherlands.» *Militant Islam Monitor*. 05/11/2007.

_______ . «Samir Azzouz – a Terrorist in the Making or a Real Terrorist?» *Militant Islam Monitor*. 23/11/2005.

_______ . «Sex, Lies and a Terrorist Trial.» *Front Page Magazine*. 10/01/2005.

_______ . «Terror on Trial.» *Front Page Magazine*. 12/12/2005.

Vertovec, S. «Three Meanings of «Diaspora», Exemplified among South Asian Religions.» *Diasporas*. vol. 6 (1991), pp. 277-299.

Vidino, L. «The Hofstad Group: The New Face of Terrorist Networks in Europe.» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 30 (2007).

Vreij, H. de . «Terror Plot Trial Opens.» *Dutch Affairs*. 24/02/2005.

_______ . «Van Gogh Murder: Al-Qaeda Links?» *Dutch Affairs*. 19/11/2002.

Volpi, F. «Constructing the «Ummah» in European Security: Between Exit, Voice and Loyalty.» *Government and Opposition*. vol. 42. no. 3 (2007), pp. 451-470.

Von Knop, K. «The Female Jihad: Al Qaeda's Women.» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 30 (2007), pp. 397-414.

Vulliamy, E. «*The IT Man who tried to stop the 7/ 7* Bombers.» The Guardian. 24/06/2006.

Wai, W. & L. Charles. «Police Trace Movements of Convicted French Terrorist.» *The Malaysia Star*. 21/10/2004.

Waldman, A. «Bombings in London; Seething Unease Shaped British Bombers' Newfound Zeal'.» *The New York Times*. 31/07/2005.

_______ . ««British Bombers» Rage Formed in a Caldron of Discontent.» *The New York Times*. 31/07/2005.

Wallace-Wells, B. «Private Jihad.» *The New Yorker*. 29/05/2006.

Walzer, M. «On the Role of Symbolism in Political Thought.» *Political Science Quarterly*. vol. 82 (1967), pp. 191-204.

Watkins, A. «Attack on London: The Long View – They Must Say One Thing and Do Something Else.» *The Independent on Sunday*. 11/07/2005.

Weaver, M. «July 27 Attacks Planned Year before, Court Hears.» *The Guardian*. 19/03/2005.

Webster, P. «War Fuelled Terrorism, Says Kennedy.» *The Times*. 13/07/2005.

Wells, J. «Lost Boys.» *The Toronto Stars*. 11/06/2006.

Werbner, P. «Divided Loyalties, Empowered Citizenship? Muslims in Britain.» *Citizenship Studies*.vol. 4. no. 3 (2000), pp. 307-324.

_______ . «The Place Which Is Diaspora: Citizenship, Religion on Gender in the Making of a Chaordic Transnationalism.» *Journal of Ethnic and Migration Studies*. vol 28. no. 1 (2002), pp. 119-133.

Whitaker, R. et al. «The Attacks on London: Part Two the Plot: Circles of Hate.» *The Independent on Sunday*. 31/07/2005.

Whitlock, C. «Odyssey of an Al Qaeda Operative.» *The Washington Post*. 02/05/2005.

_______ . «Terrorists Proving Harder to Profile. *The Washington Post*. 12/03/2007.

_______ . «Trial of French Islamic Radical Sheds Light on Converts' Role.» *The Washington Post*. 01/01/2006.

Wiktorowicz, Q. «Conceptualizing Islamic Activism.» *ISIM*. vol. 14 (2004), pp. 34-35.

_______ . A Genealogy of Radical Islam.» *Studies in Conflict and Terrorism*. vol. 28 (2005). pp. 75-97.

_______ . «The New Global Threats: Transnational Salafis and Jihad.» *Middle East Policy*. vol. 8. no. 4 (2001). pp. 18-38.

Wiktorowicz. Q. & J. Kaltner. «Killing in the Name of Islam: Al-Qaeda's Justification for September 11.» *Middle East Policy Council*. vol. 10. no. 2 (2003). pp. 76-92.

Wilding. R. «Transnational Ethnographies and Anthropological Imaginings of Migrancy.» *Journal of Ethnic and Migration Studies*. vol. 33. no. 2 (2007), pp. 331-348.

Wilkinson. P. «Armenian Terrorism.» *The World Today*. vol. 39. no. 9 (1983), pp. 344-350.

Wilinkson. T. & C. Mateo-Yanguas. «Spain Convicts Suspected Al Qaeda Cell Leader.» *The Los Angeles Times*. 26/09/2005.

Williams. M. «Words. Images, Enemies: Secularization and International Politics.» *International Studies Quarterly* . vol. 47. no. 4 (2003). pp. 511-531.

Williams. R. & R. Benford (2000). «Two Faces of Collective Action Frames: A Theoratical Consideration.» *Current Perspectives in Social Theory*. vol. 20 (2000). pp. 125-151.

Williamson. I. & C. Cullingford. «The Uses and Misuses of «Alienation» in the Social Sciences and Education.» *British Journal of Educational Studies*. vol. 45. no. 3 (1997), pp. 263-275.

Willing. R. «London Moseque Called Central to Al-Qaeda Efforts.» *USA Today*. 30/08/2002.

Winnett, R. & D. Leppard. «Leaked No 10 Dossier Reveals Al-Qaeda's British Recruits.» *The Guardian*. 10/07/2005.

Woolcock, N. & D. Kennedy. «What the Neo-Nazi Fanatic Did Next: Switched to Islam.» *The Times*. 24/04/2006.

Wright. L. «The Terror Web.» *The New Yorker*. 02/08/2004.

Yafai. F. Al. «The West Needs to Understand it is Inevitable: Islam is Coming Back.» *The Guardian*. 11/11/2004.

Young, N. «Understanding Insanity.» *The Firm*. 12/2007.

Younge, G. «Blair's Blowback.» *The Guardian*. 11/07/2015.

Zald, M. & J. McCarthy. «Resourse Mobilization and Social Movements: A Partial Theory.» *American Journal of Sociology*. vol. 82 (1977), pp. 1212-1242.

Zokaei, S. & D. Philips. «Altruism and Intergenerational Relations among Muslims in Britian.» *Current Sociology*. vol. 48. no. 4 (2000), pp. 45-58.

Zoldberg, A. & L. Woon. «Why Islam Is Like Spanish: Cultural Incorporation in Europe and the United States.» *Politics and Society*. vol. 27. no. 1 (1999), pp. 5-38.

Zuo, J. & R. Benford. «Mobilization Processes and the 1989 Chinese Democracy Movement.» *Sociological Quarterly*. vol. 36. no. 1 (1995), pp. 131-156.

Websites

Abbasi, F. «Hearing Transcript and Abbasi Statement.» 2006. at: www.dod.mil/pubs/foi/detainees/csrt/Set_5_0465-0672_Revised.pdf.

ABC. «Al Qaeda Leader Sentenced to 27 Years.» *ABC News Website*. 28/09/2005.

AFP. «Spain Issues International Warrants over Madrid Blasts.» *Channelnewsasia.com*. 01/04/2004.

Al Jazeera. «Judge Issues Warrants in Madrid Bombings.» *AlJazeera Website*. 31/03/2004.

_______ . «Bomb Experts Examine London Finds.» *AlJazeera Website*. 26/07/2005.

_______ . «Dutch Court Convicts Muslim «Terrorist».» *AlJazeera Website*. 10/03/2006.

_______ . «Spain Re-Arrest Aljazzera Journalist.» *AlJazeera Website*. 10/09/2005.

_______ . «Van Gogh Murder Suspects Charged.» *AlJazeera Website*. 10/03/2005.

Amanapour, C. «Q&A with Muslim Cleric Abu Qatada.» *CNN Website*. 29/11/2001.

Anonymous. «Trail of a Terrorist.» *PBS Website*. 21/10/2001, at: www.pbs.org/ wgbh/ pages/ frontline/ shows/ trail.

AP. «8 Indicated in Spain for 9/11 Attacks.» *MSNBC.com.* 17/01/2005.

_______ . «12 Terror Suspects Go on Trial in Netherlands.» *MSNBC.com.* 07/02/2005.

_______ . «Van Gogh's Killers, Eight Others Convicted.» *ABC News Website.* 14/03/2006.

Arnold, M. «Al-Qaeda «Preparing to Attack» Asian City.» *FT.com.* 24/08/2005.

Avilés, J. «The Madrid Massacre Mistakes Made and Mistakes to be Avoided.» *Real Instituto Elcano.* 03/2004. At: www.realinstitutoelcano.org/analisis/468.asp.

BBC. «7 July Bomber's Motives Examined.» *BBC News Website.* 17/07/2005.

_______ . «21/ 7 Plan «Was Iraq War protest.» *BBC News Website.* 19/03/2007.

_______ . «Australians «Turned into Al- Qaeda».» *BBC News Website.* 12/08/2005.

_______. «Bin Laden Suspect «Recruited in UK».» *BBC News Website.* 02/10/2001.

_______ . «Bomb Plot» Trial: The Six Defendants.» *BBC News Website.* 19/01/2007.

_______ . «Claim over London Bombers Warning.» *BBC News Website.* 26/06/2006.

_______ . «Dutch Put «Terror Group» on Trail.» *BBC News Website.* 05/12/2005.

_______ . «From Student to Terror Suspect.» *BBC News Website.* 21/01/2002.

_______ . «Full Text: «Al-Qaeda» Madrid Claim.» *BBC News Website.* 14/03/2004.

_______ . «Galloway's East End Street Fight.» *BBC News Website.* 06/05/2005.

_______ . «Indian Hijack Drama Over.» *BBC News Website.* 31/12/1999.

_______ . «Islamic Colledge Shocked at Arrest.» *BBC News Website.* 28/11/2003.

_______ . «Al-Jazeera Reporter Held in Spain.» *BBC News Website.* 20/09/2005.

_______ . «Journey of Belgian Female «Bomber».» *BBC News Website.* 02/12/2005.

_______ . «Killer Jailed over Poison Plot.» *BBC News Website.* 13/04/2005.

_______ .«London Bomber: Text in Full.» *BBC News Website.* 01/09/2005.

_______ .«London Bombers «Did Practice Run».» *BBC News Website.* 20/09/2005.

_______ . «Madrid Bombing Suspect Held in UK.» *BBC News Website.* 20/03/2005.

_______ . «Madrid Bomb Leader «Identified».» *BBC News Website.* 01/04/2004.

_______ .«Mayor Blames Middle East Policy.» *BBC News Website.* 25/07/2005.

_______ . «Muslims Warn of Radical Cleric «Threat».» *BBC News Website.* 27/12/2001.

_______ . «Mystery Still Surrounds Killer.» *BBC News Website.* 13/04/2005.

_______ . «Profile: Abu Qatada.» *BBC News Website.* 26/02/2007.

_______ . «Profile: Omar Saeed Sheikh.» *BBC News Website.* 12/07/2002.

_______ . «Al-Qaeda Tape at Suspect's Home.» *BBC News Website.* 09/07/2005.

_______ . «Spain Judge Charges 9/11 Suspect.» *BBC News Website.* 28/04/2004.

_______ . «Suicide Bombers «Ordinary» Lives.» *BBC News Website.* 14/07/2005.

_______ . «Suspect Laughs Off Terror Claim.» *BBC News Website.* 14/09/2005.

_______ . «Terror Code Man Gets 15-Year Term.» *BBC News Website.* 23/09/2005.

_______. «Terror-Link Pair Jailed.» *BBC News Website.* 01/04/2003.

_______ . «Terror Suspect Admits Plain Plot.» *BBC News Website.* 28/02/2005.

_______ . «Threat Video in Spain Flat Rubble.» *BBC News Website.* 04/09/2005.

_______ . «UK Muslims Shocked by «Bombers».» *BBC News Website.* 01/05/2003.

_______ . «UK Suicide Bomber Family Cleared.» *BBC News Website.* 28/11/2005.

_______ . «Van Gogh Suspect Confesses Guilt.» *BBC News Website.* 12/07/2005.

_______ . «Who IS Richard Reid?.» *BBC News Website.* 28/12/2001.

Benschop, A. «Chronicle of a Political Murder Foretold.» 2004. at: www.sociosite.org/ jihad_nl_en.php.

Bin Laden, O. et al. *Jihad against the Jews and Crusaders*, at: www.fas.org/irp/world/para/docs/980223-fatwa.htm.

Bokhari, L. et al. «Paths to Global Jihad: Radicalisation and Recruitment to Terror Networks.» *FFI/ RAPPORT.* 2006. at: www.mil.no/ multimedia/ archive/ 00077/ paths_to_global_jiha_77735a.pdf.

CBC. «Among the Believers: Cracking the Toronto Terror Cell.» *CBC News Website*. 2006.

_______ . «July 7 Bomber Tied to Al Qaeda.» *CBC News Website*. 18/08/2005.

_______ . «The Khadr Family.» *CBC News Website*. 30/10/2006.

CBS. «Shoe Bomber» Pleads Guilty.» *CBS News Website*. 04/10/2002.

CNN. «Exchange between Reid, Judge Follows Life Sentence.» *CNN.com*. 06/12/2003.

_______. «Sources: Reid Is Al Qaeda Operative.» *CNN.com*. 06/12/2003.

CTV. «Sketches of the Ontario-Based Terror Suspects.» *CTV.ca*. 07/06/2005.

Dickey, C. «Women of Al Qaeda.» *MSNBC.com*. 12/12/2005.

Easton, M. «Trials Give Terror Battle Insight.» *BBC News Website*. 13/04/2005.

Esman, A. *Muslim Radicalization of European Women*. at: www.worlddefensereview.com/esman121905.shtml.

Gadahn, A. *Becoming Muslim*. at: http://web.archive.org/web/20050207095656 & www.usc.edu/dept/MSA/newmuslims/yahiye.html.

Goodman, A. «Accused «Planned Skyscraper Attack».» *CNN.com*. 05/03/2007.

_______ . «Madrid Bombing Trial: Key Defendant Denies Involvement.» *CNN.com*. 15/02/2007.

_______. «Syrian on Multiple Madrid Charges.» *CNN World*. 06/05/2004.

Hamza, A. «Transcript of a Friday Sermon.» *MEMRI Website*. 23/04/2004.

Hesen, E. «All or Nothing for Dutch Prosecutor in Hofstad Case.» *Radio Nederland Wereldomroep Website*. 25/01/2006.

_______ . «The «Hofstad» Trial – the Perils of Punishing Terrorist Thoughts.» *Radio Nederland Wereldomroep Website*. 05/12/2005.

_______ . «Trial of Terrorist Suspects Opens and Adjourns.» *Radio Nederland Wereldomroep Website*. 08/02/2005.

Home Office. *Report of the Official Account of the Bombings in London on 7th July 2005*. 2006. at: www.official-documents.gov.uk/document/hc0506/hc10/1087/1087.asap.

Isikoff, M. & M. Hosenball. «Terror Watch: Bin Laden's Mystery Man.» *MSNBC.com*. 20/08/2004.

Johnson, Z. «Chronology: The Plots.» *PBS Website*. 2005.

Khatchadourian, R. «Azzam the American: The Making of an Al Qaeda Homegrown.» *New Yorker*. 22/01/2007.

Kohlmann, E. «The Afghan-Bosnian Mujahideen Network in Europe». 2002. at: www.fhs.se/Webbadmin/Organisation/CATS/Kohlmann.doc.

McCarthy, S. «Trail of Terror: Paris to Iraq.» *MSNBC.com*. 2007.

McKenna, T. «In Depth: Passport to Terror.» *CBC Website*. 10/2004.

Mehta, S. «U.S. Indicts 3 Including One NRI as Connections with al Qaeda.» *NRI Website*. 13/04/2005.

MEMRI. «Al Qaeda Film on the First Anniversary of the London Bombings Features Messages by Bomber Shehzad Tenweer, American Al Qaeda Member Adam Gadan and Al Qaeda Leader Ayman Al-Zawahiri.» *MEMRI TV monitor unit*. 8/07/2006. at: www.memritv.org/ clip/ en/ 1186.htm.

MSNBC. «Arrest of Al-Qaeda Suspect a Major Success: UK.» *MSNBC Website*. 17/08/2005.

Ressa, M. Bin Laden's Finger on Kashmir Trigger?» *CNN Website*. 12/06/2002.

_______. «India Wants Terror Spotlight on Kashmir.» *CNN Website*. 08/10/2002.

_______. «Sources: Reid Is Al Qaeda Operative.» *CNN Website*. 06/12/2003.

Suleaman, N. «The Mystery of «Sid».» *BBC Website*. 19/10/2005.

Taylor, P . «Radicalizing Europe's Young Muslims.» *BBC News Website*. 01/09/2006.

Van Reenen, S. « The «Hofstad» Group – Background and Profiles.» *Radio Nederland Wereldomroep Website*. 23/12/2005.

Vermaat, E. «Bin Laden's Terror Networks in Europe.» *The MacKenzie Institute*. 2005. at: www.mackenzieinstitute.com/2002/2002_Bin_LAden_Networks.html.

Vidino, L. & E. Kohlmann. «Al Qaeda's Death Train?» *National Review*. 15/03/2004.

Vreij, H. de. «Behind The Dutch Terror Threat.» *Radio Nederland Wereldomroep Website*. 22/07/2004.

_______ . «Dutch Link Madrid Bomb Plot?» *Radio Nederland Wereldomroep Website.* 21/10/2004.

_______ . «The «Hofstad» Group – Just Dangerous Amateurs?» *Radio Nederland Wereldomroep Website.* 01/12/2005.

_______ . «The «Hofstad» Trial – Developments.» *Radio Nederland Wereldomroep Website.* 23/01/2006.

_______ . «Seven Terrorist Suspects Arrested in Raids Across the Netherlands.» *Radio Nederland Wereldomroep Website.* 14/10/2005.

_______ . «Terrorists in Our Minds.» *Radio Nederland Wereldomroep Website.* 19/08/2004.

_______ . «Three Dutchmen in Azerbaijan: Were They Jihadi Tourists?» *Radio Nederland Wereldomroep Website.* 22/12/2005.

Winderm, R. «Bin Laden Associate Indicted.» *MSNBS Website.* 24/10/2003.

Zill, O. «A Portrait of Wadih El Hage - Accused Terrorist.» *PBS Website.* 12/09/2001.

Reports

AIVD. «Annual Report 2001.» ed. General Intelligence and Security Service. 2001.

_______ . «Annual Report 2002.» ed. General Intelligence and Security Service. 2002.

_______ . «Annual Report 2003.» ed. General Intelligence and Security Service. 2003.

_______ .«Annual Report 2004.» ed. General Intelligence and Security Service. 2004.

_______ . «From Dawa to Jihad: The Various Threats from Radical Islam to the Democratic Legal Order.» 2004.

_______ . «Recruitment for the Jihad in the Netherlands from Incident to Trend.» 2002.

Taaranby, M . «Research Report funded by the Danish Ministry of Justice». Aarhus: University of Aarhus. 2005.

US District Court. «United States of America vs. Richard Colvin Reid.» District of Massachusetts, 2002.

US Senate Select Committee on Intelligence and US House Permanent Select Committee on Intelligence. «Join Inquiry into Intelligence Community Activities before and after the Terrorist Attacks of September 11, 2001.»

Weimann, G . *www.Terror.Net: How Modern Terrorism Uses the Internet.* United States Institute of Peace Special Report 116, 2004.

Dissertations

Beech, M. «Observing Al Qaeda through the Lens of Complexity Theory: Recommendations for the National Strategy to Defeat Terrorism.» Student Issue Paper, US Army War College.

Levings, R. *Untitled Thesis.* Florida State University. 2006. at: http://etd.lib.fsu.edu/theses/available/etd-04072006-154630/unrestricted/Thesis.pdf.

Papers Presented at Conferences

Argo, N. «The Banality of Evil: Understanding Today's Human Bombs.» paper presented at the International Studies Association. Honolulu. 2005.

Marion, R. & M. Uhl-Bien. «Complexity Theory and Al-Qaeda: Examining Complex Leadership.» paper presented at Managing the Complex IV: A Conference on Complex Systems and the Management of Organizations. Fort Meyers, Florida, 2002.

Mercer, J. «Approaching Emotion in International Politics.» presented at the International Studies Association Conference. San Diego, 1996.

Nesser, P . «Structures of Jihadist Cells in the UK and Europe.» paper presented at the Changing Faces of Jihadism. London, 2006.

Paz, R. «Global Jihad and the European Arena.» paper presented at International Conference on Intelligence and Terrorism. Priverno, Italy: The Project for the Research of Radical Islam, 2002.

Sageman, M. «Statement of Marc Sageman.» National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States. 2003.

فهرس عام

- خ -

- د -

- ش -